سورة المؤمنون

سورة الـمؤمنون مكية
وآياتها ثماني عشرة ومائة
بِسمِ اللّهِ الرحمَن الرّحِيـمِ

الآية : 1 -3

القول في تأويل قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالّذِينَ هُمْ عَنِ اللّغْوِ مّعْرِضُونَ }.

قال أبو جعفر: يعني جلّ ثناؤه بقوله: قَدْ أفلَحَ الـمُؤْمِنُونَ: قد أدرك الذين صدقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم, وأقرّوا بما جاءهم به من عند الله, وعملوا بما دعاهم إليه مما سمي في هذه الأيات, الخلودَ في جنّات ربهم وفازوا بطَلِبتهم لديه. كما:

19228ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, عن معمر, عن قَتادة, في قوله: قَدْ أفْلَحَ الـمُؤْمِنُونَ قال: قال كعب: لم يخلق الله بيده إلاّ ثلاثة: خلق آدم بيده, وكتب التوراة بيده, وغرس جنة عَدْن بيده, ثم قال لها: تكلمي فقالت: قَدْ أفْلَحَ الـمُؤْمِنُونَ لما علمت فيها من الكرامة.

19229ـ حدثنا سهل بن موسى الرازيّ, قال: حدثنا يحيى بن الضريس, عن عمرو بن أبي قيس, عن عبد العزيز بن رفيع, عن مجاهد, قال: لما غرس الله تبارك وتعالى الجنة, نظر إليها فقال: قَدْ أفْلَحَ الـمُؤْمِنُونَ.

19230ـ قال: ثنا حفص بن عمر, عن أبي خلدة, عن أبي العالية, قال: لما خلق الله الجنة قال: قَدْ أفْلَحَ الـمُؤْمِنُونَ فأنزل الله به قرآنا.

19231ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جبير, عن عطاء, عن ميسرة, قال: لم يخلق الله شيئا بيده غير أربعة أشياء: خلق آدم بيده, وكتب الألواح بيده, والتوراة بيده, وغرس عدْنا بيده, ثم قال: قَدْ أفْلَحَ الـمُؤْمِنُونَ.

وقوله: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ يقول تعالى ذكره: الذين هم في صلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته, وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها. وقيل: إنها نزلت من أجل أن القوم كانوا يرفعون أبصارهم فيها إلى السماء قبل نزولها, فنُهُوا بهذه الآية عن ذلك. ذكر الرواية بذلك:

19232ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: سمعت خالدا, عن محمد بن سيرين, قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلّى نظر إلى السماء, فأنزلت هذه الآية: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشعُونَ قال: فجعل بعد ذلك وجهه حيث يسجد.

19233ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون بن المغيرة, عن أبي جعفر, عن الحجاج الصوّاف, عن ابن سيرين, قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم في الصلاة إلى السماء حتى نزلت: قَدْ أفْلَحَ الـمُؤْمِنُونَ الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشعُونَ فقالوا بعد ذلك برؤوسهم هكذا.

19234ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا أيوب, عن محمد, قال: «نبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء, فنزلت آية إن لم تكن الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ

خاشعُونَ فلا أدري أية آية هي قال: فطأطأ». قال: وقال محمد: وكانوا يقولون: لا يجاوز بصْره مصّلاه, فإن كان قد استعاد رالنظر فليغْمِض.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, عن ابن عون, عن محمد نحوه.
واختلف أهل التأويل في الذي عني به في هذا الموضع من الخشوع, فقال بعضهم: عني به سكون الأطراف في الصلاة. ذكر من قال ذلك:
19235ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ قال: السكون فيها.
19236ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهريّ: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ قال: سكون المرء في صلاته.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ, مثله.
19237ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, عن الثوريّ, عن أبي سفيان الشيباني, عن رجل, عن عليّ, قال: سئل عن قوله: الّذِينَ فِي صَلاتِهِمْ خاشعُونَ قال: لا تلتفت في صلاتك.
19238ـ حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرمليّ, قال: قال ضَمْرة بن ربيعة, عن أبي شَوْذب, عن الحسن, في قوله: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ قال: كان خشوعهم في قلوبهم, فغضوا بذلك البصر وخفضوا به الجَناح.
19239ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا معمر, عن إبراهيم, في قوله: خاشعُونَ قال: الخشوع في القلب, وقال: ساكنون.
قال: حدثنا الحسن, قال: ثني خالد بن عبد الله, عن المسعوديّ, عن أبي سنان, عن رجل من قومه, عن عليّ رضي الله عنه, قال: الخشوع في القلب, وأن تُلِين للمرء المسلم كَنَفك, ولا تلتفت.
19240ـ قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جرَيج, قال: قال عطاء بن أبي رباح, في قوله: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشعُونَ قال: التخشع في الصلاة. وقال لي غير عطاء: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة نظر عن يمينه ويساره ووُجاهه, حتى نزلت: قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ فما رُؤي بعد ذلك ينظر إلاّ إلى الأرض.
وقال آخرون: عني به الخوف في هذا الموضع. ذكر من قال ذلك:
19241ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشعُونَ قال: خائفون.
19242ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, في قوله: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ قال الحسن: خائفون. وقال قتادة: الخشوع في القلب.
19243ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ حاشعُونَ يقول: خائفون ساكنون.
وقد بيّنا فيما مضى قبل من كتابنا أن الخشوع التذلل والخضوع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وإذ كان ذلك كذلك, ولم يكن الله

تعالى ذكره دلّ على أن مراده من ذلك معنى دون معنى في عقل ولا خبر, كان معلوما أن معنى مراده من ذلك العموم. وإذ كان ذلك كذلك, فتأويل الكلام ما وصفت مِنْ قَبْلُ من أنه: والذين هم في صلاتهم متذلّلون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته, وإذا تذلل لله فيها العبد رؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها.

وقوله: وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ يقول تعالى ذكره: والذين هم عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه معرضون.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19244ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ يقول: الباطل.

19245ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن: عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ قال: عن المعاصي.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن الحسن, مثله.

19246ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغو مُعْرِضُونَ قال: النبيّ صلى الله عليه وسلم ومن معه من صحابته, ممن آمن به واتبعه وصدقه, كانوا عن اللغْوِ معرضين.

الآية : 4 - 7

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَآءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ }.

يقول تعالى ذكره:والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم فيها مؤدّون, وفعلهم الذي وصفوا به هو أداؤهموها. وقوله: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إلاّ عَلى أزْوَاجِهِمْ يقول: والذين هم لفروج أنفسهم. وعنى بالفروج في هذا الموضع: فروج الرجال, وذلك أقبالهم. حَافِظُونَ يحفظونها من أعمالها في شيء من الفروج. إلاّ عَلى أزْوَاجِهِمْ يقول: إلاّ من أزواجهم اللاتي أحلهنّ الله للرجال بالنكاح. أوْ ما مَلَكَتْ أيْمَانُهُمْ يعني بذلك: إماءهم. و «ما» التي في قوله: أوْ ما مَلَكَتْ أيْمَانُهُمْ في محلّ خفض عطفا على الأزواج. فإنّهُمْ غيرُ مَلُومِينَ يقول: فإن من لم يحفظ فرجه عن زوجه وملك يمينه, وحفظه عن غيره من الخلق, فإنه غير مُوَبّخ على ذلك ولا مذموم ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19247ـ حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إلاّ عَلى أزْوَاجِهِم أوْ ما مَلَكَتْ أيْمَانُهُمْ فإنّهُمْ غيرُ مَلُومِينَ يقول: رضي الله لهم إتيانهم أزواجهم وما ملكت أيمانهم.

وقوله: فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذلكَ يقول: فمن التمس لفرجه مَنكَحا سوى زوجته وملك يمينه, فأولَئِكَ هُمُ العادُونَ يقول: فهم العادون حدود الله, المجاوزون ما أحلّ الله لهم إلى ما حرّم عليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19248ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: نهاهم الله نهيا شديدا, فقال: فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذلكَ فأُولَئِكَ هُمُ العادُونَ فسمى الزاني من العادين.
19249ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فأُولَئِكَ هُمُ العادُونَ قال: الذين يتعدّون الحلال إلى الحرام.
19250ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن أبي عبد الرحمن, في قوله: فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذلكَ فأُولَئِكَ هُمُ العادُونَ قال: من زنى فهو عادٍ.

الآية : 8 -10

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ هُمْ لأمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ }.
يقول تعالى ذكره: وَالّذِينَ هُمْ لأماناتِهِمْ التي ائتمنوا عليها وعهدهم, وهو عقودهم التي عاقدوا الناس راعُونَ يقول: حافظون لا يضيعون, ولكنهم يوفون بذلك كله.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار إلا ابن كثير: وَالّذِينَ هُمْ لأَماناتِهِمْ على الجمع. وقرأ ذلك ابن كثير: «لأَماتَتِهِم» على الواحدة.
والصواب من القراءة في ذلك عندنا: لأَماناتِهِمْ لإجماع الحجة من القرّاء عليها.
وقوله: وَالّذِينَ هُمْ عَلى صَلَوَاتِهِمْ يُحافِظُونَ يقول: والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون, فلا يضيعونها ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم, ولكنهم يراعونها حتى يؤدّوها فيها.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
19251ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق: وَالّذِينَ هُمْ عَلى صَلَوَاتِهِمْ يُحافِظُونَ قال: على وقتها.
حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن مسلم, عن مسروق: وَالّذينَ هُمْ عَلى صَلَوَاتِهِمْ يُحافظُونَ على ميقاتها.
19252ـ حدثنا ابن عبد الرحمن البرقيّ, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: أخبرنا يحيى بن أيوب, قال: أخبرنا ابن زَحْر, عن الأعمش, عن مسلم بن صبيح, قال: الّذِينَ هُمْ عَلى صَلَوَاتِهِمْ يُحافِظُونَ قال: إقام الصلاة لوقتها.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: على صلواتهم دائمون. ذكر من قال ذلك:
19253ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيم: عَلى صَلَوَاتِهِمْ يُحافِظُونَ قال: دائمون. قال: يعني بها المكتوبة.
وقوله: أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا, هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة.
وبنحو الذي قلنا في ذلك, رُوي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وتأوّله أهل التأويل. ذكر الرواية بذلك:
19254ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن أبي صالح, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«ما مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلاّ وَلَهُ مَنْزِلانِ: مَنْزِلٌ فِـي الـجَنّةِ, ومَنْزِلٌ فِـي النّـارِ, وَإنْ ماتَ وَدَخَـلَ النّارِ وَرِثَ أهْلُ الـجَنَّةِ مَنْزِلَهُ» فذلك قوله: أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ.

19255ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: حدثنا عبـد الـرّزاق, قـال: أخبرنـا معمر, عن الأعمش, عن أبـي صالـح, عن أبـي هريرة, فـي قوله: أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُـونَ قـال: يرثـون مسـاكنهم ومسـاكن إخـوانهم التــي أعـدّت لهـم لـو أطاعوا الله.

حدثنـي ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عـن الأعمـش, عن أبـي هريرة: أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ قال: يرثون مساكنهم ومساكن إخوانهم الذين أعدّت لهم لو أطاعوا الله.

19256ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, قال: الوارثون الـجنة أورثتـموها, والـجنة التـي نورث من عبـادنا, هن سواء. قال ابن جريج: قال مـجاهد: يرث الذي مـن أهـل الــجنة أهلـه وأهـل غيره, ومنزل الذين من أهل النار هم يرثون أهـل النـار, فلهـم منـزلان فــي الـجنة وأهلان. وذلك أنه منزل فـي الـجنة ومنزل فـي النـار, فأمـا الــمؤمن فَـيْبِنى منزله الذي فـي الـجنة ويهـدم منزلـه الـذي فــي النـار, وأمـا الكـافر فـيهدم منزله الذي فـي الـجنة ويبنى منزله الذي فـي النار. قـال ابـن جُرَيـج عن لـيث بن أبـي سلـيـم, عن مـجاهد, أنه قال مثل ذلك.

الآية : 11

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {الّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: الّذِينَ يَرِثُونَ البستان ذا الكَرْم, وهو الفِرْدَوْسُ عند العرب. وكان مـجاهد يقول: هو بـالرومية.

19257ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج, عن مـجاهد, فــي قـوله: الّـذِينَ يَرِثُـونَ الفِـرْدَوْسَ قـال: الفـردوس: بستان بـالرومية.

19258ـ قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, قال: عدن حديقة فـي الـجنة قصرها فـيها عدنها خـلقها بـيده, تفتـح كل فجر فـينظر فــيها ثـم يقول: قَدْ أفْلَـحَ الـمُؤْمِنُونَ, قال: هي الفـردوس أيضـا تلـك الــحديقة, قـال مـجاهد: غرسها الله بـيده فلـما بلغت قال: قَدْ أفْلَـحَ الـمُؤْمِنُونَ ثـم أمـر بهـا تغلق, فلا ينظر فـيها خـلق ولا ملك مقرّب, ثم تفتـح كل سحر فــينظر فــيها فـيقول: قَدْ أفْلَـحَ الـمُؤْمِنونَ ثم تغلق إلـى مثلها.

19259ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, قال: قتل حارثة بن سُراقة يوم بـدر, فقـالت أمـه: يـا رسـول اللـه, إن كـان ابنـي من أهل الـجنة لـم أبك علـيه, وإن كـان مـن أهـل النـار بــالغت فــي البكـاء. قـال: «يـا أُمّ حارِثَـةَ, إنّهـا جَنّتـانِ فِــي جَنّـةٍ, وَإنّ ابْنَـكِ قَـدْ أصَـابَ الفِرْدَوْسَ الأعْلَـى مِنَ الـجَنّةِ».

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, عـن قَتـادة, مثله.

19260ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي أبو سفـيان, عن معمر, عن قتادة, عن كعب, قال: خـلق الله بــيده جنـة الفـردوس, غرسـها بـيده, ثم قال: تكلـمي قالت: قَدْ أفْلَـحَ الـمُؤْمِنُونَ.

19261ـ قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن حُسام بن مِصَكّ, عن قَتادة أيضا, مثله, غير أنه قال: تكلمي, قالت: طوبي للمتّقين.
19262ـ قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا محمد بن يزيد, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي داود نفيع, قال: لما خلقها الله, قال لها: تزيني فتزينت ثم قال لها: تكلمي فقالت: طوبي لمن رضيت عنه.
وقوله: هُمْ فِيها خالِدُونَ يعني ماكثون فيها, يقول: هؤلاء الذين يرثون الفردوس خالدون, يعني ماكثون فيها أبدا لا يتحوّلون عنها.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى:
{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مّن طِينٍ }.
يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ أسللناه منه, فالسلالة هي المستلة من كلّ تربة ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعنيّ بالإنسان في هذا الموضع, فقال بعضهم: عني به آدم. ذكر من قال ذلك:
19263ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: مِنْ طِينٍ قال: استلّ آدم من الطين.
19264ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, عن معمر, عن قَتادة, في قوله: مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ قال: استلّ آدم من طين, وخُلقت ذرّيته من ماء مهين.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولقد خلقنا ولد آدم, وهو الإنسان الذي ذكر في هذا الموضع, من سلالة, وهي النطفة التي استُلّت من ظهر الفحل من طين, وهو آدم الذي خُلق من طين. ذكر من قال ذلك:
19265ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن المنهال بن عمرو, عن أبي يحيى, عن ابن عباس: مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ قال: صفوة الماء.
19266ـ حدّثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: مِنْ سُلالَةٍ من منيّ آدم.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.
وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ولقد خلقنا ابن آدم من سُلالة آدم, وهي صفة مائة وآدم هو الطين, لأنه خُلق منه.
وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية, لدلالة قوله: ثُمّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ على أن ذلك كذلك لأنه معلوم أنه لم يَصِرْ في قرار مكين إلاّ بعد خلقه في صلب الفحل, ومن بعد تحوّله من صلبه صار في قرار مكين والعرب تسمي ولد الرجل ونطفته: سليله وسلالته, لأنهما مسلولان منه ومن السّلالة قول بعضهم:

حَمَلَتْ بِهِ عَضْبَ الأدِيمِ غَضَنْفَر اسُلالَةَ فَرْجٍ كانَ غيرَ حَصِينِ

وقول الآخر:

وَهَلْ كُنْتُ إلاّ مُهْرَةً عَرَبِـيّةً سُلالَةَ أفْرَاسٍ تَـجَلّلَها بَغْلُ

فمن قال: سلالة جمعها سلالات, وربـما جمعوها سلائل, ولـيس بـالكثـير, لأن السلائل جمع للسلـيـل ومنه قول بعضهم:

إذا أُنْتِـجَتْ مِنْها الـمَهارَى تَشابَهَ ثْعَلـى القَوْدِ إلاّ بـالأُنُوفِ سَلائلُهْ

وقول الراجز:

يَقْذِفْنَ فِـي أسْلابِها بـالسّلائِل

الآية : 13 -14

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {ثُـمّ جَعَلْنَـاهُ نُطْفَـةً فِـي قَـرَارٍ مّكِيـنٍ * ثُـمّ خَلَقْنَا النّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَـةَ مُضْـغَةً فَخَلَقْنَـا الْمُضْـغَةَ عِظَامـاً فَكَسَـوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمّ أنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ }.

يعنـي تعالـى ذكره بقوله: ثُمّ جَعَلْناهُ نطْفَةً فِـي قَـرَارٍ مَكِيـنٍ ثـم جعلنـا الإنسان الذي جعلناه من سلالة من طين, نطفة فـي قرار مكين, وهو حيـث استقرّت فـيه نطفة الرجل من رحم الـمرأة. ووصفه بأنه مكيـن, لأنـه مُكّـن لذلك وهيىء له لـيستقرّ فـيه إلـى بلوغ أمره الذي جعله لـه قـرارا. وقـوله: ثُمّ خَـلَقْنا النطْفَةَ عَلَقَةً يقول: ثـم صـيرنا النطفـة التــي جعلناهـا فــي قـرار مكين علقة, وهي القطعة من الـدم. فَخَــلَقْنا العَلَقَـةَ مُضْـغَةً يقـول: فَجعلنـا ذلك الدم مضغة, وهي القطعة من اللـحم. وقوله: فخَـلَقْنا الــمُضْغَةَ عِظام ا يقول: فجعلنا تلك الـمضغة اللـحم عظاما.

وقد اختلفت القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الــحجاز والعـراق سوى عاصم: فخَـلَقْنا الـمُضْغَةَ عِظاما علـى الـجماع, وكان عاصم وعبد الله يقرآن ذلك: «عَظْما» فِـي الـحرفـين علـى التوحيد جميعا.

والقراءة التـي نـختار فـي ذلك الـجماع, لإجماع الـحجة من القرّاء علـيه.

وقوله: فَكَسَوْنا العِظامَ لَـحْما يقول: فألبسنا العظام لـحما. وقـد ذكـر أن ذلك فــي قـراءة عبـد اللـه: «ثُـمّ خَــلَقْنا النطْفَـةَ عَظْمـا وعصبــا فَكَسَـوْنَاه لَـحْما». وقوله: ثُمّ أنْشأناهُ خَـلْقا آخَرَ يقول: ثـم أنشـأنا هـذا الإنسـان خــلقا آخر. وهذه الهاء التـي فــي: أنْشَـأناهُ عائـدة علــى «الإنسـان» فــي قـوله: وَلَقَدْ خَـلَقْنا الإنْسانَ قد يجوز أن تكون من ذكر العظـم والنطفـة والــمضغة, جعل ذلك كله كالشيء الواحد, فقـيـل: ثم أنشأنا ذلك خـلقا آخر.

واختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله: ثُمّ أنْشَأناهُ خَـلْقا آخَرَ فقال بعضهم: إنشاؤه إياه خـلقا آخر: نفخه الروح فـيه, فــيصير حينئـذٍ إنسـانا, وكـان قبـل ذلك صورة. ذكر من قال ذلك:

19267ـ حدثنا يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا حجاج, عن عطاء, عن ابن عبـاس فـي قوله: ثُمّ أنْشَأناهُ خَـلْقا آخَرَ قال: نفخ الـروح فـيه.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن قال: حدثنا هشيـم عن الـحجاج بن أرطأة عن عطاء, عن ابن عبـاس, بـمثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيـج, قال: قال ابن عبـاس: ثُمّ أنْشَأناهُ خَـلْقا آخَرَ قال: الروح.

19268ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفــيان, عن عبد الرحمن بن الأصبهانـي عن عكرمة, فــي قـوله: ثُـمّ أنْشَـأناهُ خَــلْقا آخَرَ قال: نفخ الروح فـيه.

19269ـ حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالا: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سلمة, عن داود بن أبي هند, عن الشعبيّ: ثُمّ أنْشَأناهُ خَلْقا آخَرَ قال: نفخ فيه الروح.
19270ـ قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد, بمثله.
19271ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, في قوله: ثُمّ أنْشَأناهُ خَلْقا آخَرَ قال: نفخ فيه الروح, فهو الخلق الآخر الذي ذكر.
19272ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: ثُمّ أنْشَأناهُ خَلْقا يعني الروح تنفخ فيه بعد الخلق.
19273ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ثُمّ أنْشَأناهُ خَلْقا آخَرَ قال: الروح الذي جعله فيه.
وقال آخرون: إنشاؤه خلقا آخر تصريفه إياه في الأحوال بعد الولادة: في الطفولة, والكهولة, والاغتذاء, ونبات الشعر, والسنّ, ونحو ذلك من أحوال الأحياء في الدنيا. ذكر من قال ذلك:
19274ـ حدثني محمد بن سعد, قال: حدثنا أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ أنْشَأناهُ خَلْقا آخَرَ فَتَبارَكَ اللّهُ أحْسَنُ الخالِقِينَ يقول: خرج من بطن أمه بعدما خلق, فكان من بدء خلقه الآخر أن استهلّ, ثم كان من خلقه دُلّ على ثدي أمه, ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجليه, إلى أن قعد, إلى أن حبا, إلى أن قام على رجليه, إلى أن مشى, إلى أن قُطِم, فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام, إلى أن بلغ الحلم, إلى أن بلغ أن يتقلّب في البلاد.
19275ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة: ثُمّ أنْشَأناهُ خَلْقا آخَرَ قال: يقول بعضهم: هو نبات الشعر, وبعضهم يقول: هو نفخ الروح.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر عن قَتادة, مثله.
19276ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك: ثُمّ أنْشَأناهُ خَلْقا آخَرَ قال: يقال الخلق الآخر بعد خروجه من بطن أمه بسنه وشعره.
وقال آخرون: بل عَنَى بإنشائه خلقا آخر: سوّى شبابه. ذكر من قال ذلك:
19277ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ثُمّ أنْشَأناهُ خَلْقا آخَرَ قال: حين استوى شبابه.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال مجاهد: حين استوى به الشباب.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك نفخ الروح فيه وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحوّل خلقا آخر إنسانا, وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها, من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه, يتحوّل عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية, كما

تحوّل أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنسانا وخلقا آخر غير الطين الذي خلق منه.

وقوله: فَتَبارَكَ اللّهُ أحْسَنُ الخالِقِينَ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه فتبارك الله أحسن الصانعين. ذكر من قال ذلك:

19278ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن ليث, عن مجاهد: فَتَبارَكَ اللّهُ أحْسَنُ الخالِقِينَ قال: يصنعون ويصنع الله, والله خير الصانعين.

وقال آخرون: إنما قيل: فَتَبارَكَ اللّهُ أحْسَنُ الخالِقِينَ لأن عيسى ابن مريم كان يخلق, فأخبر جلّ ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق. ذكر من قال ذلك:

19279ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جُرَيج, في قوله: فَتَبارَكَ اللّهُ أحْسَنُ الخالِقِينَ قال: عيسى ابن مريم يخلق.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد, لأن العرب تسمي كل صانع خالقا ومنه قول زهير:

وَلأنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وَبَعْضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمّ لا يَفْرِي

ويروى:

وَلأنْتَ تَخْلُقُ ما فَرَيْتَ وَبَعْضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمّ لا يَفْرِي

الآية : 15 -16

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ إنّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيّتُونَ * ثُمّ إنّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ثم إنكم أيها الناس من بعد إنشائكم خلقا آخر وتصييرناكم إنسانا سويّا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم, ثم إنكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا مبعوثون من التراب خلقا جديدا كما بدأناكم أوّل مرّة. وإنما قيل: ثُمّ إنّكُمْ بَعْدَ ذلكَ لَمَيّتُونَ لأنه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن. وكذلك تقول العرب لمن لم يمت: هو مائت وميت عن قليل, ولا يقولون لمن قد مات مائت, وكذلك هو طَمِع فيما عندك إذا وصف بالطمع, فإذا أخبر عنه أنه سيفعل ولم يفعل قيل هو طامع فيما عندك غدا, وكذلك ذلك في كلّ ما كان نظيرا لما ذكرناه.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات بعضهنّ فوق بعض والعرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة. وإنما قيل للسموات السبع سبع طرائق, لأن بعضهنّ فوق بعض, فكل سماء منهنّ طريقة.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19280ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قول الله: وَلَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ قال: الطرائق: السموات.

وقوله: وَما كُنّا عَنِ الـخَـلْقِ غافِلـينَ يقول: وما كنا فـي خــلقنا السـموات السبع فوقكم عن خـلقنا الذي تـحتها غافلـين, بل كنـا لهـم حـافظين مـن أن تسقط علـيهم فتهلكهم.

الآية : 18

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْـكَنّاهُ فِـي الأرْضِ وَإِنّا عَلَىَ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: وأنزلنا من السماء ما فـي الأرض من ماء, فأسكناه فـيها. كما:

19281ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج: وأنْزَلْنا مِنَ السّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فأسْكَنّاهُ فِـي الأرْضِ ماء هو من السماء.

وقوله: وَإنّا علـى ذهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ يقول جلّ ثناؤه: وإنا علـى الـماء الذي أسكناه فـي الأرض لقادرون أن نذهب به فتهلكوا أيها الناس عطشا وتـخرب أرضوكم, فلا تنبت زرعا ولا غرسا, وتهلـك مواشـيكم, يقـول: فمـن نعمتــي علـيكم تركي ذلك لكم فـي الأرض جاريا.

الآية : 19

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِـهِ جَنّـاتٍ مّـن نّخِيـلٍ وَأَعْنَـابٍ لّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: فأحدثنا لكم بـالـماء الذي أنزلناه من السماء, بساتـين من نـخيـل وأعناب لَكُمْ فِـيهَا يقول: لكم فـي الـجنات فـواكه كثـيرة. وَمِنْهـا تَأْكُلُونَ يقول: ومن الفواكه تأكلون. وقد يجوز أن تكون الهاء والألف من ذكر الـجنات, ويحتـمل أن تكون من ذكـر النـخيــل والأعنـاب. وخـصّ جـلّ ثنـاؤه الـجنات التـي ذكرها فـي هذا الـموضع, فوصـفها بأنهـا مـن نـخيــل وأعنـاب دون وصفها بسائر ثمار الأرض لأن هذين النوعين من الثماء كانا همـا أعظـم ثمار الـحجاز وما قرب منها, فكانت النـخيـل لأهل الـمدينة, والأعنـاب لأهـل الطائف, فذكر القوم بـما يعرفون من نعمة الله علـيهم, بـما أنعم به علـيهم من ثمارها.

الآية : 20

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنبُتُ بِالدّهْنِ وَصِبْغٍ لّلاَكِلِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: وأنشأنا لكم أيضا شجرة تـخرج مـن طـور سـيناء و «شجرة» منصوبة عطفـا علـى «الـجنات», ويعنـي بها: شجرة الزيتون.

وقوله: تَـخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ يقول: تـخرج من جبل يُنْبِت الأشجار.

وقد بـيّنت معنى الطور فـيـما مضى بشواهده, واختلاف الـمختلفـين, بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع.

وأما قوله: سَيْناءَ فإن القـرّاء اختلفـت فــي قراءتـه, فقرأتـه عامـة قـرّاء الـمدينة والبصرة: «سِيناءَ» بكسر السـين. وقـرأ ذلـك عامـة قـرّاء الكوفـة: سَيْناءَ بفتـح السين, وهما جميعا مـجمعون علـى مدّها.

والصواب من القول فـي ذلك: أنهما قراءتان معروفتان فـي قَرَأَة الأمصار بـمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

واختلف أهل التأويـل فـي تأويـله, فقال بعضهم: معنـاه: الـمبــارك, كـأن معنى الكلام عنده: وشجرة تـخرج من جبل مبـارك. ذكر من قال ذلك:

19282ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: طُورِ سَيْناءَ قال: المبارك.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.
19283ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ قال: هو جبل بالشام مبارك.
وقال آخرون: معناه: حسن. ذكر من قال ذلك:
19284ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, في قوله: طُورِ سَيْناءَ قال: هو جبل حسن.
19285ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: مِنْ طُورِ سَيْناءَ الطور: الجبل بالنبطية, وسيناء: حسنة بالنبطية.
وقال آخرون: هو اسم جبل معروف. ذكر من قال ذلك:
19286ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء الخُراسانيّ, عن ابن عباس, في قوله: مِنْ طُورِ سَيْناءَ قال: الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم.
19287ـ حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: طُورِ سَيْناءَ قال: هو جبل الطور الذي بالشام, جبل ببيت المقدس, قال: ممدود, هو بين مصر وبين آيَلَة.
وقال آخرون: معناه: أنه جبل ذو شجر. ذكر من قال ذلك:
19288ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عمن قاله.
والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سيناء اسم أضيف إليه الطور يعرف به, كما قيل جبلاً طيّىء, فأضيفا إلى طيىء, ولو كان القول في ذلك كما قال من قال معناه جبل مبارك, أو كما قال من قال معناه حسن, لكان «الطور» منوّنا, وكان قوله «سيناء» من نعته. على أن سيناء بمعنى: مبارك وحسن, غير معروف في كلام العرب فيجعل ذلك من نعت الجبل, ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس, من أنه جبل عرف بذلك, وأنه الجبل الذي نُودي منه موسى صلى الله عليه وسلم, وهو مع ذلك مبارك, لا أن معنى سيناء معنى مبارك.
وقوله: تَنْبُتُ بالدّهْنِ اختلفت القرّاء في قراءة قوله: تَنْبُتُ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: تَنْبُتُ بفتح التاء, بمعنى: تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن, وقرأه بعض قرّاء البصرة: «تُنْبِتُ» بضم التاء, بمعنى: تنبت الدهن: تخرجه. وذكر أنها في قراءة عبد الله: «تُخْرِجُ الدّهْنَ» وقالوا: الباء في هذا الموضع زائدة, كما قيل: أخذت ثوبه وأخذته بثوبه وكما قال الراجز:
نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أرْبابُ الفَلَجْنَضْرِبُ بالْبِيضِ وَنَرْجُو بالفَرَجْ
بمعنى: ونرجو الفرج. والقول عندي في ذلك أنهما لغتان: نبت, وأنبت ومن أنبت قول زهير:
رأيْتَ ذَوِي الحاجاتِ حَوْلَ بُيُوتهِمْقَطِينا لَهُمْ حتى إذَا أنْبَتَ البَقْلُ

ويروى: «نبت», وهو كقوله: فأَسْرِ بأهْلِكَ و «فاسْرِ». غير أن ذلك وإن كان كذلك, فإن القراءة التي لا أختار غيرها في ذلك قراءة من قرأ: تَنْبُتُ بفتح التاء, لإجماع الحجة من القرّاء عليها. ومعنى ذلك: تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن. كما:

19289ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: تَنْبُتُ بالدّهْنِ قال: بثمره.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

والدهن الذي هو من ثمره الزيت, كما:

19290ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: تَنْبُتُ بالدّهْنِ يقول: هو الزيت يؤكل ويُدّهن به.

وقوله: وَصِبْغٍ لّلآكِلِينَ يقول: تنبت بالدهن وبصبغ للآكلين, يُصْطَبَغ بالزيت الذين يأكلونه. كما:

19291ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَصِبْغٍ لّلآكِلِينَ قال: هذا الزيتون صبغ للآكلين, يأتدمون به ويصطبغون به.

قال أبو جعفر: فالصبغ عطف على الدهن.

الآية : 21 -22

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنّ لَكُمْ فِي الأنْعَامِ لَعِبْرَةً نّسْقِيكُمْ مّمّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَإنّ لَكُمْ أيها الناس فِي الأَنْعامِ لَعْبرَةً تعتبرون بها, فتعرفون بها أياديَ الله عندكم وقدرته على ما يشاء, وأنه الذي لا يمتنع عليه شيء أراده ولا يُعْجِزه شيء شاءه. نُسْقِيكُمْ مِمّا فِي بُطُونِها من اللبن الخارج من بين الفرث والدم. وَلَكُمْ مع ذلك فِيها يعني في الأنعام, مَنافِعُ كَثِيرَةٌ وذلك كالإبل التي يحمل عليها ويُركب ظهرها ويُشرب دَرّها. وَمِنْها تأْكُلونَ يعني من لحومها تأكوله. وقوله: وَعَلَيْها وَعَلى الفُلْكِ تُحْمَلُونَ يقول: وعلى الأنعام وعلى السفن تحملون, على هذه في البرّ وعلى هذه في البحر.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىَ قَوْمِهِ فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتّقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ أرْسَلْنا نُوحا إلى قَوْمِهِ داعيهم إلى طاعتنا وتوحيدنا والبراءة من كلّ معبود سوانا.فَقالَ لهم نوح: يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ يقول: قال لهم: ذلوا يا قوم لله بالطاعة. ما لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرُهُ يقول: ما لكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره. أفَلا تَتّقُونَ يقول: أفلا تخشون بعبادتكم غيره عقابه أن يحلّ بكم.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {فَقَالَ الْمَلأُ الّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا هَـذَا إِلاّ بَشَرٌ مّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ اللّهُ لأنزَلَ مَلاَئِكَةً مّا سَمِعْنَا بِهَـذَا فِيَ آبَآئِنَا الأوّلِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فقالت جماعة أشراف قوم نوح, الذين جحدوا توحيد الله وكذّبوه, لقومهم: ما نوح أيها القوم إلاّ بشر مثلكم, إنما هو إنسان مثلكم وكبعضكم, يُرِيدُ أنْ يَتَفَضّلَ عَلَيْكُمْ يقول: يريد أن يصير له الفضل عليكم, فيكون متبوعا وأنتم له تبع. وَلَوْ شاءَ اللّهُ لأَنْزَلَ مَلائِكَةً يقول: ولو شاء الله أن لا نعبد شيئا سواه لأنزل ملائكة, يقول: لأرسل بالدعاء إلى ما يدعوكم إليه نوح ملائكة تؤدّي إليكم رسالته. وقوله: ما سَمِعْنا بِهَذَا الذي يدعونا إليه نوح من أنه لا إله لنا غير الله في القرون الماضية, وهي آباؤهم الأوّلون.

الآية : 25 -27

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنْ هُوَ إِلاّ رَجُلٌ بِهِ جِنّةٌ فَتَرَبّصُواْ بِهِ حَتّىَ حِينٍ * قَالَ رَبّ انصُرْنِي بِمَا كَذّبُونِ * فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التّنّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الّذِينَ ظَلَمُوَاْ إِنّهُمْ مّغْرَقُونَ }.

يعني ذكره مخبرا عن قيل الملأ الذين كفروا من قوم نوح إنْ هُوَ إلاّ رَجُلٌ بِهِ جِنّةٌ: ما نوح إلا رجل به جنون. وقد يقال أيضا للجنّ جنة, فيتفق الاسم والمصدر, و«هو» من قوله: إن هو كناية اسم نوح. وقوله: فَتَرَبّصُوا بِهِ حتى حِينٍ يقول: فتلبثوا به, وتنظروا به حتى حين يقول: إلى وقت ما. ولم يَعْنُوا بذلك وقتا معلوما, إنما هو كقول القائل: دعه إلى يوم مّا, أو إلى وقت مّا.

وقوله: قالَ رَبّ انْصُرْنِي بِمَا كَذّبُونِ يقول: قال نوح داعيا ربه مستنصرا به على قومه, لما طال أمره وأمرهم وتمادَوا في غيهم: رَبّ انْصُرْنِي عَلى قَوْمِي بِما كَذّبُونِ يعني بتكذيبهم إياي, فيما بلّغتهم من رسالتك ودعوتهم إليه من توحيدك. وقوله: فأَوْحَيْنا إلَيْهِ أنه اصْنَعِ الفُلْكَ بأَعْيُنِنا وَوَحْينا يقول: فقلنا له حين استنصرَنا على كَفَرة قومه: اصنع الفُلْك, وهي السفينة بأَعْيُنِنا يقول: بمرأى ومنظر, ووَحْيِنَا يقول: وبتعليمنا إياك صنعتها. فإذَا جاء أمْرُنا يقول: فإذا جاء قضاؤنا في قومك, بعذابهم وهلاكهم وَفارَ التّنّورُ, وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف المختلفين في صفة فور التنور, والصواب عندنا من القول فيه بشواهده, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. فاسْلُكْ فِيها مِنْ كلَ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يقول: فأدخل في الفلك واحمل. والهاء والألف في قوله: فيها من ذكر الفلك. منْ كُلَ زَوْجَيْنِ اثْنَينِ يقال سلكته في كذا وأسلكته فيه ومن سلكته قوم الشاعر:

وكُنْتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرّدْوَقَدْ سَلَكُوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ

وبعضهم يقول: أسلكت بالألف ومنه قولي الهُذَلِيّ:

حتى إذَا أسْلَكُوهُمْ فِي قُتائِدَةٍشَلاًّ كمَا تَطْرُدِ الجّمّالَةُ الشّرُدَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19292ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فاسْلُكْ فِيها مِنْ كُلَ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يقول لنوح: اجعل في السفينة من كل زوجين اثنين.

وأَهْلَكَ وهم ولده ونساؤهم: إلاّ مَنْ سَبَقَ عَلَـيْهِ القَوْلُ من الله بـأنه هالـك فـيـمن يهلك من قومك فلا تـحمله معك, وهو يام الذي غرق. ويعنـي بقـوله: مِنْهُمْ مِن أهلك, والهاء والـميـم فـي قوله «منهم» من ذكـر الأهـل. وقـوله: وَلا تـخاطِبْنِـي... الآيـة, يقـول: ولا تسألنـي فـي الـذين كفـروا بـالله أن أنـجيهم. إنّهُمْ مُغْرَقُونَ يقول: فإنـي قد حتـمت علـيهم أن أغرق جميعهم.

الآية : 28

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مّعَـكَ عَلَـى الْفُلْـكِ فَقُلِ الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي نَجّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ }.

يعنـي تعالـى ذكره بقوله فإذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلـى الفُلْكِ: فإذا اعتدلت فـي السفـينة أنت ومعك مـمن حملته معك من أهلـك, راكبـا فـيها عالـيا فوقها فَقُلِ الـحَمْدُ لِلّهِ الّذِي نَـجّانا مِـنَ القَـوْمِ الظّالِـمِينَ يعنـي مـن الـمشركين.

الآية : 29 - 30

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقُل رّبّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مّبَارَكـاً وَأَنـتَ خَيْـرُ الْمُنزِلِينَ * إِنّ فِي ذَلِكَ لاَيَاتٍ وَإِن كُنّا لَمُبْتَلِينَ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه نوح علـيه السلام: وقل إذا سلـمك الله وأخرجك من الفلك فنزلت عنها: رَبّ أَنْزِلْنِـي مُنَزلاً من الأرض مُبـارَكا وأَنْتَ خَيـرُ مـن أنزل عبـاده الـمنازل.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19293ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: مُنْزِلاً مُبـارَكا قـال: لنـوح حيـن نزل من السفـينة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.

واختلفت القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار: رَبّ أَنْزِلْنِـي مُنْزِلاً مُبـارَكا بضم الـمِيـم وفتـح الـزاي, بـمعنى: أنزلنـي إنـزالاً مبـاركا. وقرأه عاصم: «مَنْزِلاً» بفتـح الـميـم وكسر الـزاي, بـمعنى: أنزلنـي مكانـا مبـاركا وموضعا.

وقوله: إنّ فِـي ذلكَ لاَيَاتٍ يقول تعالـى ذكره: إن فـيـما فعلنا بقوم نوح يا مـحمد مـن إهلاكنـاهم إذ كـذبوا رسـلنا وجحـدوا وحدانـيتنا وعبـدوا الآلهـة والأصنام, لعبرا لقومك من مشركي قريش, وعظاتٍ وحُجَجا لنـا, يسـتدلون بها علـى سنتنا فـي أمثالهم, فـينزجروا عن كفرهـم ويرتـدعوا عـن تكـذيبك, حذرا أن يصيبهم مثل الذي أصابهم مـن العـذاب. وقـوله: وَإِنْ كُنّـا لَـمُبْتَلِـينَ يقول تعالـى ذكـره: وكنـا مختـبريهم بتـذكيرنا إيـاهم بآياتنـا, لننظـر مـا هـم عاملون قبل نزول عقوبتنا بهم.

الآية : 31 - 32

القول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {ثُـمّ أَنشَـأْنَا مِـن بَعْـدِهِمْ قَرْنـاً آخَـرِيـنَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مّنْ إِلَـهٍ غَيْـرُهُ أَفَلاَ تَتّقُـونَ }.

يقول تعالى ذكره: ثم أحدثنا من بعد مَهْلِك قوم نوح قرنا آخرين فأوجدناهم. فأرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ داعيا لهم, إنِ اعْبُدُوا اللّهَ يا قوم, وأطيعوه دون الآلهة والأصنام, فإن العبادة لا تنبغي إلا له. ما لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرُهُ يقول: ما لكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه. أفَلا تَتّقُونَ: أفلا تخافون عقاب الله بعبادتكم شيئا دونه, وهو الإله الذي لا إله لكم سواه.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذّبُواْ بِلِقَآءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَياةِ الدّنْيَا مَا هَـَذَا إِلاّ بَشَرٌ مّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمّا تَشْرَبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وقالت الأشراف من قوم الرسول الذي أرسلنا بعد نوح. وعَنَى بالرسول في هذا الموضع: صالحا, وبقومه: ثمود. الّذِينَ كَفَرُوا وكَذّبُوا بِلِقاءِ الآخِرَةِ يقول: الذين جحدوا توحيد الله وكَذّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ يعني كَذّبوا بلقاء الله في الآخرة. وقوله: وأتْرَفْناهُمْ فِي الحَياةِ الدّنيْا يقول: ونعّمناهم في حياتهم الدنيا بما وسّعنا عليهم من المعاش وبسطنا لهم من الرزق, حتى بَطِروا وعَتَوْا على ربهم وكفروا ومنه قول الراجز:

وَقَدْ أرَانِي بالدّيارِ مُتْرَفا

وقوله: ما هَذَا إلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يقول: قالوا: بعث الله صالحا إلينا رسولاً من بيننا, وخصه بالرسالة دوننا, وهو إنسان مثلنا يأكل مما نأكل منه من الطعام ويشرب مما نشرب, وكيف لم يرسل ملَكا من عنده يبلغنا رسالته؟ قال: وَيَشرِبُ مِمّا تَشْرَبُونَ معناه: مما تشربون منه, فحذف «من» الكلام «منه», لأن معنى الكلام: ويشرب من شرابكم, وذلك أن العرب تقول: شربت من شرابك.

الآية : 34 - 35

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مّثْلَكُمْ إِنّكُمْ إِذاً لّخَاسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنّكُمْ إِذَا مِتّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظاماً أَنّكُمْ مّخْرَجُونَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملأ من قوم صالح لقومهم: وَلَئِنْ أطَعْتُمْ بَشَرا مثْلَكُمْ فاتبعتموه وقبلتم ما يقول وصدّقتموه. إنّكُمْ أيها القوم إذا لَخاسِرُونَ: يقول: قالوا: إنكم إذن لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة في الدنيا, باتباعكم إياه.

قوله: أيَعِدُكُمْ أنّكُمْ إذَا مِتّمْ وكُنْتُمْ تُرَابا وَعِظاما... الآية, يقول تعالى ذكره: قالوا لهم: أيعدكم صالح أنكم إذا متم وكنتم ترابا في قبوركم وعظاما قد ذهبت لحوم أجسادكم وبقيت عظامها, أنكم مخرجون من قبوركم أحياء كما كنتم قبل مماتكم؟ وأعيدت «أنكم» مرّتين, والمعنى: أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما مخرجون مرّة واحدة, لما فرق بين «أنكم» الأولى وبين خبرها ب«إذا», وكذلك تفعل العرب بكل اسم أوقعت عليه الظنّ وأخواته, ثم اعترضت بالجزاء دون خبره, فتكرّر اسمه مرّة وتحذفه أخرى, فتقول: أظنّ أنك إن جالستنا أنك محسن, فإن حذفت «أنك» الأولى الثانية صلح, وإن أثبتهما صلح, وإن لم تعترض بينهما بشيء لم يجز, خطأ أن يقال: أظنّ أنك جالس. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «أيَعِدُكُمْ إذَا مِتّمْ وكُنْتُمْ تُرَابا وَعِظاما أنّكُمْ مُخْرَجُونَ».

الآية : 36 - 37

القول في تأويل قوله تعالى: {هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلاّ حَيَاتُنَا الدّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ }.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن قول الملأ من ثمود أنهم قالوا: هَيْهاتَ هَيْهاتَ أي بعيد ما توعدون أيها القوم, من أنكم بعد موتكم ومصيركم ترابا وعظاما مخرجون أحياء من قبوركم, يقولون: ذلك غير كائن.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19294ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: هَيْهاتَ هَيْهاتَ يقول: بعيد بعيد.

19295ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزّاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِمَا تُوعَدُونَ قال: يعني البعث.

والعرب تُدخل اللام مع «هيهات» في الاسم الذي يصحبها, وتنزعها منه, تقول: هيات لك هيات, وهيهاتَ ما تبتغي هيهات وإذا أسقطت اللام رفعت الاسم بمعنى هيهات, كأنه قال: بعيد ما ينبغي لك كما قال جرير:

فهَيْهاتَ هَيْهاتَ العَقِيقُ وَمَنْ بِهِوَهَيْهاتَ خِلّ بالعَقِيقِ نُوَاصِلُهْ

كأنه قال: العقيق وأهله, وإنما دخلت اللام مع هيهات في الاسم لأنهم قالوا: «هيهات» أداة غير مأخوذة من فعل, فأدخلوا معها في الاسم اللام, كما أدخلوها مع هلمّ لك, إذ لم تكن مأخوذة من فعل, فإذا قالوا أقبل, لم يقولوا لك, لاحتمال الفعل ضمير الاسم.

واختلف أهل العربية في كيفية الوقف على هيهات, فكان الكسائي يختار الوقوف فيها بالهاء, لأنها منصوبة وكان الفرّاء يختار الوقوف عليها بالتاء, ويقول: من العرب من يخفض التاء, فدلّ على أنها ليست بهاء التأنيث, فصارت بمنزلة دَرَاكِ ونَظَارِ وأما نصب التاء فيهما, فلأنهما أداتان, فصارتا بمنزلة خمسةَ عَشر. وكان الفراء يقول: إن قيل إن كل واحدة مستغنية بنفسها يجوز الوقوف عليها, وإن نصبها كنصب قوله: تُمّتَ جلست وبمنزلة قول الشاعر:

ماوِيّ يَارُبّتَما غارةٍشَعْوَاءَ كاللّذْعَةِ بالمِيسَم

قال: فنصب «هيهات» بمنزلة هذه الهاء التي في «ربت», لأنها دخلت على حرف, على «ربّ» وعلى «ثم», وكانا أداتين, فلم تغيرها عن أداتهما فنصبا.

واختلف القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته قرّاء الأمصار غير أبي جعفر: هَيْهاتَ هَيْهاتَ بفتح التاء فيهما. وقرأ ذلك أبو جعفر: «هَيْهاتِ هَيْهَاتِ» بكسر التاء فيهما. والفتح فيهما هو القراءة عندنا, لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: إِنْ هِيَ إلاّ حَياتُنا الدّنيْا يقول: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نُموتُ ونَحْيا يقول: تموت الأحياء منا فلا تحيا ويحدث آخرون منا فيولدون أحياء. وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثينَ: يقول: قالوا: وما نحن بمبعوثين بعد الممات. كما:

19296ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إِنْ هِيَ إلاّ حَياتُنا الدّنيْا نَمُوتُ وَنحيْا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ قال: يقول ليس آخره ولا بعث, يكفرون بالبعث, يقولون: إنما هي حياتنا هذه ثم

نـموت ولا نـحيا, يـموت هؤلاء ويحيا هؤلاء, يقولون: إنا الناس كالزرع يحصـد هذا وينبت هذا: يقولون: يـموت هـؤلاء ويأتــي آخـرون. وقـرأ: وَقـالَ الّـذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلّكُمْ عَلـى رَجُلٍ يُنَبّئُكُمْ إذَا مُزّقْتـمْ كُلّ مُـمَزّقٍ إنّكُمْ لَفِــي خَــلْقٍ جَدِيدٍ وقرأ: لا تَأتِـينا السّاعَةُ قُلْ بَلـى وَرَبّـي لَتَأتِـيَنّكُمْ.

الآية : 38 - 40

القول في تأويـل قوله تعالـى: {إنْ هُوَ إلاّ رَجُلٌ افتَرَىَ عَلَىَ اللّهِ كَـذِباً وَمَـا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ * قَالَ رَبّ انْصُرْنِي بِمَا كَذّبُونِ * قَالَ عَمّـا قَلِيـلٍ لّيُصْـبِحُنّ نَادِمِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: قالوا ما صالـح إلا رجل اختلق علـى الله كذبـا فــي قوله ما لكم من إله غير الله وفـي وعده إياكم أنكـم إذا متــم وكنتــم ترابــا وعظاما أنكم مُخْرجون. وقوله: هُوَ من ذكر الرسول, وهو صالـح. وَما نَــحْنُ لَهُ بِـمُؤْمِنِـينَ يقول: وما نـحن له بـمصدّقـين فـيـما يقول أنـه لا إلـه لنـا غيـر الله, وفـيـما يعدنا من البعث بعد الـمـمات. وقوله: قالَ رَبّ انْصُرْنِــي بِــمَا كَذّبُونِ يقول: قال صالـح لـما أيس من إيــمان قـومه بــالله ومـن تصـديقهم إياه بقولهم وَما نَـحْنُ لَهُ بِـمُؤْمِنِـينَ: ربّ انْصُرْنِـي علــى هـؤلاء بــما كَـذّبُونِ يقول: بتكذيبهم إياي فـيـما دعوتهم إلـيه من الـحقّ. فـاستغاث صلوات اللــه علـيه بربه من أذاهم إياه وتكذيبهم له, فقال الله له مـجيبـا فـي مسئلته إياه ما سأل: عن قلـيـل يا صالـح لـيصبحُنّ مكـذّبوك مـن قومـك علــى تكـذيبهم إياك نادمين, وذلك حين تَنزل بهم نقمتنا فلا ينفعهم الندم.

الآية : 41

القول في تأويـل قوله تعالـى: {فَأَخَـذَتْهُمُ الصّـيْحَةُ بِـالْحَقّ فَجَعَلْنَـاهُمْ غُثَـآءً فَبُعْداً لّلْقَوْمِ الظّالِمِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: فـانتقمنا منهم, فأرسلنا علــيهم الصيحة فأخـذتهم بـالــحقّ وذلـك أن اللـه عـاقبهم بـاستــحقاقهم العقـاب منـه بكفرهـم بـه وتكذيبهم رسوله. فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً يقول: فصيرناهم بــمنزلة الغُثـاء, وهـو مـا ارتفع علـى السيـل ونـحوه, كما لا ينتفـع بـه فــي شـيء. فإنــما هـذا مَثَـل, والـمعنى: فأهلكناهم فجعلناهم كالشيء الذي لا منفعة فـيه.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19297ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس: فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً فَبُعْدا لّلْقَوْمِ الظّالِـمِينَ يقول: جعلوا كالشيء الـميت البـالـي من الشجر.

19298ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى. وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابـن أبــي نــجيح, عـن مــجاهد: غُثـاءً كالرميــم الهامـد, الـذي يحتــمل السيـل.

19299ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيج: فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً قال: كالرميـم الهامد الذي يحتـمل السيـل.

19300ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: فجَعَلْناهُمْ غُثاءً قال: هو الشيء البـالـي.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عـن قَتـادة, مثله.

19301ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فجَعَلْناهُمْ غُثاءً قال: هذا مثل ضربه الله.
وقوله: فَبُعْدا لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ يقول: فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم, إذ كفروا بربهم وعَصَوا رسله وظلموا أنفسهم.
19302ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قال: أولئك ثمود, يعني قوله: فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً فَبُعْدا لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ.

الآية : 42 - 43

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ }.
يقول تعالى ذكره: ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قوما آخرين. وقوله: ما تَسْبِقُ مِنْ أُمّةٍ أَجَلَها يقول: ما يتقدم هلاك أمة من تلك الأمم التي أنشأناها بعد ثمود قبل الأجل الذي أجلنا لهلاكها, ولا يستأخِر هلاكها عن الأجل الذي أجلنا لهلاكها والوقت الذي وقتنا لفنائها ولكنها تهلك لمجيئه. وهذا وعيد من الله لمشركي قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإعلام منه لهم أن تأخيره في آجالهم مع كفرهم به وتكذيبهم رسوله, ليبلغوا الأجل الذي أجّل لهم فيحلّ بهم نقمته, كسنته فيمن قبلهم من الأمم السالفة.

الآية : 44

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلّ مَا جَآءَ أُمّةً رّسُولُهَا كَذّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لّقَوْمٍ لاّ يُؤْمِنُونَ }.
يقول تعالى ذكره: ثُمّ أرْسَلْنا إلى الأمم التي أنشأنا بعد ثمود رُسُلَنا تَتْرَى يعني: يتبع بعضها بعضا, وبعضها في أثر بعض. وهي من المواترة, وهي اسم لجمع مثل «شيء», لا يقال: جاءني فلان تترى, كما لا يقال: جاءني فلان مواترة, وهي تنوّن ولا تنوّن, وفيها الياء, فمن لم ينوّنها فَعْلَى من وترت, ومن قال «تترا» يوهم أن الياء أصلية كما قيل: مِعْزًى بالياء, ومَعْزا ويُهْمَى بُهْما ونحو ذلك, فأجريت أحيانا وترك إجراؤها أحيانا, فمن جعلها «فَعْلَى» وقف عليها, أشاء إلى الكسر, ومن جعلها ألف إعراب لم يشر, لأن ألف الإعراب لا تكسر, لا يقال: رأيت زيدا, فيشار فيه إلى الكسر.
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
19303ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ أرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرَى يقول: يَتْبع بعضها بعضا.
حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: ثُمّ أرْسَلْنا رُسُلَنا تتْرَى يقول: بعضها على أثر بعض.
19304ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى. وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: تَتْرَى قال: اتباع بعضها بعضا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: ثُمّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرَى قال: يتبع بعضها بعضا.

19305ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ثُمّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرَى قال: بعضهم على أثر بعض, يتبع بعضهم بعضا.

واختلفت قرّاء الأمصار في قراءة ذلك, فقرأ ذلك بعض قرّاء أهل مكة وبعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة: «تَتْرًى» بالتنوين. وكان بعض أهل مكة وبعض أهل المدينة وعامة قرّاء الكوفة يقرءونه: تَتْرَى بإرسال الياء على مثال «فَعْلَى». والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان, ولغتان معروفتان في كلام العرب بمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب غير أنّي مع ذلك أختار القراءة بغير تنوين, لأنه أفصح اللغتين وأشهرهما.

وقوله: كُلّما جاءَ أُمّةً رَسُولُهَا كَذّبُوهُ يقول: كلما جاء أمة من تلك الأمم التي أنشأناها بعد ثمود رسولها الذي نرسله إليهم, كذّبوه فيما جاءهم به من الحقّ من عندنا. وقوله: فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضا يقول: فأتبعنا بعض تلك الأمم بعضا بالهلاك فأهلكنا بعضهم في إثر بعض. وقوله: وَجَعَلْناهُمْ أحادِيثَ للناس ومثلاً يُتَحدّث بهم, وقد يجوز أن يكون جمع حديث. وإنما قيل: وَجَعَلْناهُمْ أحادِيثَ لأنهم جُعلوا حديثا ومثلاً يُتمثّل بهم في الشرّ, ولا يقال في الخير: جعلته حديثا ولا أحدوثة. وقوله: فَبُعْدا لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ يقول: فأبعد الله قوما لا يؤمنون بالله ولا يصدّقون برسوله.

الآية : 45 -46

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ أَرْسَلْنَا مُوسَىَ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مّبِينٍ * إِلَىَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً عَالِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية, موسى وأخاه هارون إلى فرعون وأشراف قومه من القبط بآياتِنَا يقول: بحججنا, فاسْتَكْبَرُوا عن اتّباعها والإيمان بما جاءهم به من عند الله. وكانُوا قَوْما عالِينَ يقول: وكانوا قوما عالين على أهل ناحيتهم ومن في بلادهم من بني إسرائيل وغيرهم بالظلم, قاهرين لهم.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

19306ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, وقوله: وكانُوا قَوْما عالِينَ قال: عَلَوا على رسلهم وعصَوا ربهم ذلك علوّهم. وقرأ: تِلكَ الدّارُ الآخِرَةُ... الآية.

الآية : 47 - 48

القول في تأويل قوله تعالى: {فَقَالُوَاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ * فَكَذّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ الْمُهْلَكِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فقال فرعون وملؤه: أنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا فنتبعهما وَقَوْمُهُما من بني إسرائيل لَنا عابِدُونَ يعنون أنهم لهم مطيعون متذللون, يأتمرون لأمرهم ويدينون لهم. والعرب تسمي كل من دان الملك عابدا له, ومن ذلك قيل لأهل الحِيرة: العباد, لأنهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19307ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: قال فرعون: أنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا... الآية, نذهب نرفعهم فوقنا, ونكون تحتهم,

ونـحن الـيوم فـوقهم وهـم تـحتنا, كيـف نصـنع ذلـك؟ وذلـك حيـن أتـوهم بـالرسالة. وقرأ: وَتَكُونَ لَكُما الكِبْرِياءُ فِـي الأَرْضِ قال: العلوّ فـي الأرض.

وقوله: فَكَذّبُوهُما فَكـانُوا مِـنَ الـمُهْلَكِينَ يقـول: فكـذّب فرعـون وملـؤه موسى وهارون, فكانوا مـمن أهلَكَهم الله كما أهلك مـن قبلهـم مـن الأمـم بتكذيبها رسلها.

الآية : 49 - 50

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىَ الْكِتَـابَ لَعَلّهُـمْ يَهْتَـدُونَ * وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَآ إِلَىَ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ }.

يقول تعالـى ذكره: ولقد آتـينا موسى التوراة, لـيهتدي بهـا قومه من بنـي إسرائيـل, ويعلـموا بـما فـيها. وَجَعَلْنا ابْـنَ مَرْيَـمَ وأُمّـهُ يقـول: وجعلنـا ابـن مريـم وأمـه حجـة لنـا علـى مـن كـان بـينهم, وعلـى قـدرتنا علـى إنشـاء الأجسام من غير أصل, كما أنشأنا خـلق عيسى من غير أب. كما:

19308ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الـرزاق, قـال: أخبرنـا مَعْمر, عن قَتادة, فـي قوله: وَجَعَلْنا ابْنَع مَرْيَـمَ وأُمّهُ قال: ولدته من غير أب هو له.

ولذلك وُحّدت الآية, وقد ذكر مريـم وابنها.

وقوله وآوَيْناهما إلـى رَبْوَةٍ يقول: وضمـمناهما وصيرناهما إلـى ربوة, يقال: أوى فلان إلـى موضـع كـذا, فهـو يـأوِي إلـيه. إذا صـار إلـيه وعلـى مثـال «أفعلته» فهو يُؤْويه. وقوله إلـى رَبْوَة يعنـي: إلـى مكان مرتفـع مـن الأرض علـى ما حوله ولذلك قـيـل للرجل يكون فـي رفعة من قـومه وعـزّ وشـرف وعدد: هو فـي ربوة من قومه, وفـيها لغتان: ضمّ الراء وكسرها إذا أريـد بهـا الاسم, وإذا أريد بها الفعلة من الـمصدر قـيـل رَبَـا رَبْوة.

واختلف أهل التأويـل فـي الـمكان الذي وصفه الله بهذه الصفة وآوَى إلـيه مريـم وابنها, فقال بعضهم: هو الرّملة من فلسطين. ذكر من قال ذلك:

19309ـ حدثنـي مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا صفوان بن عيسى, قال: حدثنا بشر بن رافع, قال: ثنـي ابن عمّ لأبـي هريرة, يقال لـه أبـو عبـد اللـه, قال: قال لنا أبو هريرة: الزموا هذه الرملة من فلسطين, فإنها الربوة التـي قال الله: وآوَيْناهُما إلـى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

19310ـ حدثنـي عصام بن رَوّاد بن الـجراح, قال: حدثنا أبـي, قال: حدثنا عبـاد أبو عتبة الـخوّاص, قال: حدثنا يحيى بـن أبــي عمـرو السيبـانــي, عـن ابن وَعْلة, عن كريب, قال: ما أدري ما حدثنا مُرّة النَبْهزيّ, أنه سمع رسـول الله صلى الله عليه وسلم: «ذكر أن الربوة هي الرملة».

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن بشر بن رافع, عن أبـي عبد الله بن عمّ أبـي هريرة, قال: سمعت أبـا هريرة يقول فـي قول اللـه: إلـى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ قال: هي الرملة من فلسطين.

حدثنا ابن بشّار, قال: حدثنا صفوان, قال: حدثنا بشر بن رافع, قال: حدثنا أبو عبد الله ابن عمّ, أبــي هريـرة, قـال: قـال لنـا أبـو هريـرة: الزمـوا هـذه الرملة التـي بفلسطين, فإنها الربوة التـي قـال اللـه: وآوَيْناهُمـا إلــى رَبْـوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

وقال آخرون: هي دمشق. ذكر من قال ذلك:

19311ـ حدثنا أحمد بن الوليد القرشي, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن يحيى بن سعيد, عن سعيد بن المسيب أنه قال في هذه الآية: وآوَيْناهُما إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ قال: زعموا أنها دمشق.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: بلغني, عن ابن المسيب أنه قال دمشق.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن يحيى بن سعيد, عن سعيد بن المسيب, مثله.

19312ـ حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي, قال: حدثنا ابن بكير, قال: حدثنا الليث بن سعد, قال: ثني عبد الله بن لهيعة, عن يحيى بن سعيد, عن سعيد بن المسيب, في قوله: وآوَيْناهُما إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ قال: إلى ربوة من رُبا مصر. قال: وليس الرّبَا إلاّ في مصر, والماء حين يُرسَل تكون الربَا عليها القرى, لولا الربَا لغرقت تلك القرى.

وقال آخرون: هي بيت المقدس. ذكر من قال ذلك:

19313ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, قال: هو بيت المقدس.

19314ـ قال: ثنامحمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة قال: كان كعب يقول: بيت المقدس أقرب إلى السماء بثمانيةَ عَشَر ميلاً.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن كعب, مثله.

وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك: أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر وليس كذلك صفة الرملة, لأن الرملة لا ماء بها مُعِين, والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومَعِين.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19315ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وآوَيْناهُما إلى رَبْوَةٍ قال: الربوة: المستوية.

19316ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إلى رَبْوَةٍ قال: مستوية.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

وقوله: ذَات قَرَارٍ وَمَعِينٍ يقول تعالى ذكره: من صفة الربوة التي آوينا إليها مريم وابنها عيسى, أنها أرض منبسطة وساحة وذات ماء ظاهر لغير الباطن جارٍ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19317ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَمَعِينٍ قال: المَعِين: الماء الجاري, وهو النهر الذي قال الله: قَدْ جَعَلَ رَبّكَ تَـحْتَكِ سَرِيّا.

19318ـ حدثني محمد بن عمارة الأسديّ, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد, في قوله: ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعينٍ قال: المَعِين: الماء.

حدثني محمد بن عمارة الأسديّ, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: مَعِين, قال: ماء.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.
19319ـ حدثني سليمان بن عبد الجبار, قال: حدثنا محمد بن الصّلْت, قال: حدثنا شريك, عن سالم, عن سعيد, في قوله: ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ قال: المكان المستوى, والمَعِين: الماء الظاهر.
19320ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَمَعِينٍ: هو الماء الظاهر.
وقال آخرون: عُني بالقرار الثمار. ذكر من قال ذلك:
19321ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ هي ذات ثمار, وهي بيت المقدس.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.
قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله قَتادة في معنى: ذَاتِ قَرَارٍ وإن لم يكن أراد بقوله: إنها إنما وصفت بأنها ذات قرار, لما فيها من الثمار, ومن أجل ذلك يستقرّ فيها ساكنوها, فلا وجه له نعرفه. وأما مَعِينٍ فإنه مفعول من عِنْته فأنا أعينه, وهو معين وقد يجوز أن يكون فعيلاً من مَعَن يمعن, فهو معين من الماعون ومنه قول عَبيد بن الأبرص:
وَاهِيَةٌ أَوْ مَعِينٌ مُمْعِنٌأَوْ هَضْبَةٌ دُونَها لُهُوبُ

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الرّسُلُ كُلُواْ مِنَ الطّيّبَاتِ وَاعْمَلُواْ صَالِحاً إِنّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: وقلنا لعيسى: يا أيها الرسل كلوا من الحلال الذي طيّبه الله لكم دون الحرام, وَاعْمَلُوا صَالِحا تقول في الكلام للرجل الواحد: أيها القوم كفوا عنّا أذاكم, وكما قال: الّذِينَ قَالَ لهم النّاسُ, وهو رجل واحد.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
19322ـ حدثني ابن عبد الأعلى بن واصل, قال: ثني عبيد بن إسحاق الضبيّ العطار, عن حفص بن عمر الفزاريّ, عن أبي إسحاق السبيعيّ, عن عمرو بن شرحبيل: يا أيّها الرّسُلُ كُلُوا مِنَ الطّيّباتِ وَاعْمَلُوا صَالحا قال: كان عيسى ابن مريم يأكل من غزل أمه.
وقوله: إنّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ يقول: إني بأعمالكم ذو علم, لا يخفى عليّ منها شيء, وأنا مجازيكم بجميعها, وموفّيكم أجوركم وثوابكم عليها, فخذوا في صالحات الأعمال واجتهدوا.

الآية : 52

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنّ هَـَذِهِ أُمّتُكُمْ أُمّةً وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبّكُمْ فَاتّقُونِ }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَإنّ هَذِهِ أمّتُكُمْ أُمّةً وَاحدَةً, فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة: «وأنّ» بالفتح, بمعنى: إني بما تعملون عليم, وأن هذه أمتكم أمة واحدة. فعلى هذا التأويل «أنّ» في موضع خفض, عطف بها على «ما» من قوله: بِما تَعْمَلُونَ, وقد يحتمل أن تكون في موضع نصب إذا قرىء ذلك كذلك, ويكون معنى الكلام حينئذٍ: واعلموا أن هذه, ويكون نصبها بفعل مضمر. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين بالكسر: وَإنّ هذه على الاستئناف. والكسر في ذلك عندي على الابتداء هو الصواب, لأن الخبر من الله عن قيله لعيسى: يا أيّها الرُسُلُ مبتدأ, فقوله: وَإنّ هَذِهِ مردود عليه عطفا به عليه فكان معنى الكلام: وقلنا لعيسى: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات, وقلنا: وإن هذه أمتكم أمة واحدة. وقيل: إن الأمة الذي في هذا الموضع: الدّين والملة. ذكر من قال ذلك:

19323ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جُرَيج, في قوله: وَإنّ هَذِهِ أُمّتُكُمُ أُمّةً وَاحِدَةً قال: الملة والدين.

وقوله: وأنا رَبّكُمْ فاتّقُونِ يقول: وأنا مولاكم فاتقون بطاعتي تأمنوا عقابي. ونصبت «أمة واحدة» على الحال. وذُكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك رفعا. وكان بعض نحويّي البصرة يقول: رَفْع ذلك إذا رفع على الخبر, ويجعل أمتكم نصبا على البدل من هذه. وأما نحويّو الكوفة فيأبُون ذلك إلاّ في ضرورة شعر, وقالوا: لا يقال: مررت بهذا غلامكم لأن «هذا» لا تتبعه إلاّ الألف واللام والأجناس, لأن «هذا» إشارة إلى عدد, فالحاجة في ذلك إلى تبيين المراد من المشار إليه أيّ الأجناس هو؟ وقالوا: وإذا قيل: هذه أمتكم واحدة, والأمة غائبة وهذه حاضرة, قالوا: فغير جائز أن يبين عن الحاضر بالغائب, قالوا: فلذلك لم يجز: إن هذا زيد قائم, من أجل أن هذا محتاج إلى الجنس لا إلى المعرفة.

الآية : 53

القول في تأويل قوله تعالى: {فَتَقَطّعُوَاْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: زُبُرا فقرأته عامة قرّاء المدينة والعراق: زُبُرا بمعنى جمع الزّبور. فتأويل الكلام على قراءة هؤلاء: فتفرّق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى بالاجتماع على الدين الواحد والملة الواحدة, دينهم الذي أمرهم الله بلزومه زُبُرا كُتُبا, فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذين دان به الفريق الآخر, كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة وكذّبوا بحكم الإنجيل والقرآن, وكالنصارى الذين دانوا بالإنجيل بزعمهم وكذّبوا بحكم الفرقان. ذكر من تأوّل ذلك كذلك:

19324ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة زُبُرا قال: كُتُبا.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.

19325ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: بَيْنَهُمْ زُبُرا قال: كُتُب الله فرّقوها قطعا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: فَتَقَطّعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرا قال مجاهد: كُتُبهم فرّقوها قطعا.

وقال آخرون من أهل هذه القراءة: إنما معنى الكلام: فتفرّقوا دينهم بينهم كُتُبا أحدثوها يحتجّون فيها لمذاهبهم. ذكر من قال ذلك:

19326ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَتَقَطّعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرا كُلّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ قال: هذا ما اختلفوا فيه من الأديان والكتب, كلّ معجبون برأيهم, ليس أهل هواء إلاّ وهم معجبون برأيهم وهواهم وصاحبهم الذي اخترق ذلك لهم.

وقرأ ذلك عامة قرّاء الشام: «فَتَقَطّعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبَرا» بضم الزاء وفتح الباء, بمعنى: فتفرّقوا أمرهم بينهم قِطَعا كزُبَر الحديد, وذلك القِطَع منها, واحدتها زُبْرة, من قول الله: آتُونِي زُبَرَ الحَدِيد فصار بعضهم يهودا وبعضهم نصارى.

والقراءة التي نختار في ذلك: قراءة من قرأه بضم الزاء والباء, لإجماع أهل التأويل في تأويل ذلك على أنه مراد به الكتب, فذلك يبين عن صحة ما اخترنا في ذلك, لأن الزّبُر هي الكتب, يقال منه: زَبَرْت الكتاب: إذ كتبته.

فتأويل الكلام: فتفرّق الذين أمرهم الله بلزوم دينه من الأمم دينهم بينهم كتبا, كما بيّنا قبل.

وقوله: كُلّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ يقول: كل فريق من تلك الأمم بما اختاروه لأنفسهم من الدين والكتب فرحون, معجبون به, لا يرون أن الحقّ سواه. كما:

19327ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: كُلّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ قطعة, وهؤلاء هم أهل الكتاب.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: كُلّ حِزْبٍ قطعة, أهل الكتاب.

الآية : 54 - 55

القول في تأويل قوله تعالى: {فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتّىَ حِينٍ * أَيَحْسَبُونَ أَنّمَا نُمِدّهُمْ بِهِ مِن مّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاّ يَشْعُرُونَ }.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فدع يا محمد هؤلاء الذين تقطّعوا أمرهم بينهم زبرا, في غَمْرَتِهِمْ في ضلالتهم وغيهم, حَتّى حِينٍ يعني إلى أجل سيأتيهم عند مجيئه عذابي.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19328ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حتى حِينٍ قال: في ضلالهم.

19329ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَذَرْهُم فِي غَمْرَتِهِمْ حتى حِينٍ قال: الغَمْرة: الغَمْر.

وقوله: أيَحْسَبُونَ أنّما نُمِدّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَبَنِينٍ يقول تعالى ذكره: أيحسب هؤلاء الأحزاب الذين فرقوا دينهم زُبُرًا, أن الذي نعطيهم في عاجل الدنيا من مال وبنين نُسارِعُ لَهُمْ يقول: نسابق لهم في خيرات الآخرة, ونبادر لهم فيها؟ و «ما» من قوله: أنّمَا نُمِدّهُمْ بِهِ نصب, لأنها بمعنى «الذي». بَلْ لا يَشْعُرُونَ يقول تعالى ذكره تكذيبا لهم: ما ذلك كذلك, بل لا

يعلـمون أن إمدادي إياهم بـما أمدّهم به من ذلك, إنــما هـو إملاء واسـتدراج لهم.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
19330ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: أنّـمَا نُـمِدّهُمْ قـال: نعطيهـم, نسـارع لهـم, قال: نَزيدهم فـي الـخير, نُـمْلـي لهم, قال: هذا لقريش.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.
19331ـ حدثنـي مـحمد بن عمر بن علـيّ, قال: ثنـي أشعث بن عبد الله, قال: حدثنا شعبة, عن خالد الـحذّاء, قال: قلت لعبد الرحمن بن أبـي بكــرة, قول الله: نُسارِعُ لَهُمُ فِـي الـخَيْرَاتِ؟ قال: يسارع لهم فـي الـخيرات.
وكأن عبد الرحمن بن أبـي بكرة وجه بقراءته ذلك كذلك, إلـى أن تأويـله: يسارع لهم إمدادنا إياهم بـالـمال والبنـين فـي الـخيرات.

الآية : 57 - 59

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِنّ الّذِينَ هُم مّنْ خَشْـيةِ رَبّهِـمْ مّشْـفِقُونَ * وَالّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالّذِينَ هُم بِرَبّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ }.
يعنـي تعالـى ذكره: إنّ الّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبّهِمْ مُشْفِقُونَ إن الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون, فهم من خشـيتهم مـن ذلـك دائبون فـي طـاعته جـادّون فــي طلـب مرضـاته. وَالّـذِينَ هُـمْ بآيـاتِ رَبّهـمْ يُؤْمِنُونَ يقول: والذين هم بآيات كتابه وحججه مصدّقون. الذين هُـمْ بِرَبّهِـمْ لا يُشْرِكُونَ يقول: والذين يُخـلصون لربهم عبـادتهم, فلا يجعلون له فـيها لغيره شركا لـوثَن ولا لصنــم, ولا يُـراءون بهـا أحـدا مـن خــلقه, ولكنهـم يجعلـون أعمالهم لوجهه خالصا, وإيـاه يقصـدون بــالطاعة والعبــادة دون كـل شـيء سواه.

الآية : 60 - 61

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَالّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ آتَواْ وّقُلُـوبُهُمْ وَجِلَـةٌ أَنّهُـمْ إِلَىَ رَبّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَـئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ }.
يعنـي تعالـى ذكره بقوله: والّذِينَ يُؤْتُونَ مـا آتَـوْا والـذين يعطـون أهـل سُهْمان الصدقة ما فرض الله لهم فـي أموالهم. ما آتَوْا يعنـي: مـا أعطـوهم إياه من صدقة, ويؤدّون حقوق الله علـيهم فـي أموالهم إلـى أهلها. وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ يقول: خائفة من أنهم إلـى ربهم راجعـون, فلا ينــجيهم مـا فعلـوا مـن ذلك من عذاب الله, فهم خائفون مـن الــمرجع إلــى اللـه لـذلك, كمـا قـال الـحسن: إن الـمؤمن جمع إحسانا وشفقة.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
19332ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفــيان, عن ابن أبجر, عن رجل, عن ابن عمر: يُؤْتُونَ مـا آتَـوْا وَقُلُـوبُهُمْ وَجِلَـةٌ قـال: الزكاة.

19333ـ حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد: وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قال: المؤمن ينفق ماله وقلبه وَجِلٌ.
19334ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي الأشهب, عن الحسن, قال: يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قال: يعملون ما عملوا من أعمال البرّ, وهم يخافون ألاّ ينجيهم ذلك من عذاب ربهم.
19335ـ حدثنا القاسم, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قال: المؤمن ينفق ماله ويتصدّق وقلبه وَجِل أنه إلى ربه راجع.
19336ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن يونس, عن الحسن أنه كان يقول: إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة, وإن المنافق جمع إساءة وأمنا. ثم تلا الحسن: إنّ الّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبّهِمْ مُشْفِقُونَ إلى: وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أنّهُمْ إلى رَبّهِمْ رَاجِعُونَ وقال المنافق: إنما أوتيته على علم عندي.
19337ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين بن واقد, عن يزيد, عن عكرمة: يُؤْتُونَ ما آتَوْا قال: يُعطون ما أعطوا. وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ يقول: خائفة.
19338ـ حدثنا خلاد بن أسلم, قال: حدثنا النضر بن شميل, قال: أخبرنا إسرائيل, قال: أخبرنا سالم الأفطس, عن سعيد بن جبير, في قوله: وَالّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قال: يفعلون ما يفعلون وهم يعلمون أنهم صائرون إلى الموت وهي من المبشّرات.
19339ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة: يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُم وَجِلَةٌ قال: يُعْطُون ما أعطَوا ويعملون ما عملوا من خير, وقلوبهم وجلة خائفة.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.
19340ـ حدثنا عليّ, قال: ثني معاوية, عن ابن عباس, قوله: وَالّذِينَ يَأْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ يقول: يعملون خائفين.
19341ـ قال: حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَالّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قال: يعطون ما أعطوا فَرَقا من الله ووجلاً من الله.
19342ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يُؤْتُونَ ما آتَوْا ينفقون ما أنفقوا.
19343ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قال: يعطون ما أعطوا وينفقون ما أنفقوا ويتصدّقون بما تصدّقوا وقلوبهم وجلة, اتقاء لسخط الله والنار.
وعلى هذه القراءة, أعني على: وَالّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا قرأه الأمصار, وبه رسوم مصاحفهم وبه نقرأ, لإجماع الحجة من القرّاء عليه ووفاقه خطّ مصاحف المسلمين.
ورُوي عن عائشة رضي الله عنها في ذلك, ما:
19344ـ حدثناه أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا عليّ بن ثابت, عن طلحة بن عمر, عن أبي خلف, قال: دخلت مع عبيد بن عمير

على عائشة, فسألها عبيد: كيف نقرأ هذا الحرف وَالّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا؟ فقالت: «يَأْتُونَ ما أَتَوْا».

وكأنها تأوّلت في ذلك والذين يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله. وكأنها تأوّلت في ذلك: والذين يفعلون ما يفعلون م ن الخيرات وهم وجلون من الله, كالذي:

19345ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: حدثنا عمر بن قيس, عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني, عن أبي حازم, عن أبي هريرة, قال: قالت عائشة: يا رسول الله «وَالّذِينَ يَأْتُونَ مَا أَتَوْا وَقُلوبُهُم وَجِلَةٌ» هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه؟ فقال: «لا, وَلَكِنْ مَنْ يَصُومُ وَيُصَلّي ويَتَصَدّقُ وَهُوَ وَجِلٌ».

19346ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن مالك بن مِغْول, عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب, أن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله الّذِينَ يَأْتُونَ ما أَتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أهم الذين يُذنبون وهم مشفقون وَيَصُومُونَ وَهُمْ مُشْفِقُونَ؟

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: حدثنا ليث, عن مغيث, عن رجل من أهل مكة, عن عائشة, قالت: قلت: يا رسول الله: الّذِينَ يَأْتُونَ ما أَتَوْا وَقلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قال: فذكر مثل هذا.

حدثنا سفيان بن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن مالك بن مغول, عن عبد الرحمن بن سعيد, عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله الّذِينَ يَأْتُونَ ما أَتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أهو الرجل يزنى ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: «لا يا ابْنَةَ أبي بَكْرٍ أو يا ابْنَةَ الصّدّيقِ وَلَكِنّهُ الرّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلّي وَيَتَصَدّقُ, وَيخافُ أنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُ».

19347ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني جرير, عن ليث بن أبي سليم, وهشيم عن العوّام بن حَوْشب جميعا, عن عائشة, أنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا ابْنَةَ أبي بَكْرٍ أو يا بْنَةَ الصّدّيقِ هُمُ الّذِينَ يُصَلّونَ وَيَفْرَقُونَ أنْ لا يُتَقَبّلَ منْهُمْ». و «أنّ» م ن قوله: أنّهُمْ إلى رَبّهِمْ رَاجِعُونَ: في موضع نصب, لأن معنى الكلام: وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ من أنهم, فلما حذفت «مِنْ» اتصل الكلام قبلها, فنصبت. وكان بعضهم يقول: هو في موضع خفض, وإن لم يكن الخافض ظاهرا.

وقوله: أُولَئِكَ يُسارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم, يبادرون في الأعمال الصالحة ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته. كما:

19348ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أُولَئِكَ يُسارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ.

وقوله: وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ كان بعضهم يقول: معناه: سبقت لهم من الله السعادة, فذلك سبوقهم الخيرات التي يعملونها. ذكر من قال ذلك:

19349ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَهُمْ لَها سَابِقُونَ يقول: سبقت لهم السعادة.

19350ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَهُمْ لَهَا سابِقُونَ, فتلك الخيرات.

وكان بعضهم يتأوّل ذلك بمعنى: وهم إليها سابقون. وتأوّله آخرون: وهم من أجلها سابقون.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله ابن عباس, من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات, ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها.

وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام لأن ذلك أظهر معنييه, وأنه لا حاجة بنا إذا وجهنا تأويل الكلام إلى ذلك, إلى تحويل معنى «اللام» التي في قوله: وَهُمْ لَهَا إلى غير معناها الأغلب عليها.

الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ نُكَلّفُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولا نكلف نفسا إلاّ ما يَسَعها ويصلح لها من العبادة ولذلك كلّفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله, وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع. وَلَدَيْنا كِتابٌ يَنْطِقُ بالحَقّ يقول: وعندنا كتاب أعمال الخلق بما عملوا من خير وشرّ يَنْطِقُ بِالْحَقّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ يقول: يبين بالصدق عما عملوا من عمل في الدنيا, لا زيادة عليه ولا نقصان, ونحن موفو جميعهم أجورهم, المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته. وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ يقول: وهم لا يظلمون, بأن يزاد على سيئات المسيء منهم ما لم يعمله فيعاقب على غير جُرْمه, وينقص المحسن عما عمل من إحسانه فينقص عما له من الثواب.

الآية : 63

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون, من أن إمدادناهم بما نمدّهم به من مال وبنين, بخير نسوقه بذلك إليهم والرضا منا عنهم ولكن قلوبهم في غمرة عمى عن هذا القرآن. وعنى بالغمرة: ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج. وعنى بقوله: مِنْ هَذَا من القرآن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19351ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا قال: في عَمًى من هذا القرآن.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, في قوله: فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا قال: من القرآن.

وقوله: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ يقول تعالى ذكره: ولهؤلاء الكفار أعمال لا يرضاها الله من المعاصي. مِنْ دُونِ ذَلِكَ يقول: من دون أعمال أهل الإيمان بالله وأهل التقوى والخشية له.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19352ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بَزة, عن مجاهد: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ قال: الخطايا.

19353ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ قال: الحق.

حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلك قال: خطايا من دون ذلك الحقّ.

19354ـ قال: حدثنا حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, في قوله: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ... الآية, قال: أعمال دُون الحق.

19355ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, قال: ذكر الله الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة, ثم قال للكفار: بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ قال: من دون الأعمال التي منها قوله: مِنْ خَشْيَة رَبّهِمْ مُشْفِقُونَ والذين, والذين.

19356ـ حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن العلاء بن عبد الكريم, عن مجاهد, قال: أعمال لا بدّ لهم من أن يعملوها.

19357ـ حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا زيد بن أبي الزرقاء, عن حماد بن سلمة, عن حميد, قال: سألت الحسن عن قول الله: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ قال: أعمال لم يعملوها سيعملونها.

19358ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ قال: لم يكن له بدّ من أن يستوفي بقية عمله, ويَصْلَى به.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, عن الثوريّ, عن العلاء بن عبد الكريم, عن مجاهد, في قوله: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ قال: أعمال لا بدّ لهم من أن يعملوها.

حدثنا عمرو, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن العلاء بن عبد الكريم, عن مجاهد, في قول الله تبارك وتعالى: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ قال: أعمال لا بدّ لهم من أن يعملوها.

الآية : 64 - 65

القول في تأويل قوله تعالى: {حَتّىَ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لاَ تَجْأَرُواْ الْيَوْمَ إِنّكُمْ مّنّا لاَ تُنصَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولهؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون, إلى أن يؤخذ أهل النّعمة والبطر منهم بالعذاب. كما:

19359ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: إذَا أخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ بالعَذابِ, قال: المُتْرَفُون: العظماء. إذَا هُمْ يَجْئَرُونَ يقول: فإذا أخذناهم به جأروا, يقول: ضجّوا واستغاثوا مما حلّ بهم من عذابنا.

ولعلّ الجُؤار: رفع الصوت, كما يجأر الثور ومنه قول الأعشى:

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ المَلِيكِ طَوْرا سُجُودا وَطَوْرا جُؤَارَ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19360ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: إذَا هُمْ يَجأرُونَ يقول: يستغيثون.

19361ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن, قالا: حدثنا سفيان, عن علقمة بن قردد, عن مجاهد, في قوله: حتى إذَا أخَذْنا مُتْرَفِيهم بالعَذَابِ إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ قال: بالسيوف يوم بدر.
19362ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, في قوله: إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ قال: يجزعون.
19363ـ قال: حدثنا حجاج, عن ابن جُرَيج: حتى إذَا أخَذْنا مُتْرَفِيهمْ بالعَذَابِ قال: عذاب يوم بدر. إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ قال: الذين بمكة.
19364ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: حتّى إذَا أخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ بالعَذَابِ يعني أهل بدر, أخذهم الله بالعذاب يوم بدر.
19365ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: سمعت ابن زيد يقول في قوله: إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ قال: يجزعون.
وقوله: لا تَجْأَرُوا اليَوْمَ يقول: لا تضجّوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذي لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم, فإن ضجيجكم غير نافعكم ولا دافع عنكم شيئا مما قد نزل بكم من سخط الله. إنّكُمْ مِنّا لا تُنْصَرُونَ يقول: إنكم من عذابنا الذي قد حلّ بكم لا تستنقذون, ولا يخلصكم منه شيء.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
19366ـ حدثنا القاسم, قال حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس: لا تَجْأَرُوا اليَوْمَ: لا تجزعوا اليوم.
19367ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا الربيع بن أنس: لا تَجْأَرُوا اليَوْمَ لا تجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب, إنه لا ينفعكم, فلو كان هذا الجزع قبلُ نفعكم.

الآية : 66 - 67

القول في تأويل قوله تعالى: {قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىَ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىَ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ }.
يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش: لا تضجوا اليوم وقد نزل بكم سخط الله وعذابه, بما كسبت أيديكم واستوجبتموه بكفركم بآيات ربكم. قَد كانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ يعني: آيات كتاب الله, يقول: كانت آيات كتابي تقرأ عليكم فتكذّبون بها وترجعون مولّين عنها إذا سمعتموها, كراهية منكم لسماعها. وكذلك يقال لكلّ من رجع من حيث جاء: نكص فلان على عقبه.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
19368ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: فَكُنْتُمْ عَلى أعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ قال: تستأخرون.
19369ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَكُنْتُمْ عَلى أعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ يقول: تدبرون.
19370ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: قَدْ كانَتْ آياتي تُتْلَى عَلَيْكُمْ, فَكُنْتُمْ عَلى أعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ يعني أهل مكة.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن. قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: تَنْكِصُونَ قال: تستأخرون.

وقوله: مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ يقول: مستكبرين بحرم الله, يقولون: لا يظهر علينا فيه أحد, لأنا أهل الحرم.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19371ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ يقول: مستكبرين بحرم البيت أنه لا يظهر علينا فيه أحد.

19372ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ قال: بمكة بالبلد.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, نحوه.

19373ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هَوْذة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن: مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ قال: مستكبرين بحرمي.

19374ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن حصين, عن سعيد بن جبير, في قوله: مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ بالحرم.

19375ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ قال: مستكبرين بالحرم.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, عن معمر, عن قَتادة, مثله.

19376ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ قال: بالحرم.

وقوله: سامِرا يقول: تَسْمُرون بالليل. ووحد قوله: سامِرا وهو بمعنى السّمّار, لأنه وضع موضع الوقت. ومعنى الكلام: وتهجُرون ليلاً, فوضع السامر موضع الليل, فوحّد لذلك. وقد كان بعض البصريين يقول: وُحّد ومعناه الجمع, كما قيل: طفل في موضع أطفال. ومما يبين عن صحة ما قلنا في أنه وضع موضع الوقت فوحّد لذلك, قول الشاعر.

مِنْ دُونِهِمْ إنْ جِئْتَهُمْ سَمَراعَزْفُ القِيانِ ومَجْلِسٌ غَمْر

فقال: «سمرا» لأن معناه: إن جئتهم ليلاً وهم يسمُرون, وكذلك قوله: سامِرا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19377ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: سامِرا يقول: يَسْمُرون حول البيت.

19378ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: سامِرا قال: مجلسا بالليل.

حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: سامِرا قال: مجالس.

19379ـ حدثنا ابن بشار, قال: حـدثنا يحيـى, قـال: حـدثنا سفــيان, عـن حُصين, عن سعيد بن جُبـير: سامِرا قال: تَسْمُرون بـاللـيـل.
19380ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: سامِرا قـال: كـانوا يسـمرون لـيــلتهم ويــلعبون: يتكلــمون بــالشعر والكهانة وبـما لا يدرون.
19381ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: سامِرا قال: يعنـي سَمَر اللـيـل.
وقال بعضهم فـي ذلك, ما:
19382ـ حدثنا به ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عـن معمـر, عـن قتادة: سامِرا يقول: سامرا من أهـل الــحرم آمنـا لا يخـاف, كـانوا يقولـون: نـحن أهل الـحرم لا يَخافون.
حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, عن معمر, عـن قتـادة: سـامِرا يقول: سامرا من أهل مكة آمنا لا يخـاف, قـال: كـانوا يقولـون: نــحن أهـل الرحم لا نـخاف.
وقوله: تَهْجُرُونَ اختلفت القرّاء فـي قراءته, فقرأته عامة قـرّاء الأمصـار: تَهْجُرُونَ بفتـح التاء وضم الـجيـم. ولقراءة من قـرأ ذلـك كـذلك وجهـان مـن الـمعنى: أحدهما أن يكون عنى أنه وصفهم بـالإعراض عن القرآن أو البـيت, أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضـه. والآخـر: أن يكـون عنـى أنهـم يقولون شيئا من القول كما يهجُر الرجل فـي منـامه, وذلـك إذا هَـذَى فكـأنه وصفهم بأنهم يقولون فـي القرآن ما لا معنى له من القول, وذلك أن يقولــوا فـيه بـاطلاً من القول الذي لا يضرّه. وقد جاء بكلا القولـين التأويـل من أهل التأويـل. ذكر من قال: كانوا يُعْرِضون عن ذكر الله والـحقّ ويهجُرونه:
19383ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال ثنـي عمي, قـال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: تَهْجُرُونَ قال: يهجُرون ذكر اللـه والـحقّ.
19384ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, عن السديّ, عن أبـي صالـح, فـي قوله: سامرا تَهْجُرُونَ قال: السبّ.
ذكر من قال: كانوا يقولون البـاطل والسيّىء من القول فـي القرآن:
19385ـ حدثنا ابن بشار, قال: حـدثنا يحيـى, قـال: حـدثنا سفــيان, عـن حصين, عن سعيد بن جُبـير: تَهْجرُونَ قال: يهجُرون فـي البـاطل.
قال: حدثنا يحيى, عن سفـيان, عن حصين, عن سعيد بن جبـير: سـامِرا تَهْجُرُونَ قال: يسمرون بـاللـيـل يخوضون فـي البـاطل.
19386ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابـن أبــي نــجيح, عـن مــجاهد: تَهْجُـرُونَ قـال: بــالقول السـيىء فــي القرآن.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.
19387ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: تهْجُرُونَ قال: الهَذَيان الذي يتكلـم بــما لا يريـد, ولا يعقـل كالــمريض الذي يتكلـم بـما لا يدري. قال: كان أبـيّ يقرؤها: سامِرا تَهْجُرُونَ.

وقرأ ذلك آخرون: «سامرا تُهْجِرُونَ» بضم التاء وكسر الجيم. ومن قرأ ذلك كذلك من قرّاء الأمصار نافع بن أبي نعيم, بمعنى: يُفْحِشون في المنطق, ويقولون الخَنَا, من قولهم: أهجر الرجل: إذا أفحش في القول. وذكر أنهم كانوا يسُبّون رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

19388ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: «تُهْجِرُونَ» قال: تقولون هُجْرا.

19389ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبد المؤمن, عن أبي نَهِيك, عن عكرِمة, أنه قرأ: «سامِرا تَهْجِرُونَ»: أي تسبّون.

19390ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوذة, قال: حدثنا عون, عن الحسن, في قوله: «سامِرا تُهْجِرُونَ» رسولي.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, قال: قال الحسن: «تُهْجِرُونَ» رسول الله صلى الله عليه وسلم.

19391ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, عن معمر, عن قتادة: «تُهْجِرُونَ» يقول: يقولون سوءا.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, قال: قال الحسن: «تُهْجِرُونَ» كتاب الله ورسوله.

19392ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «تُهْجِرُونَ»يقول: يقولون المنكر والخَنَا من القول, كذلك هَجْر القول.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا القراءة التي عليها قرّاء الأمصار, وهي فتح التاء وضم الجيم, لإجماع الحجة من القرّاء.

الآية : 68 - 70

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَدّبّرُواْ الْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُمْ مّا لَمْ يَأْتِ آبَآءَهُمُ الأوّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنّةٌ بَلْ جَآءَهُمْ بِالْحَقّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقّ كَارِهُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه, فيعلموا ما فيه من العبر, ويعرفوا حجج الله التي احتجّ بها عليه فيه؟ أمْ جاءَهُمْ ما لَمْ يَأْتِ آباءَهُمُ الأوّلِينَ؟ يقول: أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم, فاستكبروا ذلك وأعرضوا, فقد جاءت الرسل من قبلهم, وأنزلت معهم الكتب. وقد يحتمل أن تكون «أم» في هذا الموضع بمعنى: «بل», فيكون تأويل الكلام: أفلم يدبّروا القول؟ بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأوّلين, فتركوا لذلك التدبر وأعرضوا عنه, إذ لم يكن فيمن سلف من آباءهم ذلك. وقد ذُكر عن ابن عباس في نحو هذا القول, ما:

19393ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عكرِمة, عن ابن عباس, في قوله: أفَلَمْ يَدّبّرُوا القَوْلَ أمْ جاءَهُمْ ما لَمْ يَأتِ آباءَهُمُ الأوّلِينَ قال: لعمري لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الأوّلين, ولكن أو لم يأتهم ما لم يأت آباءهم الأوّلين.

وقوله: أمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ يقول تعالى ذكره: أم لم يعرف هؤلاء المكذّبون محمدا, وأنه من أهل الصدق والأمانة, فَهُمْ له مُنْكِرُونَ يقول: فينكروا قوله, أو لم يعرفوه بالصدق, ويحتجوا بأنهم لا يعرفونه. يقول

جلّ ثناؤه: فكيف يُكَذّبونه وهم يعرفونه فيهم بالصدق والأمانة. أمْ يَقُولُونَ بِهِ جنّةٌ يقول: أيقولون بمحمد جنون, فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يُفهم ولا يَدْرِي ما يقول: بَلْ جاءَهُمْ بالحَقّ يقول تعالى ذكره: فإن يقولوا ذلك فكَذِبُهم في قيلهم ذلك واضح بيّن وذلك أن المجنون يَهذِي فيأتي من الكلام بما لا معنى له, ولا يعقل ولا يفهم, والذي جاءهم به محمد هو الحكمة التي لا أحكم منها والحقّ الذي لا تخفى صحته على ذي فطرة صحيحة, فكيف يجوز أن يقال: هو كلام مجنون؟ وقوله: وأكْثَرُهُمْ للْحَقّ كارِهُونَ يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ولا أن محمدا عندهم مجنون, بل قد علموه صادقا محقّا فيما يقول وفيما يدعوهم إليه, ولكن أكثرهم للإذعان للحقّ كارهون ولأتباع محمد ساخطون, حسدا منهم له وبغيا عليه واستكبارا في الأرض.

الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوِ اتّبَعَ الْحَقّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ السّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مّعْرِضُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولو عمل الربّ تعالى ذكره بما يهوَى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم وترك الحقّ الذي هم له كارهون, لفسدت السموات والأرض ومن فيهنّ وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الأمور والصحيحَ من التدبير والفاسد. فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع إيثار أكثرهم الباطل على الحقّ, لم تقرّ السموات والأرض ومن فيهنّ من خلق الله, لأن ذلك قام بالحقّ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19394ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا السديّ, عن أبي صالح: وَلَوِ اتّبَعَ الحَقّ أهْوَاءَهُمْ قال: الله.

قال: حدثنا أبو معاوية, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح: وَلَوِ اتّبَعَ الحَقّ أهْوَاءَهُمْ قال: الحقّ: هو الله.

19395ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: وَلَوِ اتّبَعَ الحَقّ أهْوَاءَهُمْ قال: الحقّ: الله.

وقوله: بَلْ أتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ اختلف أهل التأويل في تأويل الذكر في هذا الموضع, فقال بعضهم: هو بيان الحقّ لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن. ذكر من قال ذلك:

19396ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: بَلْ أتَيْناهُمْ بِذِكْرِهِمْ يقول: بيّنا لهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل أتيناهم بشَرَفهم وذلك أن هذا القرآن كان شَرَفا لهم, لأنه نزل على رجل منهم, فأعرضوا عنه وكفروا به. وقالوا: ذلك نظير قوله وَإنّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وهذان القولان متقاربا المعنى. وذلك أن الله جلّ ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بيّن فيه ما لخلقه إليه الحاجة من أمر دينهم, وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه وشَرَف لهم.

الآية : 72 - 73

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرّازِقِينَ * وَإِنّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خَراجا, يعني أجرا على ما جئتهم به من عند الله من النصيحة والحقّ فَخَرَاجُ رَبّكَ خَيْرٌ: فأجر ربك على نفاذك لأمره, وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك, ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم على ما أتاهم به من عند الله أجرا, قال لهم كما قال الله له, وأمره بقيله لهم: قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُربى وإنما معنى الكلام: أم تسألهم على ما جئتهم به أجرا, فنكصُوا على أعقابهم إذا تلوتَه عليهم, مستكبرين بالحرم, فخراج ربك خير.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19397ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن: أمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجا فخَرَاجُ رَبّكَ خَيْرٌ قال: أجرا.

حدثنا الحسن, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر عن الحسن, مثله.

وأصل الخراج والخَرْج: مصدران لا يُجْمعان.

وقوله: وَهُوَ خَيْرُ الرّازِقِينَ يقول: والله خير من أعطى عوضا على عمل ورزق رزقا.

وقوله: وَإنّكَ لَتَدْعُوهُمْ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك إلى دين الإسلام, وهو الطريق القاصد والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

الآية : 74 - 75

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنّ الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالاَخِرَةِ عَنِ الصّرَاطِ لَنَاكِبُونَ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مّن ضُرّ لّلَجّواْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }.

يقول تعالى ذكره: الذين لا يصدّقون بالبعث بعد الممات, وقيام الساعة, ومجازاة الله عباده في الدار الآخرة عَنِ الصّراطِ لَناكِبُونَ يقول: عن مَحَجّة الحق وقصد السبيل, وذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده لَعادِلُونَ, يقال منه: قد نكب فلان عن كذا: إذا عدل عنه, ونكّب عنه: أي عدل عنه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19398ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء الخراسانيّ, عن ابن عباس, قوله: عَنِ الصّرَاطِ لَناكِبُونَ قال: لعادلون.

حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَإنّ الّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرَةِ عَنِ الصّراطِ لَناكِبُونَ يقول: عن الحقّ عادلون.

وقوله: وَلَوْ رَحِمْناهُمْ وكَشَفْنا ما بِهِمْ مِنْ ضُرَ يقول تعالى: ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة, ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجدب وضرّ الجوع والهزال لَلَجّوا فِي طُغْيانهِمْ يعني في عتوّهم وجرأتهم على ربهم. يَعْمَهُونَ يعني: يتردّدون كما:

19399ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, في قوله: وَلَوْ رَحِمْناهُمْ وكَشَفْنا ما بِهِمْ مِنْ ضُرَ قال: الجوع.

الآية : 76

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُواْ لِرَبّهِمْ وَمَا يَتَضَرّعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا, وأنزلنا بهم بأسنا, وسخطنا وضيّقنا عليهم معايشهم, وأجدبنا بلادهم, وقتلنا سراتهم بالسيف. فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبّهِمْ يقول: فما خضعوا لربهم فينقادوا لأمره ونهيه ويُنيبوا إلى طاعته. وَما يَتَضَرّعُونَ يقول: وما يتذللون له.

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذ الله قريشا بسني الجدب, دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

19400ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا أبو تميلة, عن الحسن, عن يزيد, عن عكرِمة, عن ابن عباس, قال: جاء أبو سفيان إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: يا محمد, أنْشُدُكَ الله والرحم, فقد أكلنا العِلْهِز يعني الوبر والدم. فأنزل الله: وَلَقَدْ أخَذْناهُمْ بالعَذَابِ, فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبّهِمْ وَما يَتَضَرّعُونَ.

19401ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبد المؤمن, عن عِلباء بن أحمر, عن عِكرمة, عن ابن عباس: أن ابن أُثالٍ الحنفيّ لما أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو أسير, فخلّى سبيله, فلحق بمكة, فحال بين أهل مكة وبين الـمِيرة من اليمامة, حتى أكلت قريش العِلْهِزَ, فجاء أبو سفيان إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: أليس تزعم بأنك بُعثت رحمة للعالمين؟ فقال: «بَلى» فقال: قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فأنزل الله: وَلَقَدْ أخَذْناهُمْ بالعَذَابِ... الآية.

19402ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: أخبرنا عمرو, قال: قال الحسن: إذا أصاب الناس من قبل الشيطان بلاء فإنما هي نقمة, فلا تستقبلوا نقمة الله بالـحَمِيّة ولكن استقبلوها بالاستغفار, وتضرّعوا إلى الله. وقرأ هذه الآية: وَلَقَدْ أخَذْناهُمْ بالعَذَابِ فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبّهِمْ وَما يَتَضَرّعونَ.

19403ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: وَلَقَد أخَذْناهُمْ بالعَذَابِ قال: الجوع والجدب. فَمَا اسْتَكانُوا لرَبّهِمْ فصبروا. وما اسْتَكانُوا لرَبّهِم وَما يَتَضَرّعُونَ.

الآية : 77

القول في تأويل قوله تعالى: {حَتّىَ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب القتال فقتلوا يوم بدر. ذكر من قال ذلك:

19404ـ حدثني إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا خالد بن عبد الله, عن داود بن أبي هند, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, في قوله: حتى إذَا فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ قد مضى, كان يوم بدر.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: ثنـي عبد الأعلـى, قال: حدثنا داود, عن علـيّ بن أبـي طلـحة, عن ابن عبـاس مثله.
19405ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ن ابـ ن جُرَيج: حتـى إذَا فَتَـحْنا عَلَـيْهِمْ بـابـا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ قال: يوم بدر.
وقال آخرون: معناه: حتـى إذا فتـحنا علـيهم بـاب الـمـجاعة والضرّ, وهـو البـاب ذو العذاب الشديد. ذكر من قال ذلك:
19406ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: حتـى إذَا فَتَـحْنا عَلَـيْهِمْ بـابـا ذَا عَـذَابٍ شَدِيدٍ قال: لكفـار قريش الـجوع, وما قبلها من القصة لهم أيضا.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, بنـحوه, إلاّ أنه قال: وما قبلها أيضا.
وهذا القول الذي قاله مـجاهد: أولـى بتأويـل الآيـة, لصـحة الـخبر الـذي ذكرناه قبل عن ابن عبـاس, أن هذه الآية نزلت علـى رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم فـي قصة الـمـجاعة التـي أصابت قريشا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم علـيهم, وأمر ثمامة بن أثال وذلك لا شكّ أنه كان بعـد وقعـة بدر.
وقوله: إذَا هُمْ فِـيهِ مُبْلِسُونَ يقول: إذا هؤلاء الـمشركون فـيـما فتـحنا علـيهم من العذاب حَزَانَى نادمون علـى ما سلف منهم فـي تكـذيبهم بآيـات الله, فـي حين لا ينفعهم الندم والـحزن.

الآية : 78

القول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {وَهُـوَ الّـذِيَ أَنْشَـأَ لَكُـمُ السّـمْعَ وَالأبْصَـارَ وَالأفْئِدَةَ قَلِيلاً مّا تَشْكُرُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: والله الذي أحدث لكم أيها الـمكذّبون بـالبعث بعـد الـمـمات, السمع الذي تسمعون به, والأبصار التـي تبصـرون بهـا, والأفئـدة التـي تفقهون بها, فكيف يتعذّر علـى من أنشأ ذلك ابتـداء عـادته بعـد عـدمه وفقده, وهو الذي يوجد ذلك كله إذا شاء ويفنـيه إذا أراد. قَلِـيلاً ما تَشْـكُرُونَ يقول: تشـكرون أيهـا الـمكذّبون خـبر اللـه مـن عطـائكم السـمع والأبصـار والأفئدة قلـيلاً.

الآية : 79

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَهُوَ الّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: والله الذي خـلقكم فـي الأرض وإلـيه تُـحْشَرون من بعد مـماتكم, ثم تُبعثون من قبوركم إلـى موقـف الـحساب.

الآية : 80

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَهُوَ الّذِي يُحْيِي وَيُمِيـتُ وَلَـهُ اخْتِلاَفُ اللّيْـلِ وَالنّهَارِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: والله الذي يحيـي خـلقه يقول: يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نُطَفـا أمواتا, بنفخ الروح فـيها بعد التارات التـي تأتـي علـيها. ويُـمِيتُ يقول: ويـميتهم بعد أن أحياهم. وَلَهُ اخْتِلافُ اللّـيْـلِ والنّهارِ يقول: وهو الـذي جعل اللـيـل والنهار مختلفـين, كما يقـال فـي الكَلام: لـكَ الـمنّ والفضـل,

بـمعنى: إنـك تَــمُنّ وتُفْضِـلْ. وقـوله: أفَلا تَعْقِلُـونَ يقـول: أفلا تعقلـون أيهـا الناس أن الذي فعل هذه الأفعال ابتداء من غير أصـل لا يــمتنع علــيه إحيـاء الأموات بعد فنائهم وإنشاء ما شاء إعدامه بعد إنشائه.

الآية : 81 - 82

القول فـي تأويـل قولهِ تعالـى: {بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ الأوّلُـونَ * قَـالُوَاْ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنّا لَمَبْعُوثُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: ما اعتبر هؤلاء الـمشركون بآيات الله ولا تَدَبّروا مـا احتـجّ علـيهم من الـحجج والدلالة علـى قدرته علـى فعل كلّ ما يشاء ولكــن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الأمـم الـمكذّبة رسلها قبلهم. قالُوا أئِـذَا مِتْنـا وكُنّا تُرَابـا وَعِظاما يقول: أئذا متنا وعـدنا ترابــا قـد بلــيت أجسـامنا وبـرأت عظامنا من لـحومنا, أَئِنّا لَـمَبْعُوثُونَ يقول: إنـا لــمبعوثون مـن قبورنـا أحيـاء كهيئتنا قبل الـمـمات؟ إن هذا لشيء غير كائن.

الآية : 83

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {لَقَدْ وُعِـدْنَا نَحْـنُ وَآبَآؤُنَـا هَـذَا مِـن قَبْـلُ إِنْ هَـذَآ إِلاّ أَسَاطِيرُ الأوّلِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: قالوا: لقد وعدنا هذا الوعد الـذي تعـدنا يـا مــحمد, ووعد آبـاءنا من قبلنا قوم ذكروا أنهم لله رسل من قبلك, فلـم نـره حقــيقة أن هذا يقول: ما هذا الذي تعدنا من البعث بعد الـمـمات إلاّ أساطِيرُ الأوّلِـينَ يقول: ما سطّره الأوّلون فـي كتبهم من الأحاديث والأخبـار التـي لا صحة لها ولا حقـيقة.

الآية : 84 - 85

القول فـي تأويـل قولهِ تعالـى: {قُل لّمَنِ الأرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُــونَ * سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكّرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسـلم: قـل يـا مــحمد لهؤلاء الـمكذّبـين بـ الآخرة مـن قومـك: لــمن ملـك الأرض ومـ ن فـيها مـ ن الـخـلق إن كنتـم تعلـمون مَنْ مالكها؟ ثـم أعلــمه أنهـم سـيقرّون بأنهـا للـه ملكا, دون سائر الأشياء غيره. قُلْ أفَلا تَذَكّرُونَ يقول: فقل لهـم إذا أجـابوك بذلك كذلك: أفلا تذكرون فتعلـمون أن من قدر علـى خـلق ذلـك ابتـداء فهـو قادر علـى إحيائهم بعد مـماتهم وإعادتهم خـلقا سويّا بعد فنائهم؟

الآية : 86 - 87

القول فـي تأويـل قولهِ تعالـى: {قُلْ مَن رّبّ السّمَاوَاتِ السّبْعِ وَرَبّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتّقُونَ }.

يقولَ تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا مـحمد: من ربّ السموات السبع, وربّ العرش الـمـحيط بذلك؟ سيقولون: ذلك كله لله, وهو ربه. فقل لهم: أفلا تتقون عقابه علـى كفركـم بـه وتكـذيبكم خـبره وخبر رسوله؟

وقد اختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: سَيَقُولُونَ لِلّهِ فقرأ ذلك عامـة قـرّاء الـحجاز والعراق والشام: سَـيَقُولُونَ لِلّـهِ سـوى أبــي عمـرو, فـإنه خـالفهم فقرأه: «سَيَقُولُونَ اللّهُ» فـي هذا الـموضع, وفـي الآخر الذي بعـده, اتبــاعا لـخط الـمصحف, فإن ذلك كذلك فــي مصـاحف الأمصـار إلاّ فــي مصـحف أهل البصرة, فـإنه فــي الــموضعين بــالألف, فقـرءوا بــالألف كلّهـا اتبــاعا

لخط مصحفهم. فأما الذين قرءوه بالألف فلا مؤنة في قراءتهم ذلك كذلك, لأنهم أجروا الجواب على الابتداء وردّوا مرفوعا على مرفوع. وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم: قل من ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم؟ سيقولون ربّ ذلك الله. فلا مؤنة في قراءة ذلك كذلك. وأما الذين قرءوا ذلك في هذا والذي يليه بغير ألف, فإنهم قالوا: معنى قوله قُلْ مَنْ رَبّ السّمَوَاتِ لمن السموات؟ لمن ملك ذلك؟ فجعل الجواب على المعنى, فقيل: لله لأن المسألة عن ملك ذلك لمن هو؟ قالوا: وذلك نظير قول قائل لرجل: مَن مولاك؟ فيجيب المجيب عن معنى ما سئل, فيقول: أنا لفلان لأنه مفهوم بذلك من الجواب ما هو مفهوم بقوله: مولاي فلان. وكان بعضهم يذكر أن بعض بني عامر أنشده:

وأعْلَمُ أنّنِي سأكُونُ رَمْساإذَا سارَ النّوَاجِعُ لا يَسِيرُ
فَقالَ السّائِلُونَ لَمِنْ حَفَرْتُمْفَقالَ المُخْبِرُونَ لَهُمْ: وَزِيرُ

فأجاب المخفوض بمرفوع, لأن معنى الكلام: فقال السائلون: من الميت؟ فقال المخبرون: الميت وزير فأجابوا عن المعنى دون اللفظ.

والصواب من القراءة في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القرّاء, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. غير أني مع ذلك أختار قراءة جميع ذلك بغير ألف, لإجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك سوى خط مصحف أهل البصرة.

الآية : 88 - 89

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجْيِرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ فَأَنّىَ تُسْحَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا امحمد: من بيده خزائن كلّ شيء؟ كما:

19407ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: مَلَكُوتُ كُلّ شَيْءٍ قال: خزائن كلّ شيء.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن مجاهد, في قول الله: قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلّ شَيْءٍ قال: خزائن كلّ شيء.

وقوله: وَهُوَ يُجِيرُ من أراد ممن قصده بسوء. وَلا يُجارُ عَلَيْهِ يقول: ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء فيدفع عنه عذابه وعقابه. إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ من ذلك صفته, فإنهم يقولون: إن ملكوت كلّ شيء والقدرة على الأشياء كلها لله. فقل لهم يا محمد: فَأنّى تُسْحَرُونَ يقولون: فمن أيّ وجه تُصْرَفون عن التصديق بآيات الله والإقرار بأخباره وأخبار رسوله والإيمان بأن الله القادر على كل ما يشاء وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم, مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته؟

وكان ابن عباس فيما ذُكر عنه يقول في معنى قوله تُسْحَرُونَ ما:

19408ـ حدثني به عليّ, قال: حدثنا عبد الله قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَأنّى تُسْحَرُونَ يقول: تكذبون.

وقد بيّنت فيما مضى السّحْر: أنه تخييل الشيء إلى الناظر أنه على خلاف ما هو به من هيئته, فذلك معنى قوله: فَأنّى تُسْحَرُونَ إنما معناه:

فمن أيّ وجه يُخَيـلّ إلـيكم الكـذب حقّـا والفــاسد صـحيحا, فتصـرفون عـن الإقرار بـالـحقّ الذي يدعوكم إلـيه رسولنا مـحمد صلى الله عليه وسلم.

الآية : 90 - 92

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقّ وَإِنّهُمْ لَكَاذِبُونَ * مَا اتّخَذَ اللّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـهٍ إِذاً لّذَهَبَ كُلّ إِلَـهٍ بِمَا خَلَـقَ وَلَعَلاَ بَعْضُـهُمْ عَلَىَ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللّهِ عَمّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْـبِ وَالشّـهَادَةِ فَتَعَـالَىَ عَمّـا يُشْرِكُونَ }.

يقول: ما الأمر كما يزعم هؤلاء الـمشركون بـالله من أن الـملائكة بناتُ الله وأن الآلهة والأصنام آلهة دون الله. بَلْ أَتَـيْناهُمْ بـالْـحَقّ الـيقـين, وهـو الدين الذي ابتعث الله به نبـيه صلى الله عليه وسلم, وذلك الإسلام, ولا يُعْبَد شيء سوى الله لأنـه لا إلـه غيـره. وإنّهُـمْ لَكـاذِبُونَ يقـول: وإن الـمشركين لكاذبون فـيـما يضيفون إلـى الله ويَنْـحَلُونه من الولد والشريك.

وقوله: ما اتّـخَذَ اللّهُ منْ وَلَدٍ يقول تعالـى ذكره: مـا للـه مـن ولـد, ولا كـان معه فـي القديـم ولا حين ابتدع الأشياء مَنْ تصلـح عبـادته, ولو كان معه فـي القديـم أو عند خـلقه الأشياء مَنْ تصلـح عبـادته مِنْ إلهٍ إذا لَذَهَب يقول: إذن لاعتزل كلّ إلـه منهـم بِــما خَــلَقَ مـن شـيء, فــانفرد بـه, ولتغـالبوا, فلَعَلا بعضهم علـى بعض, وغلـب القـويّ منهـم الضـعيف لأن القـويّ لا يرضـى أن يعلُوَه ضعيف, والضعيف لا يصلـح أن يكون إلها. فسبحان الله ما أبلغهـا مـن حجة وأوجزها لـمن عقل وتدبر وقوله: إذا لَذَهَبَ جواب لـمـحذوف, وهو: لو كان معه إله إذن لذهب كل إله بـما خـلق اجتزىء بدلالة ما ذكـر علــيه عنـه, وقوله: سُبْحانَ اللّهِ عَمّا يَصِفُونَ يقول تعالـى ذكره: تنزيها لله عما يصفه بــه هؤلاء الـمشركون من أن له ولدا, وعما قالوه من أن له شـريكا, أو أن معـه فـي القدم إلها يُعبد, تبـارك وتعالـى.

وقوله: عالِـمُ الغَيْبِ والشّهادَةِ يقول تعالـى ذكره: هو عالـم ما غاب عن خـلقه من الأشياء, فلـم يَرَوْه ولـم يشاهدوه, وما رأوه وشاهدوه. إنــما هـذا من الله خبر عن هؤلاء الذين قالوا من الـمشركين: اتـخذ اللـه ولـدا وعبـدوا من دونـه آلهـة, أنهـم فـيــما يقولـون ويفعلـون مُبْطِلـون مخطئـون, فـإنهم يقولون ما يقولون من قول فـي ذلك عن غير علـم, بل عـن جهـل منهـم بـه وإن العالـم بقديــم الأمـور وبحـديثها وشـ اهدها وغائبها عنهـم, اللـه الـذي لا يخفـى علـيه شيء, فخبره هو الـحق دون خبرهم. وقال: عالـمُ الغَيْب فرفع علـى الابتداء, بـمعنى: هو عالـم الغيـب, ولـذلك دخـلت الفــاء فــي قـوله: فَتَعالَــى كمـا يقـال: مـررت بأخيـك الـمــحسنُ فأحسـنت إلــيه, فـترفع الـمـحسن إذا جعلت فأحسنت إلـيه بـالفـاء, لأن معنى الكلام إذا كان كذلك: مررت بأخيك هو الـمـحسن, فأحسنت إلـيه. ولو جعل الكلام بـالواو فقـيـل: وأحسنت إلـيه, لـم يكن وجه الكلام فــي «الـمــحسن» إلاّ الــخفض علــى النعت للأخ, ولذلك لو جاء «فتعالــى» بــالواو كـان وجـه الكلام فــي عالــم الغيب الـخفض علـى الاتبـاع لإعراب اسم اللـه, وكـان يكـون معنـى الكلام: سبحان الله عالـم الغيب والشهادة وتعالـى فـيكون قوله: «وتعالـى» حينئـذٍ معطوفـا علـى «سبحان الله». وقد يجوز الـخفض مع الفـاء, لأن العرب قـد تبدأ الكلام بـالفـاء, كابتدائها بـالواو. وبـالـخفض كان يقرأ: عَالِـمِ الغَيْب فـي هذا الـموضع أبو عمرو, وعلـى خلافه فـي ذلك قَرَأة الأمصار.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: الرفع, لمعنيين: أحدهما: إجماع الحجة من القرّاء عليه, والثاني: صحته في العربية.

وقوله: فَتَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ يقول تعالى ذكره: فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين, ووصفهم إياه بما يصفون.

الآية : 93 - 95

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل رَّبِّ إِمّا تُرِيَنّي مَا يُوعَدُونَ * رَبّ فَلاَ تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظّالِمِينَ * وَإِنّا عَلَىَ أَن نّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: ربّ إنْ تُرِيَنّى في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك فلا تهلكني بما تهلكهم به. ونجني من عذابك وسخطك فلا تجعلني في القوم المشركين ولكن اجعلني ممن رضيت عنه من أوليائك. وقوله: فَلا تَجْعَلْني جواب لقوله: إما تُرِيَنّى اعترض بينهما بالنداء, ولو لم يكن قبله جزاء لم يجز ذلك في الكلام, لا يقال: يا زيد فقم, ولا يا ربّ فاغفر, لأن النداء مستأنف, وكذلك الأمر بعده مستأنف, لا تدخله الفاء والواو, إلاّ أن يكون جوابا لكلام قبله.

وقوله: وَإِنّا عَلى أَنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرونَ يقول تعالى ذكره: وإنا يا محمد على أن نريك في هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم, لقادرون, فلا يَحْزُنَنّك تكذيبهم إياك بما نعدهم به, وإنما نؤخر ذلك ليبلغ الكتاب أجله.

الآية : 96 - 98

القول في تأويل قوله تعالى: {ادْفَعْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ السّيّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ * وَقُلْ رّبّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشّياطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبّ أَن يَحْضُرُونِ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه: ادفع يا محمد بالخَلّة التي هي أحسن, وذلك الإغضاء والصفح عن جهلة المشركين والصبر على أذاهم, وذلك أمره إياه قبل أمره بحربهم. وعنى بالسيئة: أذى المشركين إياه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله, يقول له تعالى ذكره: اصبر على ما تلقى منهم في ذات الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19409ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: ادْفَعْ بالّتِي هِيَ أَحْسَنُ السّيّئَةَ قال: أعرض عن أذاهم إياك.

19410ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن عبد الكريم الجَزَريّ, عن مجاهد: ادْفَعْ بالّتِي هَيَ أَحْسَنُ السّيّئَةَ قال: هو السلام, تُسَلّم عليه إذا لقيته.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن عبد الكريم, عن مجاهد, مثله.

19411ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هَوْذَة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: ادْفَعْ بالّتِي هِيَ أَحْسَنُ السّيّئَةَ قال: والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا ويصفَح عما يكره.

وقوله: نَـحْنُ أعْلَـمُ بِـمَا يَصِفُونَ يقـول تعالـى ذكـره: نـحن أعلـم بـما يصفون الله به, وينـحَلُونه من الأكاذيب والفِرية علـيه, وبـما يقولـون فـيك من السوء, ونـحن مـجازوهم علـى جميع ذلك, فلا يحزُنْك ما تسمع منهم من قبـيح القول.

وقوله: وَقُلْ رَبّ أعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشّياطِينِ يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسـلم: وقـل يـا مـحمد ربّ أستـجير بـك مـن خَنْـق الشياطين وهمزاتها, والهَمْز: هو الغَمْز, ومن ذلك قـيـل للهمـز فـي الكلام: هَمْزة, والهَمَزَات جمع همزة.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19412ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنـي ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَقُلْ رَبّ أعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشّـياطِينِ قـال: همـزات الشـياطين: خَنْقهم الناس, فذلك هَمَزاتهم.

وقوله: وأعُـوذُ بِـكَ رَبّ أنْ يَحْضُـرُونِ يقـول: وقـل أستـجير بـك ربّ أن يحضرون فـي أموري. كالذي:

19413ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: وأعُوذُ بِكَ رَبّ أنْ يَحْضَرُونِ فـي شيء من أمرى.

الآية : 99 - 100

القول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {حَتّـىَ إِذَا جَـآءَ أَحَـدَهُمُ الْمَـوْتُ قَـالَ رَبّ ارْجِعُونِ * لَعَلّيَ أَعْمَلُ صَـالِحاً فِيمَـا تَرَكْـتُ كَلاّ إِنّهَـا كَلِمَـةٌ هُـوَ قَآئِلُهَـا وَمِـن وَرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىَ يَوْمِ يُبْعَثُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: حتـى إذا جاء أحدَ هؤلاء الـمشركين الـموتُ, وعاين نزول أمر الله به, قال لعظيـم ما يعاين مـما يَقْدَم عليه من عذاب الله تندّما علـى ما فـات وتلهّفـا علـى ما فرّط فـيه قبل ذلك من طاعـة اللـه ومسـئلته للإقالة: رَبّ ارْجِعُونِ إلـى الدنـيا فردّونـي إلـيها, لَعَلّـي أعْمَلُ صَالِـحا يقـول: كي أعمل صالـحا فـيـما تركت قبل الـيوم من العمل فضيعته وفرّطت فـيه.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19414ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي معشر, قال: كان مـحمد بن كعب القُرَظيّ يقرأ علـينا: حتـى إذَا جاءَ أحَـدَهُمْ الـمَوْتُ قالَ رَبّ ارْجِعُون قال مـحمد: إلـى أيّ شـيء يريـد؟ إلـى أيّ شـيء يرغب؟ أجمع الـمال, أو غَرْس الغِراس, أو بَنْـي بُنـيان, أو شـقّ أنهـار؟ ثـم يقول: لَعَلّـي أعْمَلُ صَالِـحا فِـيـما تَرَكْتُ يقول الـجبـار: كلاّ.

19415ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد فـي قوله: رَبّ ارْجِعُونِ قال: هذه فـي الـحياة الدنـيا, ألا تـراه يقـول: حتـى إذَا جاءَ أحَدَهُمُ الـمَوْتُ قال: حين تنقطع الدنـيا ويعـاين الآخـرة, قبـل أن يـذوق الـموت.

19416ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, قال: قال النبـيّ صلى الله عليه وسلم لعائشـة: «إذَا عـايَنَ الـمُؤْمِنُ الـمَلائِكَةَ قالُوا: نُرْجِعُكَ إلـى الدّنْـيا؟ فَـيَقَولُ: إلـى دار الهُمُـوم وَالأحْـزَانِ؟ فَـيَقُولُ: بَل قَدّمانِـي إلـى اللّهِ. وأمَا الكافِرُ فَـيُقالُ: نُرْجِعُكَ؟ فـيَقُولُ: لَعَلّـي أعْمَلُ صَالِـحا فِما تَرَكْتُ»... الآية.

19417ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: حتّى إذَا جاءَ أحَدَهُمُ المَوْتُ قالَ ربّ ارْجِعُونِ: يعني أهل الشرك.

وقيل: «رب ارجعون», فابتدأ الكلام بخطاب الله تعالى, ثم قيل: «ارجعون», فصار إلى خطاب الجماعة, والله تعالى ذكره واحد. وإنما فعل ذلك كذلك, لأن مسألة القوم الردّ إلى الدنيا إنما كانت منهم للملائكة الذين يَقبِضون روحهم, كما ذكر ابن جُرَيج أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قاله. وإنما ابتُدِىء الكلام بخطاب الله جلّ ثناؤه, لأنهم استغاثوا به, ثم رجعوا إلى مسئلة الملائكة الرجوع والردّ إلى الدنيا.

وكان بعض نحويّي الكوفة يقول: قيل ذلك كذلك, لأنه مما جرى على وصف الله نفسه من قوله: وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ ولَمْ تَكُ شَيْئا في غير مكان من القرآن, فجرى هذا على ذاك.

وقوله: كَلاّ يقول تعالى ذكره: ليس الأمر على ما قال هذا المشرك لن يُرْجع إلى الدنيا ولن يُعاد إليها. إنّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها يقول: هذه الكلمة, وهو قوله: رَبّ ارْجِعُونِ كلمة هو قائلها يقول: هذا المشرك هو قائلها. كما:

19418ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: كَلاّ إنّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها لا بد له أن يقولها.

وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ يقول: ومن أمامهم حاجز يحجُز بينهم وبين الرجوع, يعني إلى يوم يبعثون من قبورهم, وذلك يوم القيامة والبرزخ والحاجز والمُهْلة متقاربات في المعنى.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19419ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ يقول: أجل إلى حين.

19420ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد, في قوله: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ قال: ما بعد الموت.

19421ـ حدثني أبو حميد الحِمْصيّ أحمد بن المغيرة, قال: حدثنا أبو حَيْوة شريح بن يزيد, قال: حدثنا أرطاة, عن أبي يوسف, قال: خرجت مع أبي أمامة في جنازة, فلما وُضِعت في لحدها, قال أبو أمامة: هذا برزخ إلى يوم يُبعثون.

19422ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا مطر, عن مجاهد, قوله: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قال: ما بين الموت إلى البعث.

حدثني محمدبن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قال: حِجاب بين الميت والرجوع إلى الدنيا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد مثله.

19423ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قال: برزخ بقية الدنيا.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.

19424ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قال: البرزخ ما بين الموت إلى البعث.

19425ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عُبيد, قال: سمعت الضحاك يقول: البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة.

الآية : 101

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَآءَلُونَ}.

اختلف أهل التأويل في المعنىّ بقوله: فإذَا نُفِخَ في الصّور من النفختين أيُتهما عُنِيَ بها؟ فقال بعضهم: عُنِيَ بها النفخة الأولى. ذكر من قال ذلك:

19426ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام بن سلم, قال: حدثنا عمرو بن مطرف, عن المنهال بن عمرو, عن سعيد بن جُبير, أن رجلاً أتى ابن عباس فقال: سمعت الله يقول: فَلا أنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ... الآية, وقال في آية أخرى: وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ فذلك في النفحة الإولى, فلا يبقى على الأرض شيء, (فَلا أنْساب بَينَهُمْ يَومَئذ ولا يَتَساءلون 1.فإنهم لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون:

وأما قوله: وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يتساءلون

19427ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدّثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ, في قوله: فإذَا نُفِخَ في الصُورِ فَلا أنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ قال: في النفخة الأولى.

19428ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَلا أنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وعلا يَتَساءَلُونَ فذلك حين ينفخ في الصور, فلا حيّ يبقى إلا الله. وَأقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ فذلك إذا بُعثوا في النفخة الثانية.

قال أبو جعفر: فمعنى ذلك على هذا التأويل: فإذا نفخ في الصور, فصَعِق مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض إلا مَنْ شاء الله, فلا أنساب بينهم يومئذٍ يتواصلون بها, ولا يتساءلون, ولا يتزاورون, فيتساءلون عن أحوالهم وأنسابهم.

وقال آخرون: بل عُنِيَ بذلك النفخة الثانية. ذكر من قال ذلك:

19429ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن هارون بن أبي وكيع, قال: سمعت زاذان يقول: أتيت ابن مسعود, وقد اجتمع الناس إليه في داره, فلم أقدر على مجلس, فقلت: يا أبا عبد الرحمن, من أجل أني رجل من العجم تَحْقِرُني؟ قال: ادْنُ قال: فدنوت, فلم يكن بيني وبينه جليس, فقال: «يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة على رؤوس الأوّلين والآخرين, قال: وينادِي مناد: ألا إن هذا فلان ابن فلان, فمن كان له حقّ قبله فليأت إلى حقه, قال: فتفرح المرأة يومئذٍ أن يكون لها حقّ على ابنها أو على أبيها أو على أخيها أو على زوجها فَلا أنسْابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ.

19430ـ حدثنا القاسم, قال حدثنا الحسين, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن هارون بن عنترة, عن زاذان, قال: سمعت ابن مسعود يقول: «يؤخذ العبد أو الأمة يوم القيامة, فينصب على رؤوس الأوّلين والآخرين, ثم ينادِي مناد, ثم ذكر نحوه, وزاد فيه: فيقول الربّ تبارك وتعالى للعبد: أعطِ هؤلاء حقوقهم فيقول: أي ربّ, فَنِيتِ الدنيا, فمن أين أعطيهم؟ فيقول للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة وأعطوا لكل إنسان بقدر طِلبته فإن كان له فضلُ مثقال حبة من خردل, ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة. ثم تلا ابن مسعود: إنّ اللّهَ لا يَظلِمُ مِثْقالَ ذَرّةٍ وَإنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْها وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أجْرا عَظِيما وإن كان عبدا شقيّا قالت الملائكة: ربنا, فنيت حسناتُه وبقي طالبون كثير, فيقول: خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيئاته, وصُكّوا له صَكّا إلى النار».

19431ـ قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج: فإذَا نُفِخَ فِي الصّورِ فَلا أنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءلُونَ قال: لا يُسأل أحد يومئذٍ بنسب شيئا, ولا يتساءلون, ولا يمتّ إليه برحم.

19432ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني محمد بن كثير, عن حفص بن المغيرة, عن قتادة, قال: ليس شيء أبغض إلى الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعافُه, مخافة أن يذوب له عليه شيء. ثم قرأ: يَوْمَ يَفِرّ المَرْءُ مِنْ أخِيهِ وأمّهِ وأبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلّ امرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شأنٌ يُغْنِيهِ.

19433ـ قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا الحكَم بن سِنان, عن سَدُوس صاحب السائريّ, عن أنس بن مالك, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذَا دَخَلَ أهْلُ الجَنّةِ الجَنّةِ وأهْلُ النّارِ النّارَ, نادَى مُنادٍ مِنْ أهْلِ العَرْشِ: يا أهْلَ النّظالُمِ تَدَارَكُوا مَظالِمَكُمْ وَادْخُلُوا الجَنّةَ».

الآية : 102 - 104

القول في تأويل قوله تعالى: {فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفّتْ مَوَازِينُهُ فأُوْلَـئِكَ الّذِينَ خَسِرُوَاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ: موازين حسناته وخفت موازين سيئاته. فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ يعني الخالدون في جنات النعيم. وَمَنْ خَفّتْ مَوَازِينُهُ يقول: ومن خفّت موازين حسناته, فرجَحَتْ بها موازين سيئاته. فَأُولَئِكَ الّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ يقول: غَبَنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله. في جَهَنّمَ خالِدُونَ يقول: هم في نار جهنم.

وقوله: تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارَ يقول: تَسْفَع وجوهَهم النار. كما:

19434ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ قال: تنفَح.

وَهُمْ فِيها كالحُونَ والكُلوح: أن تتقلّص الشفتان عن الأسنان حتى تبدو الأسنان, كما قال الأعشي:

وَلَهُ المُقَدّمُ لا مِثْلَ لَهُساعَةَ الشّدْقُ عَنِ النّابِ كَلَحْ

فتأويل الكلام: يَسْفَع وجوههم لهب النار فتُحْرقها, وهم فيها متقلصوا الشفاه عن الأسنان من إحراق النار وجوههم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19435ـ حدثني عليّ, قال: ثني عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: وَهُمْ فِيها كالِحُونَ يقول: عابسون.
19436ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن, قالا: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص عن عبد الله, في قوله: وَهُمْ فِيها كالِحُونَ قال: ألم تر إلى الرأس المشيط قد بدت أسنانه وقَلَصت شفتاه؟.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص عن عبد الله, قرأ هذه الآية: تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ... الآية, قال: ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار وقد قَلَصت شفتاه وبدت أسنانه؟.
19437ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَهُمْ فِيها كالِحُونَ قال: ألم تر إلى الغنم إذا مست النار وجوهها كيف هي؟.

الآية : 105 - 106

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنّا قَوْماً ضَالّينَ }.
يقول تعالى ذكره: يقال لهم: أَلَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ يعني آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا, فَكُنْتُمْ بِها تُكَذّبُونَ. وترك ذكر «يقال» لدلالة الكلام عليه. قالُوا رَبّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: غَلَبَت عَلَيْنا شِقْوَتُنا بكسر الشين, وبغير ألف. وقرأته عامة قرّاء أهل الكوفة: «شَقاوَتُنا» بفتح الشين والألف.
والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان, وقرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء بمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وتأويل الكلام: قالوا: ربنا غلبت علينا ما سبق لنا في سابق علمك وخطّ لنا في أمّ الكتاب.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
19438ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بَزّة, عن مجاهد, قوله: غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا قال: التي كتبت علينا.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا التي كتبت علينا.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.
19439ـ وقال: قال ابن جريج: «بلغنا أن أهل النار نادوا خَزَنة جهنم: أنُ ادْعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فلم يجيبوهم ما شاء الله فلما أجابوهم بعد حين قالوا: ادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال. قال: ثم نادوا مالكا: يا مالك ليقضِ علينا ربك فسكت عنهم مالك خازن جهنم أربعين سنة, ثم أجابهم فقال: إنّكُمْ ماكِثُونَ. ثم نادى الأشقياء ربهم, فقالوا: رَبّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وكُنّا قَوْما ضَالّينَ رَبّنا أخْرِجْنا مِنْها فإنْ عُدْنا

فإنّا ظالِـمُونَ فسكت عنهم مثل مقدار الدنـيا, ثـم أجـابهم بعـد ذلـك تبـارك وتعالـى: اخْسَئُوا فِـيها وَلا تُكَلِّـمُونِ.

19440ـ قال: ثنـي حجاج, عن أبـي بكر بن عبد الله, قـال: «ينـادِي أهـل النار أهل الـجنة فلا يجيبونهم م ا شاء اللـه, ثـم يقـول: أجيبـوهم وقـد قطـع الرّحِمَ والرحمة. فـيقول أهل الـجنة: يا أهل النار علـيكم غضب الله يـا أهـل النار علـيكم لعنـة اللـه يـا أهـل النـار, لا لَبّـيْكم ولا سَـعْدَيْكم مـاذا تقولـون؟ فـيقولون: ألـم نـك فـي الدنـيا آبـاءكم وأبنـاءكم وإخـوانكم وعشـيرتكم؟ فـيقولون: بلـى. فـيقولون: أفِـيضُوا عَلَـيْنا مِـنَ الـمَاءِ أوْ مِـما رَزَقَكُـمُ اللّـهُ قالُوا إنّ اللّهَ حَرّمَهُما عَلـى الكافِرِينَ».

19441ـ قال: ثنـي حجاج, عن أبـي معشر, عن مـحمد بن كعب القُرَظيّ قال: وثنـي عَبْدة الـمُرُوزِيّ, عن عبد الله بن الـمبـارك, عن عمرو بـن أبـي لـيـلـى, قـال: سـمعت مـحمد بـن كعـب, زاد أحـدهما علـى صـاحبه, قـال مـحمد بن كعب: بلغنـي, أو ذُكر لـي, أن أهل النار استغاثوا بـالـخَزَنة, ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العـذاب فـردّوا علـيهم مـا ق ال اللـه فلـما أيسـوا نادَوا: يا مالك وهو علـيهم, وله مـجلس فـي وسـطها, وجسـور تـمرّ علـيها ملائكة العذاب, فهو يرى أقصاها كما يـرى أدناهـا فقـالوا: يـا مالـك, لـيقض علـينا ربك سألوا الـموت. فمكـث لا يجيبهـم ثمانـين ألـفَ سـنة مـن سنـي الآخرة, أو كما قال. ثم انـحطّ إلـيهم, فقال: إنّكُمْ ماكثونَ فلـما سمعوا ذلـك قالوا: فـاصبروا, فلعلّ الصبر ينفعنا كما صبر أهـل الدنـيا علـى طاعـة اللـه قال: فصَبَروا, فطال صبرهم, فنادَوا: سَوَاءٌ عَلَـيْنا أجَزِعْنـا أمْ صَـبَرْنا مـا لَنـا مِنْ مَـحِيص: أي مَنْـجًى, فقام إبلـيس عنـد ذلـك فخطبهـم, فقـال: إنّ اللّـهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الـحَقّ, وَوَعَدْتُكُمْ فَأخْـلَفْتُكُمْ وَما كانَ لـي عَلَـيْكُمْ مِـنْ سُـلْطانٍ, فلـما سمعوا مقالتهم, مَقَتُوا أنفسهم, قال: فُنـودوا: لَـمَقْتُ اللّـهِ أكْبَـرُ مِـنْ مَقْتِكُمْ أنْفُسَكُمْ إذْ تُدْعَوْنَ إلـى الإيـمَانِ فَتَكْفُـرُونَ قـالُوا رَبّنـا أمَتّنَـا... الآيـة, قال: فـيجيبهم اللـه فـيها: ذَلِكُمْ بأنّهُ إذَا دُعِيَ اللّهُ وَحْـدَهُ كَفَرْتُـمْ وَإنْ يُشْـرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فـالـحُكْمُ لِلّهِ العَلـيّ الكَبِـيرِ. قال: فـيقولون: ما أيسـنا بعـدُ قـال: ثم دَعَوا مرّة أخرى, فـيقولون: رَبّنا أبْصَرْنا وَسمِعْنا فـارْجِعْنا نَعْمَلْ صَالِـحا إنّا مُوقِنُونَ قال: فـيقول الربّ تبـارك وتعالـى: وَلَوْ شِئْنا لآتَـيْنا كُلّ نَفْـسٍ هُـدَاها يقول الربّ: لو شئت لهديت الناس جميعا فلـم يختلف منهم أحد ولكـنْ حَـقّ القَوْلُ مِنّـي لأَمْلأنّ جَهَنّـمَ مِنَ الـجِنّةِ والنّاسِ أجْمعِينَ فَـذُوقُوا بِـمَا نَسِيتُـمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا يقول: بـما تركتـم أن تعملوا لـيومكم هذا, إنّـا نَسِـيناكُمْ: أي تركناكم, وَذُوقُوا عَذَابَ الـخُـلْدِ بِـمَا كُنْتُـمْ تَعْمَلُونَ. قال: فـيقولون: ما أيسـنا بعد قال: فـيدعون مرّة أخرى: رَبّنـا أخّرْنـا إلـى أجَـلٍ قَرِيـبٍ نُـجِبْ دَعْوَتَـكَ وَنَتّبِعِ الرّسُلَ قال: فـيقال لهم: أوَ لَـمْ تَكُونُوا أقْسَمْتُـمْ مِنْ قَبْلُ مـا لَكُـمْ مِـنْ زَوَالٍ وَسَكَنْتُـمْ فِـي مَساكِنِ الّذِينَ ظَلَـمُوا أنْفُسَهُمْ... الآية, قال: فـيقولون: ما أيسنا بعد ثم قالوا مرّة أخرى: رَبّنا أخْرِجْنـا نَعْمَـلْ صَالِـحا غيـرَ الّـذِي كُنّـا نَعْمَلُ, قال: فـيقول: أوَ لَـمْ نُعَمّرْكُمْ ما يَتَذَكّرُ فِـيهِ مِنْ تَذَكّرَ وَجاءَكُمُ النّذِيرُ... إلـى: نَصِيرٍ. ثم مكث عنهم ما شاء الله, ثم ناداهم: ألَـمْ تَكُـنْ آياتِـي تُتْلَـى عَلَـيْكُمْ فَكُنْتُـمْ بِها تُكَذّبُونَ فلـما سمعوا ذلك قالوا: الآن يرحمنـا فقـالوا عنـد ذلك: رَبّنا غَلَبَتْ عَلَـيْنا شِقْوَتُنا: أي الكتاب الذي كتب علـينا وكُنّا قَوْما ضَالّـينَ رَبّنا أخْرِجْنا مِنْها... الآية, فقال عند ذلك: اخْسَئُوا فِـيها وَلا تُكَلّـمُونِ قـال: فلا يتكلـمون فـيها أبدا. فـانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهـم, وأقبـل بعضـهم

ينبح في وجه بعض, فأَطْبَقت عليهم. قال عبد الله بن المبارك في حديثه: فحدثني الأزهر بن أبي الأزهر أنه قال: فذلك قوله: هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ وَلا يُؤْذَنُ لهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ.

19442ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر بن عبد الله, أنه قال: فوالذي أنزل القرآن على محمد والتوراة على موسى والإنجيل على عيسى, ما تكلم أهل النار كلمة بعدها إلا الشهيق والزّعيق في الخلد أبدا ليس له نفاد.

19443ـ قال: ثني حجاج, عن أبي معشر, قال: كنا في جنازة ومعنا أبو جعفر القارىء, فجلسنا, فتنحى أبو جعفر, فبكى, فقيل له: ما يبكيك يا أبا جعفر؟ قال: أخبرني زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون.

وقوله: وكُنّا قَوْما ضَالّينَ يقول: كنا قوما ضَلَلْنا عن سبيل الرشاد وقصد الحقّ.

الآية : 107 - 108

القول في تأويل قوله تعالى: {رَبّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُواْ فِيهَا وَلاَ تُكَلّمُونِ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين خفّت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة في جهنم: ربنا أخرجا من النار, فإن عدنا لما تكره منا من عمل فإنا ظالمون.

وقوله: قالَ اخْسَئُوا فِيها يقول تعالى ذكره: قال الربّ لهم جلّ ثناؤه مجيبا: اخْسَئُوا فِيها أي اقعدوا في النار. يقال منه: خَسَأْتُ فلانا أَخْسَؤُه خَسْأً وخُسُوءا, وخَسىء هو يخسَأ وما كان خاسئا ولقد خِسىء. وَلا تُكَلّمُونِ فعند ذلك أيس المساكين من الفرج ولقد كانوا طامعين فيه كما:

19444ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيّ, قال: حدثنا سفيان, عن سَلَمة بن كُهَيل, قال: ثني أبو الزعراء, عن عبد الله, في قصة ذكرها في الشفاعة, قال: فإذا أراد الله ألاّ يُخْرج منها يعني من النار أحدا, غير وجوههم وألوانها, فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيهم, فيقول: يا ربّ فيقول: من عرف أحدا فليخرجه قال: فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحدا, فيقول: يا فلان يا فلان فيقول: ما أعرفك. فعند ذلك يقولون: رَبّنا أَخْرِجْنا مِنْها فإنْ عُدْنا فإنّا ظالِمُونَ فيقول: اخْسَئُوا فيها وَلا تُكَلّمُونِ فإذا قالوا ذلك, انطبقت عليهم جهنم فلا يخرج منها بشر.

19445ـ حدثنا تميم بن المنتصر, قال: أخبرنا إسحاق, عن شريك, عن الأعمش, عن عمرو بن مُرّة, عن شَهر ابن حَوشب, عن معدي كرب, عن أبي الدّرْداء, قال: يُرْسل أو يصبّ على أهل النار الجوع, فيعدل ما هم فيه من العذاب, فيستغيثون فيغاثون بالضّريع الذي لا يُسْمِن ولا يُغنِي من جوع, فلا يغني ذلك عنهم شيئا. فيستغيثون, فيغاثون بطعام ذي غُصّة, فإذا أكلوه نَشِب في حلوقهم, فيذكرون أنهم كانوا في الدنيا يحدرون الغصة بالماء. فيستغيثون, فيرفع إليهم الحميم في كلاليب الحديد, فإذا انتهى إلى وجوههم شوى وجوههم, فإذا شربوه قطع أمعاءهم. قال: فينادون مالكا: لِيَقْضِ علينا ربك قال: فيتركهم ألف سنة, ثم يجيبهم: إنكم ماكثون. قال: فينادون خَزَنة جهنم: ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا: أو لم تَكُ تأتيكم رسلكم بالبينات؟ قالوا: بلى. قالوا: فادعوا, وما دعاء الكافرين إلا في ضلال قال: فيقولون ما نجد أحدا لنا

من ربنا, فـينادون ربهم: رَبّنا أخْرِجْنـا مِنْهـا فـإنْ عُـدْنا فإنّـا ظالِـمُونَ. قـال: فـيقول الله: اخْسَئُوا فِـيها وَلا تُكَلِّـمُونِ. قال: فعند ذلك يئسوا من كـل خيـر, فـيدْعُون بـالويـل والشّهيق والثّبور.

19446ـ حدثنـي مـحمد بن عُمارة الأسديّ, قال: حدثنا عاصم بن يوسف اليربوعيّ, قال: حدثنا قُطْبة بـن عبـد العزيـز الأسـديّ, عـن الأعمـش, عـن شمر بن عطية, عن شهر بن حوشـب, عـن أمّ الـدرداء, عـن أبـي الـدرداء, قال: قال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «يُـلْقَـى عَلـى أهْـلِ النّـارِ الـجُوعُ»... ثم ذكر نـحوا منه.

19447ـ حدثنا ابن حميد,قال: حدثنا يعقوب القُمّى, عن هارون بن عنترة, عن عمرو بن مَرّة, قال: يرى أهل النار فـي كـل سـبعين عامـا سـاق مالـك خازن النار, فـيقولون: يا مالِكُ لِـيَقْضِ عَلَـيْنا رَبّـكَ فـيجيبهم بكلـمة. ثـم لا يرونـه سـبعين عامـا, فـيستغيثون بـالـخَزَنة, فـيقولون لهم: ادعـوا ربكم يخفـف عنـا يومـا مـن العـذاب فـيجيبونهم: أوَ لَـمْ تَـكُ تَأتِـيكُمْ رُسُـلُكُمْ بـالبَـيّناتِ... الآيـة. فـيقولون: ادعـوا ربكـم, فلـيس أحـد أرحـم مـن ربكـم فـيقولون: رَبّنا أخْرِجْنا مِنْها فإنْ عُدْنا فإنّا ظالِـمُونَ. قال: فـيجيبهم: اخْسَـئُوا فـيها وَلا تُكَلِّـمُونِ. فعند ذلك يـيأسُون من كلّ خيـر, ويأخـذون فـي الشـهيق والوَيْـل والثّبور.

19448ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: اخْسَئُوا فـيها وَلا تُكِلِّـمُونِ قال: بلغنـي أنهم ينادُون مالكا فـيقولون: لـيقض علـينا ربك فـيسكت عنهم قدر أربعين سنة, ثم يقول: إنّكُمْ ماكِثُونَ. قال: ثم ينادُون ربهم, فـيسكت عنهم قدر الدنـيا مرّتـين, ثم يقول: اخْسَئُوا فِـيها وَلا تُكَلِّـمُونِ. قال: فـيـيأس القوم, فلا يتكلـمون بعـدها كلـمة, وكـان إنـما هـو الزفـير والشهيق. قال قتادة: صوت الكافر فـي النـار مثـل صـوت الـحمار: أوّله زفـير, وآخره شهيق.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عـن قَتـادة, مثله.

19449ـ حدثنا الـحسن, قال: حدثنا عبد الله بن عيسـى, قـال: أخبرنـي زياد الـخراسانـيّ, قال: أسنده إلـى بعض أهل العلـم, فنسـيته, فـي قـوله: اخْسَئُوا فِـيها وَلا تُكَلِّـمُونَ قال: فـيسكتون, قـال: فلا يسـمع فـيها حِـس إلا كطنـين الطُّسْت.

19450ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: اخْسَئُوا فِـيها وَلا تُكَلِّـمُونِ هـذا قول الرحمن عزّ وجلّ, حين انقطع كلامهم منه.

الآية : 109

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِنّهُ كَانَ فَرِيقٌ مّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبّنَآ آمَنّـا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرّاحِمِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: إنّهُ وهذه الهاء فـي قـوله «إنـه» هـي الهـاء التـي يسميها أهل العربـية الـمجهولة. وقد بـينت معناها فـيـما مضى قبلُ, ومعنى دخولها فـي الكلام, بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع. كانَ فَرِيـقٌ مِـنْ عِبـادِي يقول: كانت جماعة من عبـادي, وهم أهـل الإيـمان بـالله, يقولـون فـي الدنـيا: رَبّنا آمَنّا بك وبرسلك, وما جاءوا به من عندك. فـاغْفِرْ لَنـا ذُنُوبَنـا وَارْحَمنا وأنت خير من رحم أهل البلاء, فلا تعذّبنا بعذابك.

الآية : 110 - 111

القول في تأويل قوله تعالى: {فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىَ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوَاْ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فاتخذتم أيها القائلون لربهم رَبّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وكُنا قَوْما ضَالّينَ في الدنيا, القائلين فيها رَبنا آمَنّا فاغْفِرْ لَنا وَارْحمْنا وأنْتَ خَيْرُ الرّاحِمِينَ سُخْرِيّا. والهاء والميم في قوله: فاتّخَذْتُمُوهُمْ من ذكر الفريق.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: سُخْرِيّا فقرأه بعض قرّاء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة: فاتّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّا بكسر السين, ويتأوّلون في كسرها أن معنى ذلك الهزء, ويقولون: إنها إذا ضُمت فمعنى الكملة: السّخْرة والاستعباد. فمعنى الكلام على مذهب هؤلاء: فاتخذهم أهل الإيمان بي في الدنيا هُزُؤًا ولعبا, تهزءون بهم, حتى أنسوكم ذكري. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة: «فاتّخذْتُموهُمْ سُخْرِيّا بضم السين, وقالوا: معنى الكلمة في الضمّ والكسر واحد. وحكى بعضهم عن العرب سماعا لِجّيّ ولُجّىّ, ودِريّ, ودُرّيّ, منسوب إلى الدرّ, وكذلك كِرسيّ وكُرسيّ وقالوا ذلك من قيلهم كذلك: نظير قولهم في جمع العصا: العِصِيّ بكسر العين, والعُصّي بضمها قالوا: وإنما اخترنا الضمّ في السّخريّ, لأنه أفصح اللغتين.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد, قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء ذلك فمصيب. وليس يُعْرف من فرق بين معنى ذلك إذا كسرت السين وإذا ضمت, لما ذكرت من الرواية عمن سمع من العرب ما حَكَيت عنه.

ذكر الرواية به عن بعض من فرّق في ذلك بين معناه مكسورة سينه ومضمومة:

19451ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: فاتّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّا قال: هما مختلفتان: سِخريّا, وسُخريّا, يقول الله: وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضا سِخْرِيّا قال: هذا سِخريّا: يُسَخّرونهم, والآخرون: الذين يستهزئون بهم هم «سُخريّا», فتلك «سِخريّا» يُسَخرونهم عندك, فسخّرك: رفعك فوقه والآخرون: استهزءوا بأهل الإسلام هي «سُخريّا» يَسْخَرون منهم, فهما مختلفتان. وقرأ قول الله: كُلّما مَرّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قالَ إنْ تَسْخَرُوا مِنّا فإنّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كمَا تَسْخَرُونَ وقال: يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح, «اتخذوهم سُخريّا»: اتخذوهم هُزُؤًا, لم يزالوا يستهزئون بهم.

وقوله: حتى أنْسَوكُمْ ذِكْرِي يقول: لم يزل استهزاؤكم بهم, أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكري, فألهَاكم عنه. وكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ, كما:

19452ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: حتى أنْسَوْكُمْ ذِكْرِي قال: أنسى هؤلاءِ اللّهَ استهزاؤُهم بهم وضحكُهم بهم. وقرأ: إنّ الّذِينَ أجْرَمُوا كانُوا مِنَ الّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ حتى بلغ: إنّ هَؤُلاءِ لَضَالّونَ.

وقوله: إنّي جَزَيْتُهُمْ اليَوْمَ بِمَا صَبروا يقول تعالى ذكره: إني أيّها المشركون بالله المخّلدون في النار, جَزَيت الذين اتخذتموهم في

الدنيا سخريّا من أهل الإيـمان بـي, وكنتـم منهـم تضـحكون. الـيومَ بـما صَبَرُوا على ما كانوا يـلقَون بـينكم من أذى سخريتكم وضحككم منهـم فـي الدنـيا. إنّهُمْ هُمُ الفَـائِزُونَ.

اختلفت القرّاء فـي قـراءة: «إنّهُـمْ» فقرأتـه عامـة قـرّاء أهـل الـمدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: أنّهُمْ, بفتـح الألف من «أنهم» بـمعنى: جزيتهم هذا. ف«أنّ» فـي قراءة هؤلاء: فـي موضع نصب بوقوع قـوله: «جزيتهـم» علـيها, لأن معنى الكلام عندهم: إنـي جزيتهـم الـيوم الفـوز بـالـجنة. وقـد يحتـمل النصب من وجه آخر, وهو أن يكون موجّها معناه إلـى: إنـي جزيتهـم الـيوم بـما صبروا, لأنهم هم الفـائزون بـما صبروا فـي الدنـيا علـى مـا لَقُـوا فـي ذات الله. وقرأ ذلك عامـة قـرّاء الكوفـة: «إنّـي» بكسـر الألـف منهـا, بـمعنى الابتداء, وقالوا: ذلك ابتداء من الله مدحهم.

وأولـى القراءتـين فـي ذلك بـالصواب قراءة مـن قـرأ بكسـر الألـف, لأن قوله: «جزيتهم», قد عمل فـي الهـاء والـميـم, والـجزاء إنـما يعمـل فـي منصوبـين, وإذا عمـل فـي الهـاء والـميـم لـم يكـن لـه العمـل فـي «أن» فـيصير عاملاً فـي ثلاثة إلا أن يُنْوَى به التكريـر, فـيكون نصـب «أنّ» حينئـذٍ بفعل مضمر لا بقوله: «جزيتهم», وإن هي نصـبت بإضـمار لام لـم يكـن لـه أيضا كبـير معنى لأن جزاء الله عبـاده الـمؤمنـين بـالـجنة, إنـما هو علـى مـا سَلَف من صالـح أعمالهم فـي الدنـيا وجزاؤه إيـاهم وذلـك فـي الآخـرة هـو الفوز, فلا معنى لأن يَشْرُط لهم الفوز بـالأعمال ثم يخـبر أنهـم إنـما فـازوا لأنهم هم الفـائزون.

فتأويـل الكلام إذ كان الصواب من القراءة ما ذكرنا: إنـي جزيتهـم الـيوم الـجنة بـما صبروا فـي الدنـيا علـى أذاكم بها, فـي أنهم الـيوم هم الفـائزون بـالنعيـم الدائم والكرامة البـاقـية أبـدا, بـما عملـوا مـن صالـحات الأعمـال فـي الدنـيا ولقوا فـي طلب رضاي من الـمكاره فـيها.)

الآية : 112 - 113

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَـالَ كَـمْ لَبِثْتُـمْ فِـي الأرْضِ عَـدَدَ سِـنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَآدِّينَ }.

اختلفت القرّاء فـي قراءَة قوله: كَمْ لَبِثْتُـمْ فِـي الأرْضِ عَدَدَ سِنِـينَ, وفـي قوله: لَبِثْنا يَوما أوْ بَعْضَ يَوْمٍ فقرأ ذلك عامة قرّاء الـمدينَة والبصـرة وبعـض أهل الكوفة علـى وجه الـخبر: قالَ كَمْ لَبِثْتُـمْ, وكذلك قوله: قـالَ إنْ لَبِثْتُـمْ. ووجّه هؤلاء تأويـل الكلام إلـى أن الله قال لهـؤلاء الأشقـياء مـن أهـل النـار وهم فـي النار: كَمْ لَبِثْتُـمْ فِـي الأرْضِ عَدَدَ سِنِـينَ وأنهم أجـابوا اللـه فقـالوا: لَبِثْنا يَوْما أوْ بَعْـضَ يَـوْمٍ, فنسـي الأشَقـياء, لعظيـم مـا هـم فـيه مـن البلاء والعذاب, مدة مكثهم الّتـي كانت فـي الدنـيا, وقَصُر عندهم أمد مكثهم الذي كان فـيها, لـما حلّ بهم من نقمة الله, حتـى حسبوا أنهـم لـم يكونـوا مكثـوا فـيها إلا يوما أو بعض يوم, ولعلّ بعضهم كان قد مكث فـيها الزمان الطويـل والسنـين الكثـيرة.

وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة علـى وجه الأمر لهم بـالقول, كـأنه قـال لهـم قولـوا كـم لبثتـم فـي الأرض؟ وأخـرج الكلام مُخْـرج الأمـر للواحـد والـمعنـيّ به الـجماعة, إذ كان مفهوما معناه. وإنـما اختار هذه القـراءة مـن اختارها من أهل الكوفة لأن ذلك فـي مصاحفهم: «قُلْ» بغير ألف, وفـي غر مصاحفهم بـالألف.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ ذلك: قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ على وجه الخبر, لأن وجه الكلام لو كان ذلك أمرا, أن يكون «قُولوا» على وجه الخطاب للجمع لأن الخطاب فيما قبل ذلك وبعده جرى لجماعة أهل النار, فالذي هو أولى أن يكون كذلك قوله: «قولوا» لو كان الكلام جاء على وجه الأمر, وإن كان الآخر جائزا, أعني التوحيد, لما بيّنت من العلة لقارىء ذلك كذلك, وجاء الكلام بالتوحيد في قراءة جميع القرّاء, كان معلوما أن قراءة ذلك على وجه الخبر عن الواحد أشبه, إذْ كان ذلك هو الفصيح المعروف من كلام العرب. فإذا كان ذلك ذلك, فتأويل الكلام: قال الله كم لبثتم في الدنيا من عدد سنين؟ قالوا مجيبين له: لبثنا فيها يوما أو بعض يوم فاسأل العادّين, لأنا لا ندري, قد نسينا ذلك.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بالعادّين, فقال بعضهم: هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويُحْصُون عليهم ساعاتهم. ذكر من قال ذلك:

19453ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فاسأَلِ العادّينَ قال: الملائكة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وقال آخرون: بل هم الحُسّاب. ذكر من قال ذلك:

19454ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: فاسأَلِ العادّينَ قال: فاسأل الحُسّاب.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة: فاسأَلِ العادّينَ قال: فاسأل أهل الحساب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جلّ ثناؤه: فاسأَلِ العادّينَ وهم الذين يَعُدّون عدد الشهور والسنين وغير ذلك. وجائز أن يكونوا الملائكة, وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم, ولا حجة بأيّ ذلك من أيّ ثبتت صحتها فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العادّين دون بعض.

الآية : 114 - 115

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ إِن لّبِثْتُمْ إِلاّ قَلِيلاً لّوْ أَنّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: قالَ إنْ لَبِثْتُمْ إلاّ قَلِيلاً اختلافهم في قراءة قوله: قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ. والقول عندنا في ذلك في هذا الموضع نحو القول الذي بيّناه قبلُ في قوله: كَمْ لَبِثْتُمْ. وتأويل الكلام على قراءتنا: قال الله لهم: ما لبثتم في الأرض إلا قليلاً يسيرا لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها.

وقوله: أفَحَسِبْتُمْ أنّمَا خَلَقْناكُمْ عَبَثا يقول تعالى ذكره: أفحسبتم أيها الأشقياء أنا إنما خلقناكم إذ خلقناكم لعبا وباطلاً, وأنكم إلى ربكم بعد مماتكم لا تصيرون أحياء فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون؟.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه بعض قرّاء المدينة والبصرة والكوفة: لا تُرْجَعُونَ بضمّ التاء: لا تُردّون, وقالوا: إنما هو من مَرْجِع الآخرة

لا من الرجوع إلـى الدنـيا. وقـرأ ذلـك عامـة قـرّاء الكوفـة: «لا تَرْجِعُـونَ» وقالوا: سواء فـي ذلك مرجع الآخرة والرجوع إلـى الدنـيا.

وأولـى الأقـوال فـي ذلـك بـالصواب أن يقـال: إنهمـا قراءتـان متقاربتـا الـمعنى لأن من ردّه الله إلـى الآخرة من الدنـيا بعد فنـائه فقـد رَجَـعَ إلـيها, وأن مـن رجـع إلـيها فـبردّ اللـه إيـاه إلـيها رجـع. وهمـا مـع ذلـك قراءتـان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علـماء من القرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وبنـحو الذي قلنا فـي معنى قوله: أفَحَسِبْتُـمْ أنّـمَا خَـلَقْناكُمْ عَبَثا قال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19455ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ن ابـ ن جريج: أفَحَسِبْتُـمْ أنّـمَا خَـلَقْناكُمْ عَبَثا قال: بـاطلاً.

الآية : 116

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَتَعَالَى اللّهُ الْمَلِكُ الْحَقّ لاَ إِلَـهَ إِلاّ هُوَ رَبّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ }.

يقول تعالـى ذكره: فتعالـى اللـه الـملك الـحقّ عم ا يصـفه بـه هـؤلاء الـمشركون من أن له شريكا, وعما يضيفون إليه من اتـخاذ البنـات. لا إلَـهَ إلاّ هُوَ يقول: لا معبود تنبغي له العبـودة إلا اللـه الـملك الـحقّ ربّ العَـرْشِ الكَرِيـم والربّ: مرفوع بـالردّ علـى الـحقّ, ومعنـى الكلام: فتعالـى اللـه الـملك الـحقّ, ربّ العرش الكريـم, لا إله إلا هو.

الآية : 117

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمَن يَدْعُ مَعَ اللّهِ إِلَـهَا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِـهِ فَإِنّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبّهِ إِنّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: ومن يدع مع الـمعبود الذي لا تصلـح العبـادة إلا لـه معبودا آخر, لا حجة له بـما يقول ويعمل من ذلك ولا بـينة. كما:

19456ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ قال: بـينة.

19457ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ن ابـ ن جريج, عن مـجاهد: لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ قال: حُجة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عـن عنبسـة, عـن مـحمد بـن عبـد الرحمن, عن القاسم بن أبـي بَزّة, عن مـجاهد, فـي قـوله: لا بُرْهـانَ لَـهُ بِـهِ قال: لا حجة.

وقوله: فإنّـمَا حِسابُهُ عِنْدَ رَبّهِ يقول: فإنـما حساب عمله السّيّىء عند ربه, وهو مُوَفّـيه جزاءه إذا قدم علـيه. إنّهُ لا يُفْلِـحُ الكافِرُونَ يقـول: إنـه لا ينـجح أهل الكفر بـالله عنده ولا يدركون الـخلود والبقاء فـي النعيـم.

الآية : 117

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:

{وَقُل رّبّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأنتَ خَيْرُ الرّاحِمِينَ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا مـحمد ربّ استر علـيّ ذنوبـي بعفوك عنها وارحمنـي بقبول توبتك وتركك عقابـي علـى

ما احترمت. وأنْتَ خَيرُ الرّاحِمِينَ يقول: وقـل أنـت يـا ربّ خيـر مـن رحـم ذا ذنب فقبل توبته ولـم يعاقبه علـى ذنبه.

سورة النور

مدنـية
وآياتها أربع وستون

بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ آيَاتٍ بَيّنَاتٍ لّعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ }.

قال أبو جعفر: يعنـي بقوله تعالـى ذكره: سُورَةٌ أنْزَلْناها وهذه السورة أنزلناها. وإنـما قلنا معنى ذلك كذلك, لأن العرب لا تكاد تبتدىء بـالنكرات قبل أخبـارها إذا لـم تكن جوابـا, لأنها توصل كما يوصل «الذي», ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة, فـيستقبح الابتداء بها قبل الـخبر إذا لـم تكن موصولة, إذ كان يصير خبرها إذا ابتدىء بها كالصلة لها, ويصير السامع خبرها كالـمتوقع خبرها بعد إذ كان الـخبر عنها بعدها كالصلة لها. وإذا ابتدىء بـالـخبر عنها قبلها, لـم يدخـل الشك علـى سامع الكلام فـي مراد الـمتكلـم. وقد بـيّنا فـيـما مضى قبلُ أن السورة وصف لـما ارتفع بشواهده فأغنى ذلك عن إعادته فـي هذا الـموضع.

وأما قوله: وَفَرَضْناها فإن القرّاء اختلفت فـي قراءته, فقرأه بعض قرّاء الـحجاز والبصرة: «وَفَرّضْناها» ويتأوّلونه: وفصّلناها ونزّلنا فـيها فرائض مختلفة. وكذلك كان مـجاهد يقرؤه ويتأوّله.

19458ـ حدثنـي أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا ابن مهديّ, عن عبد الوارث بن سعيد, عن حميد, عن مـجاهد, أنه كان يقرؤها: «وَفَرّضْناها» يعنـي بـالتشديد.

19459ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: «وَفَرّضْناها» قال: الأمر بـالـحلال, والنهى عن الـحرام.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.

وقد يحتـمل ذلك إذا قرىء بـالتشديد وجها غير الذي ذكرنا عن مـجاهد, وهو أن يوجه إلـى أن معناه: وفرضناها علـيكم وعلـى من بعدكم من الناس إلـى قـيام الساعة. وقرأ ذلك عامة قرّاء الـمدينة والكوفة والشأم: وَفَرَضْناها بتـخفـيف الراء, بـمعنى: أوجبنا ما فـيها من الأحكام علـيكم وألزمناكموه وبـيّنا ذلك لكم.

والصواب من القول فـي ذلك: أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علـماء من القرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وذلك أن الله قد فصلها, وأنزل فـيها ضروبـا من الأحكام, وأمر فـيها ونهى, وفرض علـى عبـاده فـيها فرائض, ففـيها الـمعنـيان كلاهما: التفريض, والفرض فلذلك

قلنا بأية القراءتين قرأ القارىء فمصيب الصواب. ذكر من تأوّل ذلك بمعنى الفَرْض والبيان من أهل التأويل:
19460ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: وَفَرَضْناها يقول: بيناها.
19461ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: سُورَةٌ أنْزَلْناها وَفَرَضْناها قال: فرضناها لهذا الذي يتلوها مما فرض فيها. وقرأ فيها: آياتٍ بَيّناتٍ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ.
وقوله: وأنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيّناتٍ يقول تعالى ذكره: وأنزلنا في هذه السورة علامات ودلالات على الحقّ بينات, يعني واضحات لمن تأملها وفكر فيها بعقل أنها من عند الله, فإنها الحقّ المبين, وإنها تهدي إلى الصراط المستقيم.
19462ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: وأنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيّناتٍ قال: الحلال والحرام والحدود. لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ يقول: لتتذكروا بهذه الآيات البينات التي أنزلناها.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {الزّانِيَةُ وَالزّانِي فَاجْلِدُواْ كُلّ وَاحِدٍ مّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأفَةٌ فِي دِينِ اللّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الاَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مّنَ الْمُؤْمِنِينَ }.
يقول تعالى ذكره: من زنى من الرجال أو زنت من النساء, وهو حُرّ بِكرٌ غير مُحْصَن بزوج, فاجلدوه ضربا مئة جلة عقوبة لِما صنع وأتى من معصية الله. وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينَ اللّهِ يقول تعالى ذكره: لا تأخذكم بالزاني والزانية أيها المؤمنون رأفة, وهي رقة الرحمة في دين الله, يعني في طاعة الله فيما أمركم به من إقامة الحدّ عليهما على ما ألزمكم به.
واختلف أهل التأويل في المنهيّ عنه المؤمنون من أخذ الرأفة بهما, فقال بعضهم: هو ترك إقامة حدّ الله عليهما, فأما إذا أقيم عليهما الحدّ فلم تأخذهم بهما رأفة في دين الله. ذكر من قال ذلك:
19463ـ حدثنا أبو هشام, قال: حدثنا يحيى بن أبي زائدة, عن نافع بن عمر, عن ابن أبي مُلَيجة, عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر, قال: جَلَد ابن عمر جارية له أحدثت, فجلد رجليها قال نافع: وحسبت أنه قال: وظهرها فقلت: وَلا تَأْخَذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ اللّهِ فقال: وأخذتني بها رأفة, إن الله لم يأمرني أن أقتلها.
حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن ابن جُرَيج, قال: سمعت عبد الله بن أبي مليكة يقول: ثني عبيد الله بن عبد الله بن عمر, أن عبد الله بن عمر حدّ جارية له, فقال للجالد, وأشار إلى رجلها وإلى أسفلها, قلت: فأين قول الله: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ اللّهِ قال: أفأقتلها؟.
19464ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ اللّهِ فقال: أن تقيم الحدّ.
19465ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, ابن جُرَيج: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ اللّهِ قال: لا تضيعوا حدود الله.

قال ابن جُرَيج: وقال مـجاهد: لا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ: لا تضيعوا الـحدود فـي أن تقـيـموها. وقالها عطاء بن أبـي ربـاح.
19466ـ حدثنا أبو هشام, قال: حدثنا عبد الـملك وحجاج, عن عطاء: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِـي دِينِ اللّهِ قال: يقام حدّ الله ولا يعطل, ولـيس بـالقتل.
19467ـ حدثنا ابن الـمثّنى, قال: ثنـي مـحمد بن فضيـل, عن داود, عن سعيد بن جبـير, قال: الـجلد.
19468ـ حدثنـي عبـيد بن إسماعيـل الهَبّـاريّ, قال: حدثنا مـحمد بن فضيـل, عن الـمغيرة, عن إبراهيـم, فـي قوله: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فـي دين الله قال: الضرب.
19469ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا الـمعتـمر, قال: سمعت عمران, قال: قلت لأبـي مـجلز: الزّانِـيَةُ وَالزّانـي فـاجْلِدُوا كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُما... إلـى قوله: والـيَوْمِ الآخرِ إنا لنرحمهم أن يجلد الرجل حدّا, أو تقطع يده. قال: إنـما ذاك أنه لـيس للسلطان إذا رفعوا إلـيه أن يدعهم رحمة لهم حتـى يقـيـم الـحدّ.
حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فـي دِينِ اللّهِ قال لا تقام الـحدود.
19470ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فتدعوهما من حدود الله التـي أمر بها وافترضها علـيهما.
19471ـ قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا ابن لَهِيعة, عن خالد بن أبـي عمران, أنه سأل سلـيـمان بن يسار, عن قول الله: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِـي دِينِ الله أي فـي الـحدود أو فـي العقوبة؟ قال: ذلك فـيهما جميعا.
حدثنا عمرو بن عبد الـحميد الآمُلِـيّ, قال: حدثنا يحيى بن زكريا, عن عبد الـملك بن أبـي سلـيـمان, عن عطاء فـي قوله: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فـي دِينِ اللّهِ قال: أن يقام حدّ الله ولا يعطّل, ولـيس بـالقتل.
19472ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن عامر فـي قوله: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فـي دين الله قال: الضرب الشديد.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: وَلا تَأْخُذْكُمْ بهما رأفَةٌ فتُـخَفّفوا الضرب عنهما, ولكن أو جعوهما ضربـا. ذكر من قال ذلك:
19473ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا يحيى بن أبـي بكر, قال: حدثنا أبو جعفر, عن قَتادة, عن الـحسن وسعيد ابن الـمسيب: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهما رأفَةٌ فِـي دِينِ اللّهِ قال: الـجلد الشديد.
19474ـ قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, عن شعبة, عن حماد, قال: يُحَدّ القاذف والشارب وعلـيهما ثـيابهما. وأما الزانـي فتـخـلع ثـيابه. وتلا هذه الآية: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِـي دِينِ اللّهِ فقلت لـحماد: أهذا فـي الـحكم؟ قال: فـي الـحكم والـجلد.
19475ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ, قال: يجتهد فـي حدّ الزانـي والفرية, ويخفف فـي حدّ الشرب. وقال قَتادة: يخفف فـي الشراب, ويجتهد فـي الزانـي.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا تأخذكم بهما رأفة في إقامة حدّ الله عليهما الذي افترض عليكم إقامته عليهما.
وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب, لدلالة قول الله بعده: «في دين الله», يعني في طاعة الله التي أمركم بها. ومعلوم أن دين الله الذي أمر به في الزانيين: إقامة الحدّ عليهما, على ما أمر من جلد كل واحد منهما مئة جلدة, مع أن الشدّة في الضرب لا حدّ لها يوقف عليه, وكلّ ضرب أوجع فهو شديد, وليس للذي يوجع في الشدّة حدّ لا زيادة فيه فيؤمر به وغير جائز وصفه جلّ ثناؤه بأنه أمر بما لا سبيل للمأموربه إلى معرفته. وإذا كان ذلك كذلك, فالذي للمأمورين إلى معرفته السبيل هو عدد الجَلد على ما أمر به, وذلك هو إقامة الحد على ما قلنا. وللعرب في الرأفة لغتان: الرأفة بتسكين الهمزة, والرآفة بمدّها, كالسأمة والسآمة, والكأبة والكآبة. وكأنّ الرأفة المرّة الواحدة, والرآفة المصدر, كما قيل: ضَؤُل ضآلة مثل فَعُل فعالة, وقَبُح قباحة.
وقوله: إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِيقول: إن كنتم تصدّقون بالله ر بكم وبالـيوم الآخر, وأنكم فيه مبعوثون لحشر القيامة وللثواب والعقاب, فإن من كان بذلك مصدّقا فإنه لا يخالف الله في أمره ونهيه خوف عقابه على معاصيه. وقوله: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يقول تعالى ذكره: وليحضر جلد الزانيين البِكْرَين وحدّهما إذا أقيم عليهما طائفةٌ من المؤمنين. والعرب تسمي الواحد فما زاد. طائفة. مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يقول: من أهل الإيمان بالله ورسوله.
وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ عدد الطائفة الذي أمر الله بشهود عذاب الزانيين البِكْرين, فقال بعضهم: أقله واحد. ذكر من قال ذلك:
19476ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: الطائفة: رجل.
حدثنا عليّ بن سهل بن موسى بن إسحاق الكنانيّ وابن القوّاس, قالا: حدثنا يحيى بن عيسى, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قال: الطائفة رجل. قال عليّ: فما فوق ذلك وقال ابن القوّاس: فأكثر من ذلك.
حدثنا عليّ, قال: حدثنا زيد, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: الطائفة: رجل.
حدثنا يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: قال ابن أبي نجيح: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قال مجاهد: أقله رجل.
حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن مجاهد, في قوله: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قال: الطائفة: الواحد إلى الألف.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن مجاهد في هذه الآية: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِن الْمُؤْمِنِينَ قال: الطائفة واحد إلى الألف وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما.
19477ـ حدثنا ابن المثنى, قال: ثني وهب بن جرير, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن مجاهد, قال: الطائفة: الرجل الواحد إلى الألف, قال: وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما: إنما كانا رجلين.

19478ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: سمعت عيسى بن يونس, يقول: حدثنا النعمان بن ثابت, عن حماد وإبراهيـم قالا: الطائفة: رجل.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: وَلْـيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الـمُؤْمِنِـينَ قال: الطائفة: رجل واحد فما فوقه.

وقال آخرون: أقله فـي فـي هذا الـموضع رجلان. ذكر من قال ذلك:

19479ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا ابن عُلَـية, قال: حدثنا ابن أبـي نـجيح, فـي قوله: وَلْـيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الـمُؤْمِنِـينَ قال: قال عطاء: أقله رجلان.

19480ـ حدثنـي القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرنـي عمر بن عطاء عن عكرمة قال: لـيحضر رجلان فصاعدا.

وقال آخرون: أقلّ ذلك ثلاثة فصاعدا. ذكر من قال ذلك:

19481ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن ابن أبـي ذئب, عن الزهريّ, قال: الطائفة: الثلاثة فصاعدا.

19482ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة, فـي قوله: وَلْـيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الـمُؤْمِنِـينَ قال: نفر من الـمسلـمين.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.

19483ـ حدثنـي أبو السائب, قال: حدثنا حفص بن غياث, قال: حدثنا أشعث, عن أبـيه, قال: أتـيت أبـا بَرْزة الأسلـميّ فـي حاجة وقد أخرج جارية إلـى بـاب الدار وقد زنت, فدعا رجلاً فقال: اضربها خمسين فدعا جماعة, ثم قرأ: وَلْـيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الـمُؤْمِنِـينَ.

19484ـ حدثنا أبو هشام الرفـاعيّ, قال: حدثنا يحيى, عن أشعث, عن أبـيه, أن أبـا بَرْزة أمر ابنه أن يضرب جارية له ولدت من الزنا ضربـا غير مبرّح, قال: فألقـى علـيها ثوبـا وعنده قوم, وقرأ: وَلْـيَشْهَدْ عَذَابَهُما الآية.

وقال آخرون: بل أقلّ ذلك أربعة. ذكر من قال ذلك:

19485ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَلْـيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الـمُؤْمِنِـينَ قال: فقال: الطائفة التـي يجب بها الـحدّ أربعة.

وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب قول من قال: أقلّ ما ينبغي حضور ذلك من عدد الـمسلـمين: الواحد فصاعدا وذلك أن الله عمّ بقوله: وَلْـيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ والطائفة: قد تقع عند العرب علـى الواحد فصاعدا. فإذا كان ذلك كذلك, ولـم يكن الله تعالـى ذكره وضع دلالة علـى أن مراده من ذلك خاصّ من العدد, كان معلوما أن حضور ما وقع علـيه أدنى اسم الطائفة ذلك الـمـحضر مخرج مقـيـم الـحدّ مـما أمره الله به بقوله: وَلْـيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الـمُؤْمِنِـينَ. غير أنـي وإن كان الأمر علـى ما وصفت, أستـحبّ أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الـموضع عن أربعة أنفس عدد من تقبل شهادته علـى الزنا لأن ذلك إذا كان كذلك فلا خلاف بـين الـجمع أنه قد أدّى الـمقـيـم الـحدّ ما علـيه فـي ذلك, وهم فـيـما دون ذلك مختلفون.

الآية : 3
القول في تأويل قوله تعالى: {الزّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَآ إِلاّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ }.
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: نزلت هذه الآية في بعض من استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح نسوة كنّ معروفات بالزنا من أهل الشرك, وكنّ أصحاب رايات, يُكْرِين أنفسهنّ, فأنزل الله تحريمهنّ على المؤمنين, فقال: الزاني من المؤمنين لا يتزوّج إلاّ زانية أو مشركة, لأنهنّ كذلك والزانية من أولئك البغايا لا ينكحها إلاّ زان من المؤمنين أو المشركين أو مشرك مثلها, لأنهنّ كنّ مشركات. وَحُرّمَ ذلكَ عَلى المُؤْمِنِينَ فحرّم الله نكاحهنّ في قول أهل هذه المقالة بهذه الآية. ذكر من قال ذلك:
19486ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, عن أبيه, قال: ثني الحضرميّ, عن القاسم بن محمد, عن عبد الله بن عمرو: أن رجلاً من المسلمين استأذن نبيّ الله في امرأة يقال لها أمّ مهزول, كانت تسافح الرجل وتشترط له أن تنفق عليه, وأنه استأذن فيها نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وذكر له أمرها, قال: فقرأ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: الزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ أو قال: فأنزلت الزانية....
19487ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: ثني هُشَيم, عن التيميّ, عن القاسم بن محمد, عن عبد الله بن عمرو في قوله: الزّاني لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً, وَالزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ قال: كنّ نساء معلومات, قال: فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوّج المرأة منهنّ لتنفق عليه, فنهاهم الله عن ذلك.
19488ـ قال: أخبرنا سليمان التيمي, عن سعيد بن المسيب, قال: كنّ نساء موارد بالمدينة.
حدثنا أحمد بن المِقدام, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت أبي, قال: حدثنا قَتادة, عن سعيد بن المسيب في هذه الآية: وَالزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ قال: نزلت في نساء موارد كنّ بالمدينة.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عاصم الكلابيّ, قال: حدثنا معتمر, عن أبيه, عن قَتادة, عن سعيد, بنحوه.
19489ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن رجل, عن عمرو بن شعيب, قال: كان لمرثَد صديقة في الجاهلية يقال لها عِناق, وكان رجلاً شديدا, وكان يقال له دُلْدُل, وكان يأتي مكة فيحمل ضَعَفة المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فلقي صديقته, فدعته إلى نفسها, فقال: إن الله قد حرّم الزنا فقالت: أنّى تَبْرُز فخشي أن تشيع عليه, فرجع إلى المدينة, فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كانت لي صديقة في الجاهلية, فهل ترى لي نكاحها؟ قال: فأنزل الله: الزّاني لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً وَالزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ قال: كنّ نساء معلومات يُدْعَوْن القليقيات.
19490ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن إبراهيم بن مهاجر, قال: سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية: الزّاني لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشَرِكَةً قال: كنّ بغايا في الجاهلية.

19491ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, عن عبد الملك, عمن أخبره, عن مجاهد, نحوا من حديث ابن المثنى, إلاّ أنه قال: كانت امرأة منهنّ يقال لها: أمّ مهزول يعني في قوله: الزّانِي لا ينْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً قال: فكنّ نساء معلومات, قال: فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوّج المرأة منهنّ لتنفق عليه, فنهاهم الله عن ذلك. هذا من حديث التيميّ.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: الزّاني لا يَنْكحُ إلاّ زَانيَةً قال: رجال كانوا يريدون الزنا بنساء زوان بغايا متعالمَات كنّ في الجاهلية, فقيل لهم هذا حرام, فأرادوا نكاحهن, فحرم الله عليهم نكاحهن.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, بنحوه, إلاّ أنه قال: بغايا مُعْلِنات كنّ كذلك في الجاهلية.

19492ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن هشام بن عروة, عن أبيه وإسماعيل بن أبي خالد, عن الشعبيّ وابن أبي ذئب, عن شعبة, عن ابن عباس, قال: كنّ بغايا في الجاهلية, على أبوابهنّ رايات مثل رايات البيطار يعرفن بها.

19493ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن قيس بن سعد, عن عطاء بن أبي رباح, عن ابن عباس, قال: نساء بغايا متعالمَات, حرّم الله نكاحهنّ, لا ينكحهنّ إلاّ زان من المؤمنين أو مشرك من المشركين.

19494ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: الزّانِي لا يَنْكحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً وَالزّانيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ وحُرّمَ ذلكَ عَلى المُؤْمِنينَ قال: كانت بيوتٌ تسمى المواخير في الجاهلية, وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهنّ, وكانت بيوتا معلومة للزنا, لا يدخل عليهنّ ولا يأتيهنّ إلاّ زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان, فحرّم الله ذلك على المؤمنين.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن ابن جُرَيج, عن عطاء, في قوله: الزّانِي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ قال: بغايا متعالمَات كنّ في الجاهلية بغيّ آل فلان وبغيّ آل فلان, فأنزل الله: الزّانِي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ وَحُرّمَ ذلكَ عَلى المُؤْمِنِينَ فحكم الله بذلك من أمر الجاهلية على الإسلام. فقال له سليمان بن موسى: أبلغك ذلك عن ابن عباس؟ فقال: نعم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في ذلك: كنّ بغايا متعالمَات بغيّ آل فلان وبغيّ آل فلان, وكنّ زواني مشركات, فقال: الزّانِي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ وَحُرّمَ ذلكَ عَلى المُؤْمِنِينَ قال: أحَكَم الله من أمر الجاهلية بهذا. قيل له: أبلغك هذا عن ابن عباس؟ قال: نعم.

قال ابن جريج: وقال عكرِمة: إنه كان يسمّي تسعا بعد صواحب الرايات, وكنّ أكثر من ذلك, ولكن هؤلاء أصحاب الرايات: أمّ مهزول جارية السائب

بن أبـي السائب الـمخزوميّ, وأمّ عُلَـيط جارية صفوان بن أمية, وحنّة القبطية جارية العاصي بن وائل, ومَرِيّة جارية مالك بن عميـلة بن السبـاق بن عبد الدار, وحلالة جارية سهيـل بن عمرو, وأمّ سويد جارية عمرو بن عثمان الـمخزومي, وسريفة جارية زمعة بن الأسود, وفرسة جارية هشام بن ربـيعة بن حبـيب بن حذيفة بن جبل بن مالك بن عامر بن لؤَيّ, وقريبـا جارية هلال بن أنس بن جابر بن نـمر بن غالب بن فهر.

19495ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, وقال الزهري وقتادة, قالوا: كان فـي الـجاهلـية بغايا معلوم ذلك منهنّ, فأراد ناس من الـمسلـمين نكاحهنّ, فأنزل الله: الزّانِـي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِـيَةً أوْ مُشْرِكَةً وَالزّانِـيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ... الآية.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن نـجيح, عن مـجاهد, وقاله الزهريّ وقتادة, قالوا: كانوا فـي الـجاهلـية بغايا, ثم ذكر نـحوه.

19496ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن ابن أبـي نـجيح, عن القاسم بن أبـي بَزّة: كان الرجل ينكح الزانـية فـي الـجاهلـية التـي قد علـم ذلك منها يتـخذها مَأكلة, فأراد ناس من الـمسلـمين نكاحهنّ علـى تلك الـجهة, فُنهوا عن ذلك.

حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن أبـي نـجيح, قال: قال القاسم بن أبـي بزّة, فذكر نـحوه.

حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا سلـيـمان التـيـميّ, عن سعيد بن الـمسيب, قال: كنّ نساء مَواردَ بـالـمدينة.

19497ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا عبد الـملك بن أبـي سلـيـمان, عن سعيد بن جُبـير: أن نساء فـي الـجاهلـية كنّ يُؤاجرن أنفسهنّ, وكان الرجل إنـما ينكح إحداهنّ يريد أن يصيب منها عَرَضا, فنهوا عن ذلك, ونزل: الزّانِـي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِـيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانِـيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ ومنهنّ امرأة يقال لها أمّ مهزول.

19498ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, عن إسماعيـل, عن الشعبـيّ, فـي قوله: الزّانِـي لا يَنْكِح إلاّ زَانـيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانـيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ قال: كنّ نساء يُكْرِين أنفسهنّ فـي الـجاهلـية.

وقال آخرون: معنى ذلك: الزانـي لا يزنى إلاّ بزانـية أو مشركة, والزانـية لا يزنى بها إلاّ زان أو مشرك. قالوا: ومعنى النكاح فـي هذا الـموضع: الـجماع. ذكر من قال ذلك:

19499ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن حُصَين, عن عكرِمة, عن ابن عبـاس, فـي قول الله: الزّانِـي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِـيَةً أوْ مُشْرِكَةً قال: لا يزنى إلاّ بزانـية أو مشركة.

19500ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن يَعْلَـى بن مسلـم, عن سعيد بن جُبـير أنه قال فـي هذه الآية: وَالزّانِـيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زانٍ أوْ مُشْرِكٌ قال: لا يزنى الزانـي إلاّ بزانـية مثله أو مشركة.

19501ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن شُبْرُمة, عن سعيد بن جُبـير وعكرمة فـي قوله: الزّانِـي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِـيَةً أوْ مُشْرِكَةً قالا: هو الوطء.
19502ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد, عن معمر, قال: قال سعيد بن جُبـير ومـجاهد: الزّانِـي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِـيَةً أوْ مُشْرِكَةً قالا: هو الوطء.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي عن سلـمة بن نبـيط, عن الضحاك بن مزاحم وشعبة, عن يعلـى بن مسلـم, عن سعيد بن جُبـير, قوله: الزّانـي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِـيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانـيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ قالا: لا يزنـي الزانـي حين يزنـي إلاّ بزانـية مثله أو مشركة, ولا تَزنـي مشركة إلاّ بـمثلها.
19503ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قول الله: الزّانـي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِـيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانِـيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ قال: هؤلاء بغايا كنّ فـي الـجاهلـية, والنكاح فـي كتاب الله الإصابة, لا يصيبها إلاّ زان أو مشرك, لا يحرم الزنا, ولا تصيب هي إلاّ مثلها. قال: وكان ابن عبـاس يقول: بغايا كنّ فـي الـجاهلـية.
19504ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن قـيس بن سعد, عن سعيد بن جُبـير, قال: إذا زنى بها فهو زان.
19505ـ حدثنا علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: حدثنا معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: الزّانـي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانـيَةً أوْ مُشْرِكَةً قال: الزانـي من أهل القبلة لا يزنى إلاّ بزانـية مثله أو مشركة. قال: والزانـية من أهل القبلة لا تزنى إلاّ بزان مثلها من أهل القبلة أو مشرك من غير أهل القبلة. ثم قال: وَحُرّمَ ذلكَ علـى الـمُؤْمِنـينَ.
وقال آخرون: كان هذا حكم الله فـي كلّ زان وزانـية, حتـى نسخه بقوله: وأنْكِحُوا الأيامَى منْكُمْ, فأحلّ نكاح كلّ مسلـمة وإنكاح كلّ مسلـم. ذكر من قال ذلك:
19506ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, عن يحيى بن سعيد, عن سعيد بن الـمسيب, فـي قوله: الزّانـي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِـيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانِـيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ وحُرّم ذلكَ عَلـى الـمُؤْمِنِـينَ قال: يَرَوْن الآية التـي بعدها نسختها: وأنْكِحُوا الأيامَى مِنْكُمْ قال: فهن من أيامى الـمسلـمين.
حدثنا القاسم, قال حدثنا الـحسين قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرنـي يحيى بن سعيد, عن سعيد بن الـمسيب: الزّانـي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِـيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانِـيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ قال: نسختها التـي بعدها: وأنْكِحُوا الأيامَى مِنْكُمْ وقال: إنهنّ من أيامى الـمسلـمين.
19507ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: وذكر عن يحيى, عن ابن الـمسيب, قال: نسختها: وأنْكِحُوا الأيامَى مِنْكُمْ.
حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن يحيى بن سعيد, عن سعيد بن الـمسيب, قال: نسختها قوله: وأنْكِحُوا الأيامَى.
حدثنـي يونس, قال: أخبرنا أنس بن عياض, عن يحيى, قال: ذكر عند سعيد بن الـمسيب: الزّانِـي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِـيَةً أوْ مُشْرِكَةً قال: فسمعته

يقول: إنها قد نسختها التـي بعدها. ثم قرأها سعيد, قال: يقول الله: الزّانِـي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِـيَةً أوْ مُشْرِكَةً ثم يقول الله: وأنْكِحُوا الأيامَى مِنْكُمْ فهنّ من أيامى الـمسلـمين.

قال أبو جعفر: وأولـى الأقوال فـي ذلك عندي بـالصواب قول من قال: عُنـي بـالنكاح فـي هذا الـموضع الوطء, وأن الآية نزلت فـي البغايا الـمشركات ذوات الرايات وذلك لقـيام الـحجة علـى أن الزانـية من الـمسلـمات حرام علـى كلّ مشرك, وأن الزانـي من الـمسلـمين حرام علـيه كلّ مشركة من عَبَدة الأوثان. فمعلوم إذا كان ذلك كذلك أنه لـم يُعْنَ بـالآية أن الزانـي من الـمؤمنـين لا يعقد عقد نكاح علـى عفـيفة من الـمسلـمات ولا ينكح إلاّ بزانـية أو مشركة. وإذ كان ذلك كذلك, فبـين أن معنى الآية: الزانـي لا يزنـي إلاّ بزانـية لا تستـحلّ الزنا أو بـمشركة تستـحلّه.

وقوله: وَحُرّمَ ذلكَ عَلـى الـمُؤْمِنِـينَ يقول: وحرّم الزنا علـى الـمؤمنـين بـالله ورسوله, وذلك هو النكاح الذي قال جلّ ثناؤه: الزّانـي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِـيَةً.

الآية : 4

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَالّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: والذين يَشْتُـمون العفـائف من حرائر الـمسلـمين, فـيرمونهنّ بـالزنا, ثم لـم يأتوا علـى ما رمَوْهن به من ذلك بأربعة شهداء عُدول يشهدون علـيهنّ أنهنّ رأوهنّ يفعلن ذلك, فـاجلدوا الذين رمَوْهنّ بذلك ثمانـين جلدة, ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا, وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله وخرجوا من طاعته ففسقوا عنها.

وذُكر أن هذه الآية إنـما نزلت فـي الذين رموا عائشة زوج النبـيّ صلى الله عليه وسلم بـما رموها به من الإفك. ذكر من قال ذلك:

19508ـ حدثنـي أبو السائب وإبراهيـم بن سعيد, قالا: حدثنا ابن فضيـل, عن خَصِيف, قال: قلت لسعيد بن جُبـير: الزنا أشدّ, أو قذف الـمـحصنة؟ قال: لا, بل الزنا. قلت: إن الله يقول: والّذِين يَرْمُونَ الـمُـحْصَناتِ قال: إنـما هذا فـي حديث عائشة خاصة.

19509ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: الّذِينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَناتِ ثُمّ لَـمْ يَأْتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... الآية فـي نساء الـمسلـمين.

19510ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وأُولَئكَ هُمُ الفـاسقونَ قال: الكاذبون.

الآية : 5

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِلاّ الّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

اختلف أهل التأويـل فـي الذي استثنـي منه قوله: إلاّ الّذِينَ تابُوا منْ بَعْدِ ذَلِكَ وأصْلَـحُوا فقال بعضهم: استثنـي من قوله: وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أبَدا وأُولَئِكَ هُمُ الفـاسِقُونَ وقالوا: إذا تاب القاذف قُبلت شهادته وزال عنه اسم الفسق, حُدّ فـيه أو لـم يحدّ. ذكر من قال ذلك:

19511ـ حدثنـي أحمد بن حماد الدّولابـيّ, قال: ثنـي سفـيان, عن الزهري, عن سعيد إن شاء الله, أن عمر قال لأبـي بكرة: إن تبت قبلت شهادتك, أو رَدَدْت شهادتك.

19512ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عن الزهري, عن سعيد بن الـمسيب: أن عمر بن الـخطاب ضرب أبـا بكرة وشبلَ بن معبد ونافع بن الـحارث بن كَلَدة حَدّهم. وقال لهم: من أكذب نفسه أجزت شهادته فـيـما استقبل, ومن لـم يفعل لـم أجز شهادته. فأكذب شبلٌ نفسَه ونافع, وأبى أبو بكرة أن يفعل. قال الزهريّ: هو والله سُنّة فـاحفظوه.

19513ـ حدثنا ابن أبـي الشوارب, قال: حدثنا يزيد بن زُرَيع, قال: حدثنا داود, عن الشعبـيّ, قال: إذا تاب يعنـي القاذف ولـم يعلـم منه إلاّ خير, جازت شهادته.

حدثنا عمران بن موسى, قال: حدثنا عبد الوارث, قال: حدثنا داود, عن الشعبـي, قال: علـى الإمام أن يستتـيب القاذف بعد الـجَلْد, فإن تاب وأونس منه خير جازت شهادته, وإن لـم يتب فهو خـلـيع لا تـجوز شهادته.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا عبد الوارث, قال: حدثنا داود, عن عامر, أنه قال فـي القاذف: إذا تاب وعلـم منه خير إن شهادته جائزة, وإن لـم يتب فهو خـلـيع لا تـجوز شهادته, وتوبته إكذابه نفسه.

قال: حدثنا ابن أبـي عديّ, عن داود, عن الشعبـيّ, نـحوه.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب, قالا: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا داود بن أبـي هند, عن الشعبـيّ, قال فـي القاذف: إذا تاب وأكذب نفسه قُبلت شهادته, وإلا كان خـلـيعا لا شهادة له لأن الله يقول: لَوْلا جاءُوا عَلَـيْهِ بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... إلـى آخر الآية.

حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا داود بن أبـي هند, عن الشعبـيّ أنه كان يقول فـي شهادة القاذف: إذا رجع عن قوله حين يُضرب, أو أكذب نفسه, قُبلت شهادته.

قال: حدثنا هشيـم, عن إسماعيـل بن أبـي خالد, عن الشعبـي أنه كان يقول: يقبل الله توبته, وتردّون شهادته؟ وكان يقبل شهادته إذا تاب.

قال: أخبرنا إسماعيـل عن الشعبـيّ أنه كان يقول فـي القاذف: إذا شهد قبل أن يُضرب الـحدّ, قُبلت شهادته.

19514ـ قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا عبـيدة عن إبراهيـم, وإسماعيـل بن سالـم عن الشعبـي, أنهما قالا فـي القاذف: إذا شهد قبل أن يُجلد فشهادته جائزة.

19515ـ حدثنـي يعقوب, قال: قال أبو بشر, يعنـي ابن عُلَـية, سمعت ابن أبـي نـجيح يقول: القاذف إذا تاب تـجوز شهادته. وقال: كنا نقوله. فقـيـل له: من؟ قال: قال عطاء وطاوس ومـجاهد.

19516ـ حدثنا ابن بشار, وابن الـمثنى, قالا: حدثنا مـحمد بن خالد بن عَثْمة, قال: حدثنا سعيد بن بشير, عن قتادة, عن عمر بن طلـحة, عن عبد الله, قال: إذا تاب القاذف جلد وجازت شهادته. قال أبو موسى: هكذا قال ابن أبـي عَثْمة.

19517ـ حدثنا ابن بشار وابن الـمثنى, قالا: حدثنا ابن أبـي عَدْيٍ, قال: حدثنا سعيد بن بشير, عن قَتادة, عن سلـيـمان بن يسار والشعبـي قالا: إذا تاب القاذف عند الـجلد جازت شهادته.
19518ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلـى, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة: أن عمر بن عبد الله بن أبـي طلـحة جلد رجلاً فـي قذف, فقال: أَكْذِبْ نفسك حتـى تـجوز شهادتك
19519ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن أبـي الهيثم, قال: سمعت إبراهيـم والشعبـيّ يتذاكران شهادة القاذف, فقال الشعبـيّ لإبراهيـم: لِـم لا تقبل شهادته؟ فقال: لأنـي لا أدري تاب أم لا.
19520ـ قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا عبد الله بن الـمبـارك, عن مـجالد, عن الشعبـيّ, عن مسروق, قال: تُقبل شهادته إذا تاب.
19521ـ قال: حدثنا عبد الله بن الـمبـارك, عن يعقوب بن القعقاع, عن مـحمد بن زيد, عن سعيد بن جبـير, مثله.
19522ـ قال: حدثنا عبد الله بن الـمبـارك, عن ابن جُرَيج, عن عمران بن موسى, قال: شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل.
حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الـحكم, قال: قال الشعبـيّ: إذا تاب جازت شهادته, قال ابن الـمثنى. قال: عندي, يعنـي فـي القذف.
19523ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا مسعر, عن عمران بن عمير: أن عبد الله بن عتبة كان يجيز شهادة القاذف إذا تاب.
19524ـ حدثنـي يعقوب, قال: ثنـي هشيـم, عن جويبر, عن الضحاك, قال: إذا تاب وأصلـح قُبلت شهادته يعنـي القاذف.
19525ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: أخبرنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, عن ابن الـمسيب, قال: تقبل شهادة القاذف إذا تاب.
حدثنا الـحسن, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, عن ابن الـمسيب, مثله.
19526ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد, عن معمر, قال: قال الزُهريّ: إذا حدّ القاذف, فإنه ينبغي للإمام أن يستتـيبه, فإن تاب قُبلت شهادته, وإلاّ لـم تقبل. قال: كذلك فعل عمر بن الـخطاب بـالذين شهدوا علـى الـمغيرة بن شعبة, فتابوا إلاّ أبـا بكرة, فكان لا تقبل شهادته.
وقال آخرون: الاستثناء فـي ذلك من قوله: وَأُولَئِكَ هُمُ الفَـاسِقُون.
وأما قوله: وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أبَدا فقد وصل بـالأبد ولا يجوز قبولها أبدا.
ذكر من قال ذلك:
19527ـ حدثنا ابن أبـي الشوارب, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا أشعث بن سوّار, قال: ثنـي الشعبـيّ, قال: كان شريح يجيز شهادة صاحب كلّ عمل إذا تاب إلاّ القاذف, فإن توبته فـيـما بـينه وبـين ربه ولا نـجيز شهادته.
حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا أشعث بن سوار, قال: حدثنا الشعبـيّ, عن شُريح بنـحوه, غير أنه قال: صاحب كلّ حدّ إذا كان عدلاً يوم شهد.

19528ـ حدثنـي أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش, عن إبراهيـم, عن شريح, قال: كان لا يجيز شهادة القاذف, ويقول: توبته فـيـما بـينه وبـين ربه.
19529ـ حدثنا أبو كريب وأبو السائب, قالا: حدثنا ابن إدريس, عن مُطَرّف, عن أبـي عثمان, عن شريح فـي القاذف: يقبل الله توبته, ولا أقبل شهادته.
19530ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا أشعث, عن الشعبـيّ, قال: أتاه خصمان, فجاء أحدهما بشاهد أقطع, فقال الـخصم: ألا ترى ما به؟ قال: قد أراه. قال: فسأل القوم, فأثنوا علـيه خيرا, فقال شريح: نـجيز شهادة كل صاحب حدّ, إذا كان يوم شهد عدلاً إلاّ القاذف, فإن توبته فـيـما بـينه وبـين ربه.
حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا أشعث, عن الشعبـيّ, قال: جاء خصمان إلـى شُرَيح, فجاء أحدهما ببـينة, فجاء بشاهد أقطع, فقال الـخصم: ألا ترى إلـى ما به؟ فقال شريح: قد رأيناه, وقد سألنا القوم فأثنوا خيرا. ثم ذكر سائر الـحديث, نـحو حديث أبـي كريب.
حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا الشيبـانـيّ, عن الشعبـيّ, عن شريح أنه كان يقول: لا تُقبل له شهادة أبدا, توبته فـيـما بـينه وبـين ربه يعنـي القاذف.
19531ـ قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا الأشعث, عن الشعبـيّ, بأن ربـابـا قطع رجلاً فـي قَطْعِ الطريق, قال: فقطع يده ورجله. قال: ثم تاب وأصلـح, فشهد عند شريح, فأجاز شهادته. قال: فقال الـمشهود علـيه: أتـجيز شهادته علـيّ وهو أقطع؟ قال: فقال شريح: كل صاحب حدّ إذا أقـيـم علـيه ثم تاب وأصلـح, فشهادته جائزة إلاّ القاذف.
حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا أبو الولـيد, قال: حدثنا شعبة, قال الـمغيرة: أخبرنـي, قال: سمعت إبراهيـم يحدّث عن شريح, قال: قضاء من الله لا تقبل شهادته أبدا, توبته فـيـما بـينه وبـين ربه. قال أبو موسى: يعنـي القاذف.
حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيـم, قال: قال شريح: لا يقبل الله شهادته أبدا.
19532ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا أبو الولـيد, قال: حدثنا حماد, عن قَتادة, عن سعيد بن الـمسيب, قال: لا تـجوز شهادة القاذف, توبته فـيـما بـينه وبـين الله.
19533ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, عن الـحسن, أنه قال: القاذف توبته فـيـما بـينه وبـين الله, وشهادته لا تُقبل.
حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا أبو الولـيد, قال: حدثنا حماد, عن قَتادة, عن سعيد بن الـمسيب, قال: لا تـجوز شهادة القاذف, توبته فـيـما بـينه وبـين الله.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلـى, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, عن الـحسن, أنه قال: القاذف توبته فـيـما بـينه وبـين الله, وشهادته لا تُقبل.

19534ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الـحكم, عن إبراهيـم أنه قال فـي الرجل يُجْلَد الـحدّ, قال: لا تـجوز شهادته أبدا.
حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيـم: أنه كان لا يقبل له شهادة أبدا, وتوبته فـيـما بـينه وبـين الله يعنـي القاذف.
19535ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا معتـمر بن سلـيـمان, عن حجاج, عن عمرو بن شعيب, عن أبـيه, عن جدّه, عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا تَـجُوزُ شَهادَةُ مَـحْدُودٍ فِـي الإسْلامِ».
19536ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الـحسن: وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أبَدا قال: كان يقول: لا تقبل شهادة القاذف أبدا, إنـما توبته فـيـما بـينه وبـين الله. وكان شريح يقول: لا تُقبل شهادته.
19537ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أبَدا, ثم قال: فَمَنْ تابَ وأصْلَـحَ فشهادته فـي كتاب الله تقبل.
والصواب من القول فـي ذلك عندنا: أن الاستثناء من الـمعنـيـين جميعا, أعنـي من قوله: وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أبَدا, ومن قوله: وأُولَئِكَ هُمُ الفـاسِقُونَ. وذلك أنه لا خلاف بـين الـجميع أن ذلك كذلك إذا لـم يحدّ فـي القذف حتـى تاب, إما بأن يرفع إلـى السلطان بعفو الـمقذوفة عنه, وإما بأن ماتت قبل الـمطالبة بحدّها ولـم يكن لها طالب يطلب بحدّها. فإذ كان ذلك كذلك وحدثت منه توبة صحت له بها العدالة.
فإذ كان من الـجميع إجماعا, ولـم يكن الله تعالـى ذكره شرط فـي كتابه أن لا تقبل شهادته أبدا بعد الـحدّ فـي رميه, بل نهى عن قبول شهادته فـي الـحال التـي أوجب علـيه فـيها الـحدّ وسماه فـيها فـاسقا, كان معلوما بذلك أنّ إقامة الـحدّ علـيه فـي رميه, لا تـحدث فـي شهادته مع التوبة من ذنبه, ما لـم يكن حادثا فـيها قبل إقامته علـيه, بل توبته بعد إقامة الـحدّ علـيه من ذنبه أحرى أن تكون شهادته معها أجوز منها قبل إقامته علـيه لأن الـحدّ يزيد الـمـحدود علـيه تطهيرا من جُرمه الذي استـحقّ علـيه الـحدّ.
فإن قال قائل: فهل يجوز أن يكون الاستثناء من قوله: فـاجْلِدُوهُمْ ثَمانِـينَ جَلْدَةً فتكون التوبة مُسقطة عنه الـحدّ, كما كانت لشهادته عندك قبل الـحدّ وبعده مـجيزة ولاسم الفسق عنه مزيـلة؟ قـيـل: ذلك غير جائز عندنا وذلك أن الـحدّ حقّ عندنا للـمقذوفة كالقصاص الذي يجب لها من جناية يجنـيها علـيها مـما فـيه القصاص. ولا خلاف بـين الـجميع أن توبته من ذلك لا تضع عنه الواجب لها من القصاص منه, فكذلك توبته من القذف لا تضع عنه الواجب لها من الـحدّ, لأن ذلك حقّ لها, إن شاءت عفته, وإن شاءت طالبت به. فتوبة العبد من ذنبه إنـما تضع عن العبد الأسماء الذميـمة والصفـات القبـيحة, فأما حقوق الآدميـين التـي أوجبها الله لبعضهم علـى بعض فـي كلّ الأحوال فلا تزول بها ولا تبطل.
واختلف أهل العلـم فـي صفة توبة القاذف التـي تقبل معها شهادته, فقال بعضهم: هو إكذابه نفسه فـيه. وقد ذكرنا بعض قائلـي ذلك فـيـما مضى قبل, ونـحن نذكر بعض ما حضرنا ذكره مـما لـم نذكره قبل.
19538ـ حدثنـي أبو السائب, قال: حدثنا حفص, عن لـيث, عن طاوس, قال: توبة القاذف أن يكذّب نفسه.

19539ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, قال: رأيت رجلاً ضُرب حدّا في قذف بالمدينة, فلما فرغ من ضربه تناول ثوبه, ثم قال: أستغفر الله وأتوب إليه من قذف المحصنات قال: فلقيت أبا الزناد, فذكرت ذلك له, قال: فقال: إن الأمر عندنا هاهنا أنه إذا قال ذلك حين يفرغ من ضربه ولم نعلم منه إلاّ خيرا قُبلت شهادته.

19540ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أبَدا وأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ إلاّ الّذِينَ تابُوا... الآية, قال: من اعترف وأقرّ على نفسه علانية أنه قال البهتان وتاب إلى الله توبة نصوحا والنصوح: أن لايعودوا, وإقراره واعترافه عند الحدّ حين يؤخذ بالجلد فقد تاب والله غفور رحيم.

وقال آخرون: توبته من ذلك صلاح حاله وندمه على ما فرط منه من ذلك والاستغفار منه وتركه العود في مثل ذلك من الجُرم. وذلك قول جماعة من التابعين وغيرهم, وقد ذكرنا بعض قائليه فيما مضى, وهو قول مالك بن أنس.

وهذا القول أولى القولين في ذلك بالصواب لأن الله تعالى ذكره جعل توبة كل ذي ذنب من أهل الإيمان تركه العود منه, والندم على ما سلف منه, واستغفار ربه منه, فيما كان من ذنب بين العبد وبينه دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم. والقاذف إذا أقيم عليه فيه الحدّ أو عُفي عنه فلم يبق عليه إلاّ توبته من جرمه بينه وبين ربه, فسبيل توبته منه سبيل توبته من سائر أجرامه. فإذ كان الصحيح في ذلك من القول ما وصفنا, فتأويل الكلام: وأولئك هم الفاسقون, إلاّ الذين تابوا من جُرمهم الذي اجترموه بقذفهم المحصنات من بعد اجترامهموه, فإنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: ساتر على ذنوبهم بعفوه لهم عنها, رحيم بهم بعد التوبة أن يعذّبهم عليها, فاقبلوا شهادتهم ولا تسموهم فَسَقة, بل سموهم بأسمائهم التي هي لهم في حال توبتهم.

الآية : 6-7

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لّهُمْ شُهَدَآءُ إِلاّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللّهِ إِنّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنّ لَعْنَةَ اللّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وَالّذِينَ يَرْمُونَ من الرجال أزْوَاجَهُمْ بالفاحشة, فيقذفونهنّ بالزنا, ولَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ يشهدون لهم بصحة ما رموهنّ به من الفاحشة, فَشَهادَةُ أحَدِهِمْ أرْبَعُ شَهاداتٍ باللّهِ إنّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: «أرْبَعَ شَهاداتٍ» نصبا, ولنصبهم ذلك وجهان: أحدهما: أن تكون الشهادة في قوله: فَشَهادَةُ أحَدِهِمْ مرفوعة بمضمر قبلها, وتكون «الأربع» منصوبا بمعنى الشهادة, فيكون تأويل الكلام حينئذٍ: فعلى أحدهم أن يشهد أربعَ شهادات بالله. والوجه الثاني: أن تكون الشهادة مرفوعة بقوله: إنّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ و «الأربع» منصوبة بوقوع الشهادة عليها, كما يقال: شهادتي ألف مرّة إنك لرجل سَوْء وذلك أن العرب ترفع الأيمان بأجوبتها, فتقول: حَلِفٌ صادق لأقومنّ, وشهادة عمرو ليقعدنّ. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: أرْبَعُ شَهاداتٍ برفع «الأربع», ويجعلونها للشهادة مرافِعة,

وكأنهم وجهوا تأويـل الكلام: فـالذي يـلزم من الشهادة, أربعُ شهادات بـالله إنه لـمن الصادقـين.
وأولـى القراءتـين فـي ذلك عندي بـالصواب قراءة من قرأ: «فشهادَةُ أحَدِهِمْ أرْبَعَ شَهاداتٍ بـاللّهِ إنّهُ لَـمنَ الصّادِقِـينَ» بنصب أربع, بوقوع «الشهادة» علـيها, و «الشهادة» مرفوعة حينئذٍ علـى ما وصفت من الوجهين قبل وأحبّ وجهيهما إلـيّ أن تكون به مرفوعة بـالـجواب, وذلك قوله: إنّهُ لَـمِنَ الصّادِقِـينَ وذلك أن معنى الكلام: والذين يرمون أزواجهم, ولـم يكن لهم شهداء إلاّ أنفسهم, فشهادة أحدهم أربع شهادات بـالله إنه لـمن الصادقـين, تقوم مقام الشهداء الأربعة فـي دفع الـحدّ عنه. فترك ذكر تقوم مقام الشهداء الأربعة, أكتفـاء بـمعرفة السامعين بـما ذُكِر من الكلام, فصار مُرافِع «الشهادة» ما وصفت. ويعنـي بقوله: فَشَهادَةُ أحَدِهِمْ أرْبَعُ شَهاداتٍ بـاللّهِ: فحلف أحدهم أربع أيـمان بـالله, من قول القائل: أشهد بـالله إنه لـمن الصادقـين فـيـما رَمَى زوجته به من الفـاحشة, والـخامِسَة يقول: والشهادة الـخامسة, أن لعنة الله علـيه يقول: إن لعنة الله له واجبة وعلـيه حالّة, إن كان فـيـما رماها به من الفـاحشة من الكاذبـين.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقالت به جماعة من أهل التأويـل. ذكر الرواية بذلك, وذكر السبب الذي فـيه أُنزلت هذه الآية:
19541ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا ابن عُلَـية, قال: حدثنا أيوب, عن عكرِمة, قال: لـما نزلت وَالّذِينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَناتِ ثُمّ لَـمْ يَأتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فـاجْلِدُوهُمْ ثَمانِـينَ جَلْدَةً قال سعد بن عبـادة: الله إن أنا رأيت لَكَاعِ متفخذَها رجل فقلت بـما رأيت إن فـي ظهري لثمانـين إلـى ما أجمع أربعة؟ قد ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ, ألا تَسْمَعونَ إلـى ما يَقولُ سَيّدُكُمْ؟». قالوا: يا رسول الله لا تَلُـمْه وذكروا من غَيرته فما تزوّج امرأة قطّ إلا بكرا, ولا طلق امرأة قطّ فرجع فـيها أحد منا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإنّ اللّهَ يَأبَى إلاّ ذَاكَ» فقال: لا والله, لا يَجْعَل فـي ظهري ثمانـين أبدا, لقد نظرت حتـى أيقنت, ولقد استسمعت حتـى استشفـيت قال: فأنزل الله القرآن بـاللّعان, فقـيـل له: احلف فحلف, قال: «قِـفُوهُ عِنْدَ الـخَامِسَةِ, فإنّها مُوجِبَةٌ». فقال: لا يُدْخـله الله النار بهذا أبدا, كما درأ عنه جلد ثمانـين, لقد نظرت حتـى أيقنت, ولقد استسمعت حتـى استشفـيت فحلف ثم قـيـل: احلفـي فحلفت ثم قال: «قِفُوهَا عِنْدَ الـخَامِسَةِ, فإنّها مُوجِبَةٌ». فقـيـل لها: إنها مُوجبة, فتلكأت ساعة, ثم قالت: لا أُخْزِي قومي, فحلفت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنْ جاءَتْ بِهِ كَذَا وكَذَا فَهُوَ لِزَوْجِها, وَإنْ جاءَتْ بِهِ كَذَا وكَذَا فَهُوَ للّذِي قِـيـلَ فـيهِ ما قـيـلَ». قال: فجاءت به غلاما كأنه جمل أورق, فكان بعد أميرا بـمصر, لا يُعرف نَسَبُه, أو لا يُدْرَى من أبوه.
19542ـ حدثنا خلاد بن أسلـم, قال: أخبرنا النضر بن شميـل, قال: أخبرنا عبـاد, قال: سمعت عكرِمة, عن ابن عبـاس, قال: لـما نزلت هذه الآية: وَالّذِينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَناتِ ثُمّ لَـمْ يَأتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاء فـاجْلِدُوهُمْ ثَمانِـينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أبَدا وأولَئِكَ هُمُ الفـاسقُونَ قال سعد بن عبـادة: لهكذا أنزلت يا رسول الله؟ لو أتـيت لَكَاعِ قد تفخّذها رجل, لـم يكن لـي أن أهيجه ولا أحرّكه حتـى آتـيَ بأربعة شهداءَ؟ فوالله ما كنت لآتـيَ بأربعة

شهداء حتى يفرغ من حاجته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ, أما تَسْمَعُونَ إلى ما يَقُولُ سَيّدُكُمْ؟» قالوا: لا تلُمه فإنه رجل غَيُور, ما تزوّج فينا قطّ إلاّ عذراء ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوّجها قال سعد: يا رسول الله, بأبي وأمي, والله إني لأعرف أنها من الله وأنها حقّ, ولكن عجبت لو وجدت لَكَاعِ قد تفخذها رجل بم يكن لي أن أهيجه ولا أحرّكه حتى آتيَ بأربعة شهداء والله لا آتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فوالله ما لبثوا إلاّ يسيرا حتى جاء هلالُ بن أمية من حديقة له, فرأى بعينيه, وسمع بأذنيه, فأمسك حتى أصبح. فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهو جالس مع أصحابه, فقال: يا رسول الله إني جئت أهلي عِشاء, فوجدت رجلاً مع أهلي, رأيت بعيني وسمعت بأذني. فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه جدّا, حتى عُرف ذلك في وجهه, فقال هلال: والله يا رسول الله إني لأرى الكراهة في وجهك مما أتيتك به, والله يعلم أني صادق, وما قلت إلاّ حقّا, فإني لأرجو أن يجعل الله فرجا. قال: واجتمعت الأنصار, فقالوا: ابتلينا بما قال سعد, أيُجْلَد هلال بن أميّة وتبطلَ شهادته في المسلمين؟ فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه, فإنه لكذلك يريد أن يأمر بضربه, ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه, إذ نزل عليه الوحي, فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل, حتى فرغ, فأنزل الله: وَالّذِينَ يَرْمُونَ أزْوَاجَهُمْ ولَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إلاّ أنْفُسُهُمْ... إلى: أنّ غَضَبَ اللّهِ عَلَيْها إنْ كانَ مِنَ الصّادِقينَ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبْشِرْ يا هِلالُ, فإنّ اللّهَ قَدْ جَعَلَ فَرَجا» فقال: قد كنت أرجو ذلك من الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرْسِلُوا إلَيْها» فجاءت, فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها, فكذّبت, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ يَعْلَمُ أنّ أحَدَكما كاذِبٌ, فَهَلْ مِنْكُما تائِبٌ؟» فقال هلال: يا رسول الله, بأبي وأمي لقد صَدَقْتُ وما قلتُ إلاّ حقّا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاعِنُوا بَيْنَهُما» قيل لهلال: يا هلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين, فقيل له عند الخامسة: يا هلال اتق الله, فإن عذاب الله أشدّ من عذاب الناس, وإنها الموجبة التي توجب عليك العذاب. فقال هلال: والله لا يعذّبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد الخامسة: أنّ لَعْنَةَ اللّهِ عَلَيْهِ إنْ كانَ مِنَ الكاذِبِينَ ثم قيل لها: اشهدي فشهدت أربعَ شهادات بالله إنه لمن الكاذبين, فقيل لها عند الخامسة: اتقي الله, فإن عذاب الله أشدّ من عذاب الناس, وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب. فتلكّأت ساعة, ثم قالت: والله لا أفضَح قومي, فشهدت الخامسة: أنّ غَضَبَ اللّهِ عَلَيْها إنْ كانَ مِنَ الصّادِقِينَ ففرّق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقضى أن الولد لها, ولا يُدْعَى لأب, ولا يُرْمَى ولدها.

19543ـ حدثني أحمد بن محمد الطّوسي, قال: حدثنا أبو أحمد الحسين بن محمد, قال: حدثنا جرير بن حازم, عن أيوب, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: لمّا قَذف هلال بن أميّة امرأته, قيل له: والله ليجلدنّك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين جلدة قال: الله أعدل من ذلك أن يضربني ضربة وقد علم أني قد رأيت حتى استيقنت وسمعت حتى

استثبتّ, لا والله لا يضربنـي أبدا فنزلت آية الـملاعنة, فدعا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت الآية, فقال: «الله يَعْلَـمُ أنّ أَحَدَكُما كَاذِبٌ, فهَلْ منكما تَائِبٌ؟» فقال هلال: والله إنـي لصادق. فقال له: «احْلفْ بـاللّهِ الّذِي لا إلَهَ إلاّ هُوَ: إنّـي لَصَادِقٌ» يقول ذلك أربع مرّات «فإن كنتُ كاذبـا فعلـيّ لعنةُ الله». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قِـفُوهُ عِنْدَ الـخامِسَةِ, فإنّها مُوجِبَةٌ» فحلف. ثم قالت أربعا: والله الذي لا إله إلاّ هو إنه لـمن الكاذبـين, فإن كان صادقا فعلـيها غضب الله. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قـفُوها عنْدَ الـخامِسَةِ, فإنّها مُوجِبَةٌ» فتردّدت وهمّت بـالاعتراف, ثم قالت لا أفضَح قومي».

19544ـ حدثنا أبو كريب وأبو هشام الرفـاعيّ, قالا: حدثنا عَبْدة, عن الأعمش, عن إبراهيـم, عن علقمة, عن عبد الله, قال: كنا لـيـلة الـجمعة فـي الـمسجد, فدخـل رجل فقال: لو أن رجلاً وجَد مع امرأته رجلاً فقتله قتلتـموه, وإن تكلـم جلدتـموه فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم, فأنزل الله آية اللّعان. ثم جاء الرجل بعد, فقذف امرأته, فلاعَنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بـينهما, فقال: «عَسَى أنْ تَـجيءَ بِهِ أسْوَدَ جَعْدا». فجاءت به أسود جَعْدا.

19545ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير بن عبد الـحميد, عن عبد الـملك بن أبـي سلـيـمان, عن سعيد بن جُبـير قال: سألت ابن عمر, فقلت: يا أبـا عبد الرحمن, أيُفَرّق بـين الـمتلاعنـين؟ فقال: نعم, سبحان الله إن أوّل من سأل عن ذلك فلان, أتـى النبـيّ صلى الله عليه وسلم فسأله, فقال: أرأيت لو أن أحدنا رأى صاحبته علـى فـاحشة, كيف يصنع؟ فلـم يجبه فـي ذلك شيئا. قال: فأتاه بعد ذلك فقال: إن الذي سألتُ عنه قد ابتلـيتُ به. فأنزل الله هذه الآية فـي سورة النور, فدعا الرجلَ فوعظه وذكّره, وأخبره أن عذاب الدنـيا أهون من عذاب الاَخرة قال: والذي بعثك بـالـحقّ, لقد رأيتُ وما كذبت علـيها قال: ودعا الـمرأة فوعظها, وأخبرها أن عذاب الدنـيا أهون من عذاب الاَخرة, فقالت: والذي بعثك بـالـحقّ إنه لكاذب, وما رأى شيئا قال: فبدأ الرجل, فشهد أربع شهادات بـالله: إنه لـمن الصادقـين, والـخامسة: أن لعنة الله علـيه إن كان من الكاذبـين ثم إن الـمرأة شهدت أربع شهادات بـالله إنه لـمن الكاذبـين, والـخامسة أنّ غَضَبَ الله علـيها إن كان من الصادقـين. وفرّق بـينهما.

19546ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا ابن أبـي عديّ, عن داود, عن عامر, قال: لـما أنزل: وَالّذِينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَناتِ ثُمّ لَـمْ يَأْتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فـاجْلِدُوهُمْ ثَمانِـينَ جَلْدَةً قال عاصم بن عديّ: إن أنا رأيت فتكلّـمت جُلدت ثمانـين, وإن أنا سكت سكت علـى الغيظ قال: فكأنّ ذلك شقّ علـى رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: فأنزلت هذه الآية: وَالّذِينَ يَرْمُونَ أزْوَاجَهُمْ ولَـمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إلاّ أنْفُسُهُمْ قال: فما لبثوا إلاّ جمعة, حتـى كان بـين رجل من قومه وبـين امرأته, فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بـينهما.

19547ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَالّذِينَ يَرْمُونَ أزْوَاجَهُمْ ولَـمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إلاّ أنْفُسُهُمْ... الآية, والـخامسة: أن يقال له: إن علـيك لعنة الله إن كنت من الكاذبـين. وإن أقرّت الـمرأة بقوله رُجِمت, وإن أنكرت شهدت أربع

شهادات بـالله: إنه لـمن الكاذبـين, والـخامسة أن يقال لها: غضب الله علـيك إن كان من الصادقـين فُـيْدرأ عنها العذاب, ويُفَرّق بـينهما, فلا يجتـمعان أبدا, ويُـلـحق الولد بأمه.

19548ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عكرِمة, قوله: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ قال: هلال بن أميّة, والذي رُمِيَتْ به شريك بن سحماء, والذي استفتـى عاصم ابن عديّ.

19549ـ قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرنـي الزهريّ عن الـملاعنة والسنة فـيها, عن حديث سهل بن سعد: أن رجلاً من الأنصار جاء إلـى النبـيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: أرأيتَ رجلاً وجد مع امرأته رجلاً, أيقتله فتقتلونه؟ أم كيف يفعل؟ فأنزل الله فـي شأنه ما ذكر من أمر الـمتلاعنـين, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَدْ قَضَى اللّهُ فِـيكَ وَفِـي امْرأتكَ» فتلاعنا وأنا شاهد. ثم فـارقها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم, فكانت السنة بعدها أن يُفَرّق بـين الـمتلاعنـين. وكانت حاملة, فأنكره, فكان ابنها يُدعى إلـى أمه, ثم جرت السنة أن ابنها يَرِثها وترث ما فرض الله لها.

19550ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ... إلـى قوله: إنْ كانَ مِنَ الكاذِبـينَ قال: إذا شهد الرجل خمس شهادات, فقد برىء كل واحد من الآخر, وعِدّتُها إن كانت حاملاً أن تضع حملها, ولا يجْلد واحد منهما وإن لـم تـحلف أقـيـم علـيها الـحدّ والرجْم.

الآية : 8-9

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللّهِ إِنّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنّ غَضَبَ اللّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ الصّادِقِينَ }.

يعنـي جلّ ذكره بقوله: وَيَدْرَأُ عَنْها العَذَابَ: ويدفع عنها الـحدّ.

واختلف أهل العلـم فـي العذاب الذي عناه الله فـي هذا الـموضع أنه يدرؤه عنها شهاداتها الأربع, فقال بعضهم بنـحو الذي قلنا فـي ذلك, من أنّ الـحدّ جَلْدُ مئة إن كانت بكرا أو الرجْم إن كانت ثـيبـا قد أحصنت.

وقال آخرون: بل ذلك الـحبس, وقالوا: الذي يجب علـيها إن هي لـم تشهد الشهادات الأربع بعد شهادات الزوج الأربع والْتِعَانة: الـحبس دون الـحدّ.

وإنـما قلنا: الواجب علـيها إذا هي امتنعت من الالْتعان بعد الْتعان الزوج الـحدّ الذي وصفنا, قـياسا علـى إجماع الـجميع علـى أن الـحدّ إذا زال عن الزوج بـالشهادات الأربع علـى تصديقه فـيـما رماها به, أن الـحدّ علـيها واجب, فجعل الله أيـمانه الأربع والْتعانة فـي الـخامسة مخرجا له من الـحدّ الذي يجب لها برميه إياها, كما جعل الشهداء الأربعة مخرجا له منه فـي ذلك وزائلاً به عنه الـحدّ فكذلك الواجب أن يكون بزوال الـحدّ عنه بذلك واجبـا علـيها حدّها كما كان بزواله عنه بـالشهود واجبـا علـيها, لا فرق بـين ذلك.

وقد استقصينا العلل فـي ذلك فـي بـاب اللعان من كتابنا الـمسمى «لطيف القول فـي شرائع الإسلام», فأغنـي عن إعادته فـي هذا الـموضع.

وقوله: أنْ تشْهَدَ أرْبَعَ شَهادَاتٍ بـاللّهِ يقول: ويدفع عنها العذاب أن تـحلف بـالله أربع أيـمان: أن زوجها الذي رماها بـما رماها به من الفـاحشة, لـمن الكاذبـين فـيـما رماها من الزنا. وقوله: والـخامِسَةُ أنّ غَضَبَ اللّهِ عَلَـيْها...

الآية, يقول: والشهادة الخامسة: أن غضب الله عليها إن كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين. ورفع قوله: والخامِسَةُ في كلتا الآيتين, ب«أنّ» التي تليها.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنّ اللّهَ تَوّابٌ حَكِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم, وأنه عَوّاد على خلقه بلطفه وطَوْله, حكيم في تدبيره إياهم وسياسته لهم لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم وفضَح أهل الذنوب منكم بذنوبهم, ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلاً, رحمة منه بكم وتفضلاً عليكم, فاشكروا نعمه وانتهوا عن التقدّم عما عنه نهاكم من معاصيه. وترك الجواب في ذلك, اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ جَآءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مّنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لّكُمْ لِكُلّ امْرِىءٍ مّنْهُمْ مّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالّذِي تَوَلّىَ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين جاءوا بالكذب والبُهتان عُصْبَةٌ مِنْكُمْ يقول: جماعة منكم أيها الناس. لا تَحْسَبُوهُ شَرّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ يقول: لا تظنوا ما جاءوا به من الإفك شرّا لكم عند الله وعند الناس, بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين وذلك أن الله يجعل ذلك كَفّارة للمرميّ به, ويُظهر براءته مما رُمي به, ويجعل له منه مخرجا. وقيل: إن الذي عَنَى الله بقوله: إنّ الّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ: جماعة, منهم حسان بن ثابت, ومِسْطَح بن أثاثة, وحَمْنه بنت جحش. كما:

19551ـ حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا أبان العطار, قال: حدثنا هشام بن عروة, عن عروة: أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: كتبت إليّ تسألني في الذين جاءوا بالإفك, وهم كما قال الله: إنّ الّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ, وأنه لم يُسَمّ منهم أحد إلا حسان بن ثابت, ومِسْطَح بن أثاثة, وحَمْنة بنت جَحْش, وهو يقال في آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله.

19552ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ هم أصحاب عائشة.

قال ابن جُرَيج: قال ابن عباس: قوله: جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ... الآية, الذين افْتَروا على عائشة: عبد الله بن أُبَيّ, وهو الذي تولى كِبْره, وحسان بن ثابت, ومِسْطَح, وحَمْنة بنت جحش.

19553ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: الّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ الذين قالوا لعائشة الإفك والبهتان.

19554ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّ الّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّا لَكُمْ, بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ قال: الشرّ لكم بالإفك الذي قالوا, الذي تكلّموا به, كان شرّا لهم, وكان فيهم من لم يقله إنما سمعه, فعاتبهم الله, فقال أوّلَ شيء: إنّ

الّذِينَ جاءُوا بـالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَـحْسَبُوهُ شَرّا لَكُمْ, بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ثم قال: والّذِي تَوَلّـى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيـمٌ.
وقوله: لِكُلّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ ما اكْتَسَبَ مِنَ الإثْمِ يقول: لكلّ امرىء من الذين جاءوا بـالإفك جزاء ما اجترم من الإثم, بـمـجيئه بـما جاء به, من الأولـى عبد الله. وقوله: وَالّذِي تَوَلّـى كِبْرَهُ مِنْهُمْ يقول: والذي تـحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم هو الذي بدأ بـالـخوض فـيه. كما:
19555ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: وَالّذِي تَوَلّـى كِبْرَهُ مِنْهُمْ يقول: الذي بدأ بذلك.
19556ـ حدثنا مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: عُصْبَةٌ مِنْكُمْ قال: أصحاب عائشة عبد الله بن أبـيّ ابن سَلُول, ومِسْطَح, وحَسّان.
قال أبو جعفر: له من الله عذاب عظيـم يوم القـيامة.
وقد اختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: كِبْرَهُ فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار: كِبْرَهُ بكسر الكاف, سوى حميد الأعرج فإنه كان يقرؤه: «كُبْرَهُ» بـمعنى: والذي تـحمل أكبره.
وأولـى القراءتـين فـي ذلك بـالصواب: القراءة التـي علـيها عوامّ القرّاء, وهي كسر الكاف, لإجماع الـحجة من القرّاء علـيها, وأن الكِبْر بـالكسر: مصدر الكبـير من الأمور, وأن الكُبْر بضم الكاف: إنـما هو من الولاء والنسب, من قولهم: هو كُبْر قومه والكِبْر فـي هذا الـموضع: هو ما وصفناه من معظم الإثم والإفك. فإذا كان ذلك كذلك, فـالكسر فـي كافة هو الكلام الفصيح دون ضمها, وإن كان لضمها وجه مفهوم.
وقد اختلف أهل التأويـل فـي الـمعنىّ بقوله: وَالّذِي تَوَلّـى كِبْرَهُ مِنْهُمْ... الآية, فقال بعضهم: هو حسان بن ثابت. ذكر من قال ذلك:
19557ـ حدثنا الـحسن بن قزعة, قال: حدثنا مسلـمة بن علقمة, قال: حدثنا داود, عن عامر, أن عائشة قالت: ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان, وما تـمثلت به إلا رجوت له الـجنة, قوله لأبـي سفـيان:
هَجَوْتَ مُـحَمّدًا فَأجَبْتُ عَنْهُوَعِنْدَ اللّهِ فِـي ذَاكَ الـجَزاءُ
فإنّ أبـي وَوَالِدهُ وَعِرْضِيلِعِرْضِ مُـحَمّدٌ مِنْكُمْ وِقاءُ
أتَشْتُـمُهُ وَلَسْتَ لَهُ بكُفْءٍفَشَرّكُما لـخَيْرِكُما الفِداءُ
لِسانِـي صَارِمٌ لا عَيْبَ فِـيهِوبَحْرِي لا تُكَدّرهُ الدّلاءُ
فقـيـل: يا أمّ الـمؤمنـين, أليس هذا لغوا؟ قالت لا, إنـما اللّغو ما قـيـل عند النساء. قـيـل: أليس الله يقول: وَالّذِي تَوَلّـى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيـمٌ قالت: أليس قد أصابه عذاب عظيـم؟ أليس قد ذهب بصره وكُنّع بـالسيف؟.
19558ـ قال: حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفـيان, عن الأعمش, عن أبـي الضحى, عن مسروق قال: كنت عند عائشة, فدخـل حسان بن ثابت, فأمرت, فألقـي له وسادة فلـما خرج قلت لعائشة: ما تصنعين بهذا وقد قال الله ما قال؟ فقالت: قال الله: وَالّذِي تَوَلّـى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيـمٌ وقد ذهب بصره, ولعلّ الله يجعل ذلك العذاب العظيـم ذهاب بصره.

19559ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن أبـي عديّ, عن شعبة, عن سلـيـمان, عن أبـي الضحى, عن مسروق, قال: دخـل حسان بن ثابت علـى عائشة, فشبّب بأبـيات له, فقال:
وَتُصْبِح غَرْثَى مِنْ لُـحُومِ الغَوَافِلِ فقالت عائشة: أما إنك لست كذلك فقلت: تدعين هذا الرجل يدخـل علـيك وقد أنزل الله فـيه: وَالّذِي تَوَلّـى كِبْرَهُ... الآية؟ فقالت: وأيّ عذاب أشدّ من العمى وقالت: إنه كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
19560ـ حدثنـي مـحمد بن عثمان الواسطي, قال: حدثنا جعفر بن عون, عن الـمُعَلّـى بن عرفـان, عن مـحمد بن عبد الله بن جحش, قال: تفـاخرت عائشة وزينب, قال: فقالت زينب: أنا التـي نزل تزويجِي من السماء. قال: وقالت عائشة: أنا التـي نزل عذري فـي كتابه حين حملنـي ابن الـمعَطّل علـى الراحلة. فقالت لها زينب: يا عائشة, ما قلت حين ركبتـيها؟ قالت: قلت: حسبـي الله ونعم الوكيـل قالت قلتِ كلـمةَ الـمؤمنـين.
وقال آخرون: هو عبد الله بن أُبـيّ ابن سَلُول. ذكر من قال ذلك:
19561ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن هشام بن عروة, عن أبـيه, عن عائشة, قالت: كان الذين تكلـموا فـيه: الـمنافق عبد الله بن أُبـيّ ابن سَلول, وكان يستوشيه ويجمعه, وهو الذي تولـى كِبْره, ومِسْطَحا, وحسان بن ثابت.
19562ـ حدثنا سفـيان, قال: حدثنا مـحمد بن بشر, قال: حدثنا مـحمدبن عمرو, قال: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب, عن علقمة بن وقّاص وغيره أيضا, قالوا: قالت عائشة: كان الذي تولـى كبره الذي يجمعهم فـي بـيته, عبد الله بن أُبـيّ ابن سَلُول.
حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن ابن شهاب, قال: ثنـي عروة بن الزبـير, وسعيد بن الـمسيب, وعلقمة بن وقاص, وعبـيد الله بن عتبة, عن عائشة, قالت: كان الذي تولـى كبره: عبد الله بن أُبـيّ.
19563ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس: إنّ الّذِينَ جاءُوا... الآية,, الذين افْتَرَوا علـى عائشة: عبد الله بن أُبـيّ, وهو الذي تولـى كِبْره, وحسان, ومِسْطَح, وحَمْنه بنت جحش.
19564ـ حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد, قال: حدثنا أبـي, قال: حدثنا أبـان العطار, قال: حدثنا هشام بن عروة فـي الذين جاءوا بـالإفك: يزعمون أنه كان كِبْرُ ذلك عبدَ الله بن أبـيّ ابن سلول, أحد بنـي عوف بن الـخرزج وأخبرت أنه كان يحدّث به عنهم فـيقرّه ويسمعه ويستوشيه.
19565ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: أما الذي تولـى كبره منهم, فعبد الله بن أبـيّ ابن سلول الـخبـيث, هو الذي ابتدأ هذا الكلام, وقال: امرأة نبـيكم بـاتت مع رجل حتـى أصبحت, ثم جاء يقود بها.
19566ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: والذي تولـى كِبْره هو عبد الله بن أُبـيّ ابن سلول, وهو بدأه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: الذي تولى كِبْره من عصبة الإفك, كان عبد الله بن أبيّ, وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير, أن الذي بدأ بذكر الإفك, وكان يجمع أهله ويحدثهم, عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلُول, وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كِبْر ذلك الأمر. وكان سبب مجيء أهل الإفك, ما:

19567ـ حدّثنا به ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب, ثني عروة بن الزبير, وسعيد بن المسيب, وعلقمة بن وقّاص, وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود, عن حديث عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم, حين قال لها أهل الإفك ما قالوا, فبرأها الله, وكلهم حدثني طائفة من حديثها, وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض, وأثبت اقتصاصا, وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة, وبعض حديثهم يصدق بعضا:

زعموا أن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه, فأيتهنّ خرج سهمها خرج بها. قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزاة غزاها, فخرج سهمي, فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, وذلك بعد ما أُنْزِل الحجاب, وأنا أُحْمَل في هودجي وأنزل فيه. فسرنا, حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل إلى المدينة, آذن ليلة بالرحيل, فقمت حين آذنوا بالرحيل, فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني, أقبلت إلى الرحل, فلمست صدري, فإذا عِقْدٌ لي من جَزْع ظَفَارِ قد انقطع, فرجعت فالتمست عقدي, فحبسني ابتغاؤه. وأقبل الرهط الذين كانوا يرْحَلون لي, فاحتملوا هو دجي, فَرَحلوه على بعيري الذي كنت أركب, وهم يحسبون أني فيه. قالت: وكانت النساء إذ ذاك خِفافا لم يُهَبّلْهُن ولم يَغْشَهن اللحم, إنما يأكلن العُلْقة من الطعام. فلم يستنكر القوم ثقلَ الهودج حين رَحَلُوه ورفعوه, وكنت جارية حديثة السنّ, فبعثوا الجمل وساروا, فوجدت عَقْدي بعد ما استمرّ الجيش, فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب. فتيممت منزلي الذي كنت فيه, وظننت أن القوم سيفقدوني ويرجعون إليّ. فبينا أنا جالسة في منزلي, غلبتني عيني, فنمت حتى أصبحت. وكان صفوان بن المعطّل السّلميّ ثم الذّكْوانيّ, قد عَرّس من وراء الجيش, فادّلَج فأصبح عند منزلي, فرأى سواد إنسان نائم, فأتاني, فعرفني حين رآني, وكان يراني قبل أن يُضرب الحجاب عَلَيّ, فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني, فخَمّرت وجهي بجلبابي, والله ما تكلمت بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته, فوطِىء على يديها فركبتها, فانطلق يقود بي الراحلة, حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا مُوغِرِينَ في نحر الظهيرة. فهلك من هلك في شأني, وكان الذي تولى كِبْره عبد الله بن أبيّ ابن سلول.

فقدمنا المدينة, فاشتكيت شهرا, والناس يُفِيضُون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك, وهو يَرِيبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله اللّطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي, إنما يدخل فيسلم ثم يقول: «كيف تيكم؟» فذلك يريبني, ولا أشعر بالشرّ. حتى خرجت بعد ما نَقَهت, فخرجت مع أمّ مِسْطَح قبَلَ المَنَاصع, وهو مُتَبرّزنا, ولا نخرج إلا ليلاً إلى

ليـل, وذلك قَبل أن نتـخذ الكُنُف قريبـا من بـيوتنا, وأَمْرُنا أمر العرب الأُوَل فـي التنزّه, وكنا نتأذّى بـالكُنُف أن نتـخذها عند بـيوتنا. فـانطلقت أنا وأمّ مسطح, وهي ابنة أبـي رُهْم بن عبد الـمطلب بن عبد منافٍ, وأمها ابنة صخر بن عامر, خالة أبـي بكر الصدّيق, وابنها مِسْطَحْ بن أُثاثة بن عبـاد بن الـمطّلب. فأقبلت أنا وابنة أبـي رُهْم قبل بـيتـي حين فرغنا من شأننا, فعثرت أمّ مِسْطَح فـي مِرْطِها, أوَ لـم تسمعي ماقال؟ وما قال؟ فأخبرتنـي بقول أهل الإفك, فـازددت مَرَضا علـى مرضي. فلـما رجعت إلـى منزلـي, ودخـل علـيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم قال: «كَيْفَ تِـيكُمْ؟» فقلت: أتأذن لـي أن آتـيَ أبويّ؟ قال: «نعم». قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أستثبت الـخبر من قِبَلهما. فأذِن لـي رسول الله صلى الله عليه وسلم, فجئت أبويّ, فقلت لأمي: أي أمتاه, ماذا يتـحدّث الناس؟ فقالت: أي بُنـية, هوّنـي علـيك فوالله لقلـما كانت امرأة قطّ وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر, إلا أكثرن علـيها. قالت: قلت: سبحان الله, أوَ قد تـحدّث الناس بهذا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: نعم, فبكيت تلك الليـلة حتـى أصبحت لا يرقأ لـي دمع ولا أكتـحل بنوم, ثم أصبحت, فدخـل علـيّ أبو بكر وأنا أبكي, فقال لأمي: مايبكيها؟ قالت: لـم تكن علـمت ما قـيـل لها. فأكبّ يَبْكي, فبكى ساعة, ثم قال: اسكتـي يا بنـية فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لـي دمع ولا أكتـحل بنوم, ثم بكيت لـيـلـى الـمقبل لا يرقأ لـي دمع ولا أكتـحل بنوم, ثم بكيت لـيـلتـي الـمقبلة لا يرقأ لـي دمع ولا أكتـحل بنوم, حتـى ظنّ أبواي أن البكاء سيفلق كبدي.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علـيّ بن أبـي طالب وأُسامة بن زيد, حين اسْتَلبث الوحي, يستشيرهما فـي فراق أهله قالت: فأما أُسامة, فأشار علـى رسول الله صلى الله عليه وسلم بـالذي يعلـم من براءة أهله وبـالذي فـي نفسه من الودّ, فقال: يا رسول الله, هم أهلك, ولا نعلـم إلا خيرا. وأما علـيّ فقال: لـم يضيق الله علـيك, والنساء سواها كثـير, وإن تسأل الـجارية تَصْدُقك, يعنـي بَرِيرة. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَرِيرة, فقال: «هَلْ رأيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عائِشَةَ؟» قالت له بَرِيرة: والذي بعثك بـالـحقّ, ما رأيت علـيها أمرا قطّ أَغْمِصْه علـيها, أكثرَ من أنها حديثة السنّ تنام عن عجين أهلها فتأتـى الداجن فتأكله فقام النبـيّ صلى الله عليه وسلم خطيبـا, فحمد الله وأثنى علـيه بـما هو أهله, ثم قال: «مَنْ يَعْذِرُنِـي مِـمنْ قَدْ بَلَغْنِـي أذَاهُ فِـي أهْلِـي؟» يعنـي عبدَ الله بن أُبـي ابن سَلُول. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو علـى الـمنبر أيضا: «يا مَعْشَرَ الـمُسْلَـمِينَ, مَنْ يَعْذِرُنِـي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنـي أذَاهُ فِـي أهْلـي؟ فَوَاللّهِ ما عَلـمْتُ عَلـى أهْلـي إلاّ خَيْرا, وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً ما عَلـمْتُ عَلَـيْهِ إلاّ خَيْرا, وَما كانَ يَدْخُـلُ عَلـى أهْلـي إلاّ مَعي» فقام سعد بن مُعاذ الأنصاريّ, فقال: أنا أعذِرك منه يا رسول الله, إن كان من الأوس ضربنا عُنُقه, وإن كان من إخواننا الـخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. فقام سعد بن عُبـادة, فقال, وهو سيد الـخزرج, وكان رجلاً صالـحا, ولكن احتـملَتْه الـحَمِيّة, فقال: أيْ سعدَ بن معاذ, فقال لسعد بن عُبـادة: كذبت, لعمر الله لنقتلّنه, فإنك منافق تـجادل عن الـمنافقـين فثار الـحيان: الأوس والـخزرج, حتـى هموا أن يقتتلوا, ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم علـى الـمنبر, فلـم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخَفّضُهم حتـى سكتوا. ثم أتانـي رسول

الله صلى الله عليه وسلم وأنا في بيت أبويّ, فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي, استأذنتْ عليّ امرأة من الأنصار, فأذنت لها, فجلست تبكي معي قالت: فبينا نحن على ذلك, دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم جلس عندي, ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل, وقد لبث شهرا لا يوحَى إليه في شأني بشيء قالت: فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس, ثم قال: «أمّا بَعْدُ يا عائشَةُ فإنّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وكَذا, فإنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرّئُكِ اللّهُ, وَإنْ كُنْتِ ألـمَـمْتِ بِذَنْبٍ, فـاسْتَغْفِرِي اللّهَ, وَتُوبِي إلَـيْهِ, فإنّ العَبْدَ إذَا اعْتَرَف بَذَنْبِهِ ثُمّ تابَ تابَ اللّه عَلَـيْهِ». فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته, قَلَص دمعي, حتى ما أحسّ منه دمعة قلت لأبي: أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السنّ لا أقرأ كثيرا من القرآن: إني والله لقد عرفت أنْ قد سمعتم بهذا, حتى استقرّ في أنفسكم, حتى كِدْتم أن تصدّقوا به, فإن قلت لكم: إني بريئة والله يعلم أني برئة, لا تصدّقوني بذلك, ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة, لتصدّقُنّي, وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: وَاللّهُ الـمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ.

ثم تولّيت واضطجعت على فراشي, وأنا والله أعلم أني بريئة وأن الله سيبرّئني ببراءتي, ولكني والله ما كنت أظنّ أن ينزل في شأني وحْي يُتلى, ولَشأني كان أحقَر في نفسي من أن يتكلّم الله فيّ بأمر يُتلى, ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام رؤيا يبرّئني الله بها. قالت: والله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه, فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء عند الوحي, حتى إنه ليتحدّر منه مثلُ الجُمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أُنزل عليه. قالت: فلما سُرّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك, كان أوّل كلمة تكلم بها أن قال: «أبْشِرِي يا عائِشةُ, إنّ اللّهَ قَدْ بَرّأكِ» فقالت لي أمي, قومي إليه فقلت: والله لا أقوم إليه, ولا أحمد إلا الله, هو الذي أنزل براءتي. فأنزل الله: إنّ الّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ عشر آيات, فأنزل هذه الآيات براءة لي. قالت: فقال أبو بكر, وكان ينفق على مِسْطَح لقرابته وفقره: والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة قالت: فأنزل الله: وَلا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ والسّعَةِ حتى بلغ: غَفُورٌ رَحِيمٌ فقال أبو بكر: إني لأحبّ أن يغفر الله لي. فرجع إلى مِسْطَح النفقةَ التي كان يُنفق عليه, وقال: لا أنزعها منه أبدا.

قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمري وما رأت وما سمعت, فقالت: يا رسول الله, أحمي سمعي وبصري, والله ما رأيت إلا خيرا. قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني, فعصمها الله بالوَرَع, وطفقت أختها حَمْنة تحارب فهلكت فيمن هلك.

قال الزهريّ بن شهاب: هذا الذي انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عن الزهريّ, وعن علقمة بن وقّاص اللـيثـيّ, عن سعيد بن الـمسيب, وعن عروة بن الزبـير, وعن عبـيد الله بن عتبة بن مسعود. قال الزهريّ: كلّ قد حدثنـي بعض هذا الـحديث, وبعض القوم كان له أوعى من بعض. قال: وقد جمعت لك كل الذي قد حدثنـي. وحدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة قال: وثنـي مـحمد بن إسحاق, قال: حدثنا يحيى بن عبـاد بن عبد الله بن الزبـير, عن أبـيه, عن عائشة. قال: ثنـي عبد الله بن بكر بن مـحمد بن عمرو بن حزم الأنصاريّ, عن عَمْرة بنت عبد الرحمن, عن عائشة قالت وكل قد اجتـمع فـي حديثه قصة خبر عائشة عن نفسها, حين قال أهل الإفك فـيها ما قالوا, وكله قد دخـل فـي حديثها عن هؤلاء جميعا, ويحدث بعضهم ما لـم يحدث بعض, وكلّ كان عنها ثقة, وكلّ قد حدث عنها ما سمع.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بـين نسائه, فأيتهُنّ خرج سهمها خرج بها معه. فلـما كانت غزاة بنـي الـمصطَلِق, أقرع بـين نسائه كما كان يصنع, فخرج سهمي علـيهنّ, فخرج بـي رسول الله صلى الله عليه وسلم معه. قالت: وكان النساء إذ ذاك إنـما يأكلن العُلَق لـم يهيّجْهُنّ اللـحم فـيثقلن. قالت: وكنت إذا رحل بعيري جلست فـي هَوْدَجي, ثم يأتـي القوم الذين يرحلون بـي بعيري ويحملونـي, فـيأخذون بأسفل الهودج يرفعونه فـيضعونه علـى ظهر البعير, فـينطلقون به. قالت: فلـما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجّه قافلاً, حتـى إذا كان قريبـا من الـمدينة, نزل منزلاً فبـات بعض اللـيـل, ثم أذّن فـي الناس بـالرحيـل. فلـما ارتـحل الناس, خرجت لبعض حاجتـي وفـي عنقـي عقد لـي من جَزْعَ ظَفـار, فلـما فرغت انسلّ من عنقـي وما أدري فلـما رجعت إلـى الرحْل ذهبت ألتـمسه فـي عنقـي فلـم أجده, وقد أخذ الناس فـي الرحيـل. قالت: فرجعت عَوْدِي إلـى بَدْئِي, إلـى الـمكان الذي ذهبت إلـيه, فـالتـمسته حتـى وجدته وجاء القوم خلافـي الذين كانوا يرحلون بـي البعير.

ثم ذكر نـحو حديث ابن عبد الأعلـى, عن ابن ثور.

19568ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن هشام بن عروة, عن أبـيه, عن عائشة رضي الله عنها, قالت: لـما ذكر من شأنـي الذي ذكر وما علـمت به, قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبـا وما علـمت, فتشهد, فحمد الله وأثنى علـيه بـما هو أهله, ثم قال: «أمّا بَعْدُ أشِيرُوا عَلـيّ فِـي أُناسٍ أبَنُوا أهْلِـي وَاللّهِ ما عَلِـمْتُ عَلـى أهْلِـي سُوءًا قَطّ, وأبَنُوهُمْ بِـمَنْ وَاللّهِ ما عَلِـمْتُ عَلَـيْهِ سُوءا قَطّ, وَلا دَخَـلَ بَـيْتِـي قَطّ إلاّ وأنا حاضِرٌ, وَلا أغِيبُ فِـي سَفَرٍ إلاّ غابَ مَعِي» فقام سعد بن مُعاذ فقال: يا رسول الله, نرى أن نضرب أعناقهم فقام رجل من الـخزرج, وكانت أمّ حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل, فقال كذبتَ, أما والله لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم حتـى كاد أن يكون بـين الأوس والـخزرج فـي الـمسجد شرّ وما علـمتُ به. فلـما كان مساء ذلك الـيوم, خرجت لبعض حاجتـي ومعى أمّ مِسْطح, فعثرت, فقالت: تَعَس مِسْطح فقلت علام تسبـين ابنك؟ فسكتت, ثم عثرت الثانـية, فقالت: تَعَس مسطح قلت: علام تسبـين ابنك؟ فسكتت الثانـية. ثم عثرت الثالثة, فقالت: تَعَس مسطح فـانتهرتها, فقلت: وقد كان هذا؟ قالت: نعم والله. قالت: فرجعت إلـى بـيتـي فكأن الذي

خرجت له لم أخرج له, ولا أجد منه قليلاً ولا كثيرا. ووُعِكْت, فقلت: يا رسول الله, أرسلني إلى بيت أبي فأرسل معي الغلام, فدخلت الدار فإذا أنا بأمي أمّ رومان, قالت: ما جاء بك يا بُنية؟ فأخبرتها, فقالت: خَفّضي عليك الشأن, فإنه والله ما كانت امرأة جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا حسدنها وقلن فيها. قلت: وقد علم بها أبي؟ قالت: نعم. قلت: ورسول الله؟ قالت: نعم. فاستعبرت وبكيت, فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ, فنزل فقال لأمي: ما شأنها؟ قالت: بلغها الذي ذُكر من أمرها. ففاضت عيناه, فقال: أقسمت عليك إلاّ رَجَعْت إلى بيتك فرجعت.

فأصبح أبواي عندي, فلم يزالا عندي حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بعد العصر, وقد اكتنفني أبواي, عن يميني وعن شمالي, فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم, فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله, ثم قال: «أمّا بَعْدُ يا عائِشَةُ, إنْ كُنْتِ قارَفْتِ سُوءا أوْ ألَمَمْتِ فَتُوبِي إلى اللّهِ, فإنّ اللّهَ يَقْبَلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ». وقد جاءت امرأة من الأنصار وهي جالسة, فقلت: ألا تستحي من هذه المرأة أن تقول شيئا؟ فقلت لأبي: أجبه فقال: أقول ماذا؟ قلت لأمي: أجيبيه فقالت: أقول ماذا؟ فلما لم يجيباه تشّهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله, ثم قلت: أما بعد, فوالله لئن قلت لكم إني لم أفعل, والله يعلم إني لصادقة ما ذا بنافعي عندكم, لقد تُكُلّم به وأُشْرِبته قلوبكم وإن قلت إني قد فعلت والله يعلم أني لم أفعل لَتقولُنّ قد باءَت به على نفسها, وأيمُ الله مَا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف وما أحفظ اسمه: فَصَبْرٌ جَميلٌ وَاللّهُ الـمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ. وأنزل الله على رسوله ساعتئذٍ, فُرفع عنه, وإني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه يقول: «أبْشِرِي يا عائِشَةُ, فَقَدْ أنْزَلَ اللّهُ بَرَاءَتَكِ» فكنت أشدّ ما كنت غضبا, فقال لي أبواي: قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: والله لا أقوم إليه, ولا أحمده ولا أحمدكما, لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه, ولكني أحمد الله الذي أنزل براءتي. ولقد جاء رسول الله بيتي, فسأل الجارية عني, فقالت: والله ما أعلم عليها عيبا إلا أنها كانت تنام حتى كانت تدخل الشاة فتأكل حصيرها أو عجينها, فانتهرها بعض أصحابه, وقال لها: اصْدُقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عروة: فعَتب على من قاله, فقال: لا, والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر. وبلغ ذلك الرجل الذي قيل له, فقال: سبحان الله ما كشفت كَنَف أنثى قطّ. فقتل شهيدا في سبيل الله. قالت عائشة: فأما زينب بنت جحش, فعصمها الله بدينها, فلم تقل إلا خيرا وأما حَمْنةِ أختها, فهلكت فيمن هلك. وكان الذين تكلموا فيه: المنافقَ عبد الله بن أبيّ ابن سلول, وكان يستوشيه ويجمعه, وهو الذي تولى كِبْره, ومِسْطحا, وحسانَ بن ثابت, فحلف أبو بكر أن لا ينفع مِسْطَحا بنافعة, فأنزل الله: وَلا يَأتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ والسّعَةِ يعني أبا بكر, أنْ يُؤْتُوا أُولِي القُرْبَى وَالمَساكِينَ يعني مِسْطحا, ألا تَحِبّونَ أنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ وَاللّهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ قال أبو بكر: بلى والله, إنا لنحبّ أن يغفر الله لنا وعاد أبو بكر لِمِسْطَح بما كان يصنع به.

19569ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بشر, قال: حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب, عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا, قال: خرجت عائشة تريد المَذْهب, ومعها أمّ مسطح.

وكان مِسطح بن أثاثة مـمن قال ما قال. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل ذلك, فقال: «كَيْفَ تَرَوْنَ فِـيـمَنْ يُؤْذِينِـي فِـي أَهْلِـي وَيجْمَعُ فِـي بَـيْتِهِ مَنْ يُؤْذِينِـي؟» فقال سعد بن مُعاذ: أي رسول الله, إن كان منا معشرَ الأوس جلدنا رأسه, وإن كان من إخواننا من الـخزرج, أمرتنا فأطعناك. فقال سعد بن عبـادة: يا ابن معاذ, والله ما بك نُصْرة رسول الله, ولكنها قد كانت ضغائن فـي الـجاهلـية وإحن لـم تـحلل لنا من صدوركم بعد فقال ابن معاذ: الله أعلـم ما أردت. فقام أسَيد بن حُضَير, فقال: يا ابن عبـادة, إن سعدا لـيس شديدا, ولكنك تـجادل عن الـمنافقـين وتدفع عنهم. وكثر اللّغَط فـي الـحيـين فـي الـمسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس علـى الـمنبر, فما زال النبـيّ صلى الله عليه وسلم يومىء بـيده إلـى الناس ههنا وههنا, حتـى هدأ الصوت.

وقالت عائشة: كان الذي تولـى كِبْره, والذي يجمعهم فـي بـيته, عبد الله بن أُبّـي ابن سلول. قالت: فخرجت إلـى الـمَذْهَب ومعي أمّ مسطح, فعثرتْ, فقالتْ: تَعَس مِسْطح فقلت: غفر الله لك, أتقولـين هذا لابنك ولصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت ذلك مرّتـين, وما شعرت بـالذي كان. فحُدثت, فذهب عنى الذي خرجت له, حتـى ما أجد منه شيئا. ورجعت علـى أبويّ أبـي بكر وأمّ رُومان, فقلت: أما اتقـيتـما الله فـيّ وما وصلتـما رحمي؟ قال النبـيّ صلى الله عليه وسلم الذي قال, وتـحدّث الناس بـالذي تـحدثوا به ولـم تُعْلِـمانـي فأُخْبِر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: أي بنـية, والله لقلـما أحبّ رجل قطّ امرأته إلا قالوا لها نـحو الذي قالوا لك أي بنـية ارجعي إلـى بـيتك حتـى نأتَـيك فـيه فرجعت وارتكبنـي صالِبٌ من حُمّى, فجاء أبواي فدخلا, وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتـى جلس علـى سريري وُجاهي, فقالا: أي بـينة, إن كنت صنعت ما قال الناس فـاستغفري الله, وإن لـم تكونـي صنعتـيه فأخبرنـي رسول الله بعذرك قلت: ما أجد لـي ولكم إلا كأبـي يوسف فَصَبْرٌ جَمِيـلٌ وَاللّهُ الـمُسْتَعانُ عَلـى ما تَصِفُونَ. قالت: فـالتـمست اسم يعقوب, فما قدرت, أو فلـم أقدر علـيه. فشخص بصر رسول الله إلـى السقـف, وكان إذا نَزَل علـيه وَجَد, قال الله: إنّا سَنُلْقـي عَلَـيْكَ قَوْلاً ثَقِـيلاً فوالذي هو أكرمه وأنزل علـيه الكتاب, ما زال يضحك حتـى إنـي لأنظر إلـى نواجذه سرورا, ثم مسح عن وجهه, فقال: «يا عائِشَةُ أبْشِرِي, قَدْ أنْزَلَ اللّهُ عُذْرَكِ» قلت: بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد أصحابك. قال الله: إنّ الّذِينَ جاءُوا بـالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ... حتـى بلغ: وَلا يَأتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسّعَةِ. وكان أبو بكر حلف أن لا ينفع مِسطحا بنافعة, وكان بـينهما رَحم, فلـما أنزلت: وَلا يَأتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ... حتـى بلغ: وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيـمٌ قال أبو بكر: بلـى, أي ربّ فعاد إلـى الذي كان لـمسطح إن الّذِينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَناتِ... حتـى بلغ: أُولَئِكَ مُبَرّءُونَ مِـمّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيـم. قالت عائشة: والله ما كنت أرجو أن ينزل فـيّ كتاب ولا أطمع به, ولكن أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا تُذْهب ما فـي نفسه. قالت: وسأل الـجارية الـحَبَشية, فقالت: والله لعائشة أطيب من طيب الذهب, وما بها عيب إلا أنها ترقد حتـى تدخـل الشاة فتأكل عجينها, ولئن كانت صنعت ما قال الناس لـيخبرنّك الله قال: فعجب الناس من فقهها.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {لّوْلآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُواْ هَـَذَآ إِفْكٌ مّبِينٌ }.

وهذا عتاب من الله تعالى ذِكْره أهلَ الإيمان به فيما وقع في أنفسهم من إرجافٍ من أرْجَفَ في أمر عائشة بما أرجف به. يقول لهم تعالى ذكره: هلا أيها الناس إذ سمعتم ما قال أهل الإفك في عائشة ظنّ المؤمنون منكم والمؤمنات بأنفسهم خيرا يقول: ظننتم بمن قُرِف بذلك منكم خيرا, ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة. وقال «بأنفسهم» لأن أهل الإسلام كلهم بمنزلة نفس واحدة, لأنهم أهل ملة واحدة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19570ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن أبيه, عن بعض رجال بني النجار, أن أبا أيوب خالد بن زيد, قالت له امرأته أمّ أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى, وذلك الكذب, أكنت فاعلة ذلك يا أمّ أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك. قال: فلما نزل القرآن, ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك: إنّ الّذِينَ جاءُوا بالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا, ثم قال: لَوْلا إذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنّ المُؤْمِنُونَ... الآية: أي كما قال أبو أيوب وصاحبته.

19571ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَوْلا إذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِناتُ بأنْفُسِهِمْ خَيْرا ما هذا الخير؟ ظنَّ المؤمن أن المؤمن لم يكن ليفجر بأمه, وأن الأم لم تكن لتفجر بابنها, إن أراد أن يفجر فجر بغير أمه. يقول: إنما كانت عائشة أمّا, والمؤمنون بنون لها, محرّما عليها, وقرأ: لَوْلا جاءُوا عَلَيْهِ بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... الآية.

19572ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: ظَنّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِناتُ بأنْفُسِهِمْ خَيْرا قال لهم خيرا, ألا ترى أنه يقول: لا تَقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ يقول: بعضكم بعضا, وسلموا على أنفسكم, قال: يسلم بعضكم على بعض.

19573ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هَوْذة, قال: حدثنا عوف عن الحسن, في قوله: لَوْلا إذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِناتُ بأنْفُسِهِمْ خَيْرا يعني بذلك المؤمنين والمؤمنات.

وقوله: وَقالُوا هَذَا إفْكٌ مُبِينٌ يقول: وقال المؤمنون والمؤمنات: هذا الذي سمعناه من القول الذي رُمِيَ به عائشة من الفاحشة: كذب وإثم, يبين لمن عقل وفكر فيه أنه كذب وإثم وبهتان. كما:

19574ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوذة, قال: أخبرنا عوف عن الحسن: وَقالُوا هَذَا إفْكٌ مُبِينٌ قالوا: إن هذا لا ينبغي أن يتكلم به إلا من أقام عليه أربعة من الشهود وأقيم عليه حدّ الزنا.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {لّوْلاَ جَآءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِالشّهَدَآءِ فَأُوْلَـَئِكَ عِندَ اللّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاءوا بالإفك, ورمَوا عائشة بالبهتان, بأربعة شهداء يشهدون على مقالتهم فيها وما رَمَوها به فإذا لم يأتوا بالشهداء الأربعة على حقيقة ما رمَوْها به فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللّهِ

هُمُ الكاذِبُونَ يقول: فـالعُصْبة الذين رَمَوها بذلك عند الله هم الكاذبون فـيـما جاءوا به من الإفك.

الآية : 14

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدّنْيَا وَالاَخِرَةِ لَمَسّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره: وَلَوْلا فَضْلُ اللّهَ عَلَـيْكُمْ أيها الـخائضون فـي أمر عائشة, الـمُشِيعُون فـيها الكذب والإثم, بتركه تعجيـل عقوبتكم وَرَحْمَتُهِ إياكم, لعفوه عنكم فـي الدّنْـيا والآخِرَةِ بقبول توبتكم مـما كان منكم فـي ذلك, لَـمسّكُمْ فِـيـما خضتـم فـيه من أمرها عاجلاً فـي الدنـيا عَذَابٌ عَظِيـمٌ.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19575ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد فـي قوله: وَلَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَـيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ هذا للذين تكلـموا فنشروا ذلك الكلام, لَـمَسّكُمْ فِـيـما أفْضْتُـمْ فِـيهِ عَذَابٌ عَظِيـمٌ.

الآية : 15

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِذْ تَلَقّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيّناً وَهُوَ عِندَ اللّهِ عَظِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره: لـمسّكم فـيـما أفضتـم فـيه من شأن عائشة عذاب عظيـم, حين تلقّونه بألسنتكم. و«إذ» من صلة قوله «لـمسّكم». ويعنـي بقوله: تَلَقّوْنَهُ تتلقون الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك, فتقبلونه, ويرويه بعضكم عن بعض يقال: تلقـيّت هذا الكلام عن فلان, بـمعنى أخذته منه وقـيـل ذلك لأن الرجل منهم فـيـما ذُكر يَـلْقـى آخر فـيقول: أوَ مَا بلغك كذا وكذا عن عائشة؟ لـيُشِيع علـيها بذلك الفـاحشة. وذكر أنها فـي قراءة أُبـيّ: «إذْ تَتَلقّوْنَهُ» بتاءين, وعلـيها قَرَأَهُ الأمصار, غير أنهم قرءوها: تَلَقّوْنَهُ بتاء واحدة, لأنها كذلك فـي مصاحفهم. وقد رُوِي عن عائشة فـي ذلك, ما:

19576ـ حدثنـي به مـحمد بن عبد الله بن عبد الـحكَم, قال: حدثنا خالد بن نزار, عن نافع, عن ابن أبـي ملـيكة, عن عائشة زوج النبـيّ صلى الله عليه وسلم, أنها كانت تقرأ هذه الآية: «إذْ تَلِقُوْنَهُ بألْسِنَتِكُمْ» تقول: إنـما هو وَلْق الكذب, وتقول: إنـما كانوا يَـلِقُون الكذب. قال ابن أبـي ملـيكة: وهي أعلـم بـما فـيها أنزلت.

قال نافع: وسمعت بعض العرب يقول: اللّـيْق: الكذب.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا نافع بن عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الـجَمَـحِيّ, عن ابن أبـي ملـيكة, عن عائشة, أنها كانت تقرأ: «إذْ تَلِقُونَهُ بألْسِنَتُكُمْ» وهي أعلـم بذلك وفـيها أنزلت, قال ابن أبـي ملـيكة: هو من وَلْق الكذب.

قال أبو جعفر: وكأن عائشة وَجّهت معنى ذلك بقراءتها «تلِقُونَهُ» بكسر اللام وتـخفـيف القاف, إلـى: إذ تستـمرّون فـي كذبكم علـيها وإفككها بألسنتكم, كما يقال: وَلَق فلان فـي السير فهو يَـلِق: إذا استـمرّ فـيه وكما قال الراجز:

إنّ الـجُلَـيْدَ زَلِقٌ وَزُمَلِقْجاءتْ بِهِ عَنْسٌ مِنَ الشّأَمِ تَلِقْمُ
جَوّعُ البَطْنِ كِلابِـيّ الـخُـلُقْ

وقد رُوي عن العرب فـي الوَلْق: الكذب: الأَلْق, والإلِق: بفتـح الألف وكسرها, ويقال فـي فعلت منه: أَلِقْتُ, فأنا أَلِقٌ وقال بعضهم:

مَنْ لِـيَ بـالـمُزَرّرِ الـيَلامِقِصاحِبِ أدْهانٍ وألْقٍ آلِقِ
والقراءة التـي لا أستـجيز غيرها: إذْ تَلَقّوْنَهُ علـى ما ذكرت من قراءة الأمصار, لإجماع الـحجة من القرّاء علـيها.
وبنـحو الذي قلنا من التأويـل فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
19577ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد: إذْ تَلَقّوْنَهُ بألْسِنَتِكُمْ قال: تَرْوُونه بعضُكم عن بعض.
حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: إذْ تَلَقّوْنَهُ قال: تَرْوُونه بعضُكم عن بعض.
قوله: وَتَقُولُونَ بأفْوَاهِكُمْ ما لَـيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْـمٌ يقول تعالـى ذكره: وتقولون بأفواهكم ما لـيس لكم به علـم من الأمر الذي تَرْوُونه, فتقولون: سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا, ولا تعلـمون حقـيقة ذلك ولا صحته.
وَتَـحْسَبُونَهُ هَيّنا وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكموه بألسنتكم وتلقّـيكموه بعضكم عن بعض, هَيّنٌ سهل, لا إثم علـيكم فـيه ولا حرج. وَهُوَ عِنْدَ اللّهِ عَظِيـمٌ يقول: وتلقّـيكم ذلك كلك وقولُكموه بأفواهكم, عند الله عظيـم من الأمر لأنكم كنتـم تؤذون به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلـيلته.

الآية : 16

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَوْلآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مّا يَكُونُ لَنَآ أَن نّتَكَلّمَ بِهَـذَا سُبْحَانَكَ هَـذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ }.
يقول تعالـى ذكره: فَلَوْلا أيها الـخائضون فـي الإفك الذي جاءت به عصبة منكم, إذْ سَمِعْتُـمُوهُ مـمن جاء به, قلتُـمْ ما يحلّ لنا أن نتكلـم بهذا, وما ينبغي لنا أن نتفوّه به سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتانٌ عَظِيـمٌ, تنزيها لك يا ربّ وبراءة إلـيك مـما جاء به هؤلاء هَذَا بُهْتانٌ عَظِيـمٌ يقول: هذا القول بهتان عظيـم.

الآية : 17

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَعِظُكُمُ اللّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُمْ مّؤْمِنِينَ }.
يقول تعالـى ذكره: يذكّرُكم الله وينهاكم بآي كتابه, لئلا تعودوا لـمثل فعلكم الذي فعلتـموه فـي أمر عائشة من تلقّـيكم الإفك الذي رُوِي علـيها بألسنتكم, وقولكم بأفواهكم ما لـيس لكم به علـم فـيها أبدا. إنْ كُنْتُـمْ مُؤْمِنِـينَ يقول: إن كنتـم تتعظون بعظات الله وتأتـمرون لأمره وتنتهون عما نهاكم عنه.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
19578ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَيُبَـيّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللّهُ عَلِـيـمٌ حَكِيـمٌ قال: والذي هو خيرٌ لنا من هذا, أن الله أعلـمنا هذا لكيلا نقع فـيه, لولا أن الله أعلـمنا لهلكنا كما هلك القوم, أن يقول الرجل: أنا سمعته ولـم أخترقه ولـم أتقوّله, فكان خيرا حين أعلـمناه الله, لئلا ندخـل فـي مثله أبدا, وهو عند الله عظيـم. وقوله: وَيُبَـيّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ: ويفصّل الله لكم حججه علـيكم بأمره ونهيه, لـيتبـين الـمطيع له منكم من العاصي, والله علـيـم بكم وبأفعالكم, لا يخفـي علـيه شيء, وهو مـجاز الـمـحسنَ منكم بإحسانه والـمسىء بإساءته, حكيـم فـي

تدبـير خـلقه وتكلـيفه ما كلّفهم من الأعمال وفرضه ما فرض علـيهم من الأفعال.

الآية : 18

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَيُبَيّنُ اللّهُ لَكُمُ الاَيَاتِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره: إن الذين يحبون أن يذيع الزنا فـي الذين صدّقوا بـالله ورسوله ويظهر ذلك فـيهم, لهم عَذَابٌ أَلـيـمٌ يقول: لهم عذاب وجيع فـي الدنـيا, بـالـحدّ الذي جعله الله حدّا لرامي الـمـحصَناتِ والـمـحصَنـين إذا رموهم بذلك, وفـي الآخرة عذاب جهنـم إن مات مُصِرّا علـى ذلك غير تائب. كما:

19579ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, قوله: يُحِبّونَ أنْ تَشِيعَ الفـاحِشَةُ قال: تظهر فـي شأن عائشة.

19580ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: إنّ الّذِينَ يُحِبّونَ أنْ تَشِيعَ الفـاحِشَةُ فِـي الّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِـيـمٌ قال: الـخبـيث عبد الله بن أبـيّ ابن سَلول, الـمنافق, الذي أشاع علـى عائشة ما أشاع علـيها من الفرية, لهم عَذَابٌ أَلـيـمٌ.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: أنْ تَشِيعَ الفـاحِشَةُ قال: تظهر يتـحدّث عن شأن عائشة.

وقوله: وَاللّهُ يَعْلَـمُ وأنْتُـمْ لا تَعْلَـمُونَ يقول تعالـى ذكره: والله يعلـم كذبَ الذين جاءوا بـالإفك من صدقهم, وأنتـم أيها الناس لا تعلـمون ذلك لأنكم لا تعلـمون الغيب, وإنـما يعلـم ذلك علاّم الغيوب. يقول: فلا تَروُوا ما لا علـم لكم به من الإفك علـى أهل الإيـمان بـالله, ولا سيـما علـى حلائل رسول الله صلى الله عليه وسلم, فتهلكوا.

الآية : 19

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إنّ الّذِينَ يُحِبّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الّذِينَ آمَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدّنْيَا وَالاَخِرَةِ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: ولولا أن تفضّل الله علـيكم أيها الناس ورحمكم, وأن الله ذو رأفة, ذو رحمة بخـلقه, لهلكتـم فـيـما أفضتـم فـيه وعاجلتْكم من الله العقوبة. وترك ذكر الـجواب لـمعرفة السامع بـالـمراد من الكلام بعده, وهو قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَتّبِعُوا خُطُوَاتِ الشّيْطانِ... الآية.

الآية : 20

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنّ اللّهَ رَءُوفٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره للـمؤمنـين به: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله, لا تسلكوا سبـيـل الشيطان وطرقه ولا تقتفوا آثاره, بإشاعتكم الفـاحشة فـي الذين آمنوا وإذا عتكموها فـيهم وروايتكم ذلك عمن جاء به, فإن الشيطان يأمر بـالفحشاء وهي الزنا والـمنكر من القول.

وقد بـيّنا معنى الـخطوات والفحشاء فـيـما مضى بشواهد ذلك بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع.

الآية : 21

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ وَمَن يَتّبِعْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ فَإِنّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَـكِنّ اللّهَ يُزَكّي مَن يَشَآءُ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره: ولولا فضل الله علـيكم أيها الناس ورحمته لكم, ما تَطَهّر منكم من أحد أبدا من دنس ذنوبه وشركه, ولكن الله يطهّر من يشاء من خـلقه.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19581ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَلَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَـيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ أبَدا يقول: ما اهتدى منكم من الـخلائق لشيء من الـخير ينفع به نفسه, ولـم يتق شيئا من الشرّ يدفعه عن نفسه.

19582ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَلَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَـيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ أبَدا قال: ما زكى: ما أسلـم. وقال: كلّ شيء فـي القرآن من «زكى» أو «تَزَكّي» فهو الإسلام.

وقوله: وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِـيـمٌ يقول: والله سميع لـما تقولون بأفواهكم وتَلَقّوْنه بألسنتكم وغير ذلك من كلامكم, علـيـم بذلك كله وبغيره من أموركم, مـحيط به مـحصيه علـيكم, لـيجازيَكم بكل ذلك.

الآية : 22

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسّعَةِ أَن يُؤْتُوَاْ أُوْلِي الْقُرْبَىَ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوَاْ أَلاَ تُحِبّونَ أَن يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره: ولا يحلف بـالله ذوو الفضل منكم, يعنـي ذوي التفضل والسّعة يقول: وذوو الـجِدَة.

واختلف القرّاء فـي قراءة قوله: وَلا يأْتَلِ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: وَلا يَأْتَلِ بـمعنى: يفتعل من الأَلِـيّة, وهي القسم بـالله سوى أبـي جعفر وزيد بن أسلَـم, فإنه ذُكِر عنهما أنهما قرآ ذلك: «وَلا يَتألّ» بـمعنى: يتفعّل, من الأَلِـية.

والصواب من القراءة فـي ذلك عندي قراءة من قرأ: ولا يأَتَل بـمعنى يفتعل من الأَلِـية وذلك أن ذلك فـي خطّ الـمصحف كذلك, والقراءة الأخرى مخالفة خطّ الـمصحف, فـاتبـاع الـمصحف مع قراءة جماعة القرّاء وصحّة الـمقروء به أولـى من خلاف ذلك كله. وإنـما عُنِـي بذلك أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه فـي حلفه بـالله لا ينفق علـى مِسْطَح, فقال جلّ ثناؤه: ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها الـمؤمنون بـالله ألاّ يُعْطُوا ذَوِي قَرابتهم فـيصِلوا به أرحامهم, كمِسْطح, وهو ابن خالة أبـي بكر.

والـمساكين: يقول: وذوي خَـلّة الـحاجة, وكان مِسْطح منهم, لأنه كان فقـيرا مـحتاجا. والـمهاجرين فـي سبـيـل الله وهم الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم فـي جهاد أعداء الله, وكان مِسْطَح منهم لأنه كان مـمن هاجر من

مكة إلـى الـمدينة, وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا.
وَلْـيَعْفُوا يقول ولـيعفُوا عما كان منهم إلـيهم من جُرم, وذلك كجرم مِسْطح إلـى أبـي بكر فـي إشاعته علـى ابنته عائشة ما أشاع من الإفك. وَلْـيَصْفَحُوا يقول: ولـيتركوا عقوبتهم علـى ذلك, بحرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك, ولكن لـيعودوا لهم إلـي مثل الذي كانوا لهم علـيه من الإفضال علـيهم. ألا تُـحِبّونَ أنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ يقول: ألا تـحبون أن يستر الله علـيكم ذنوبكم بإفضالكم علـيهم, فـيترك عقوبتكم علـيها. وَاللّهُ غَفُورٌ لذنوب من أطاعه واتبع أمره, رحيـم بهم أن يعذّبهم مع اتبـاعهم أمره وطاعتهم إياه, علـى ما كان لهم من زلة وهفوة قد استغفروه منها وتابوا إلـيه من فعلها.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
19583ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عن الزهريّ, عن عَلقمة بن وقّاص اللـيثـيّ, وعن سعيد بن الـمسيب, وعن عرورة بن الزبـير, وعن عبـيد الله بن عبد الله بن عتبة, عن عائشة. قال: وثنـي ابن إسحاق, قال: حدثنا يحيى بن عبـاد بن عبد الله بن الزّبـير, عن أبـيه, عن عائشة. قال: وثنـي ابن إسحاق, قال: ثنـي عبد الله بن أبـي بكر بن مـحمد بن عمرو بن حزم الأنصاريّ, عن عمرة بنت عبد الرحمن, عن عائشة, قالت: لـما نزل هذا يعنـي قوله: إنّ الّذِينَ جاءُوا بـالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ فـي عائشة, وفـيـمن قال لها ما قال قال أبو بكر, وكان ينفق علـى مسطح لقرابته وحاجته: والله لا أنفق علـى مسطح شيئا أبدا ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال وأدخـل علـيها ما أدخـل قالت: فأنزل الله فـي ذلك: وَلا يأتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ والسّعَةِ... الآية. قالت: فقال أبو بكر: والله إنـي لأحبّ أن يغفر الله لـي فرجع إلـى مسطح نفقتَه التـي كان يُنفِق علـيه, وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.
19584ـ حدثنـي علـيّ, قال حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَلا يَأتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسّعَةِ يقول: لا تُقْسِموا ألاّ تنفعوا أحدا.
19585ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَلا يَأتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسّعَةِ... إلـى آخر الآية, قال: كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رَمَوا عائشة بـالقبـيح وأفشَوا ذلك وتكلوا به, فأقسم ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, فـيهم أبو بكر, ألاّ يتصدّق علـى رجل تكلـم بشيء من هذا ولا يصله, فقال: لا يُقْسِم أولوا الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم وأن يعطوهم من أموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك. فأمر الله أن يُغْفَر لهم وأن يُعْفَـى عنهم.
19586ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: وَلا يَأتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسّعَةِ: لـما أنزل الله تعالـى ذكره عذر عائشة من السماء, قال أبو بكر وآخرون من الـمسلـمين: والله لا نصل رجلا منهم تَكَلّـم بشيء من شأن عائشة ولا ننفعه فأنزل الله: وَلا يَأتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسّعة يقول: ولا يحلف.
حدثنـي يونس,قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسّعَةِ أنْ يُؤْتُوا أُولـي القُرْبَى قال: كان مِسْطَح ذا

قرابة. والـمَساكِينَ قال: كان مسكينا. وَالـمُهاجِرِينَ فِـي سَبِـيـلِ اللّه كان بدْريّا.
19587ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ والسّعَةِ قال: أبو بكر حلف أن لا ينفع يتـيـما فـي حِجْره كان أشاع ذلك. فلـما نزلت هذه الآية قال: بلـى أنا أحبّ أن يغفر الله لـي, فَلاكوننّ لـيتـيـمي خيرَ ما كنت له قطّ.

الآية : 23

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِنّ الّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِناتِ لُعِنُواْ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }.
يقول تعالـى ذكره: إنّ الّذِينَ يَرْمُونَ بـالفـاحشة الـمُـحْصَناتِ يعنـي العفـيفـات الغافِلاتِ عن الفواحش الـمُؤْمِناتِ بـالله ورسوله, وما جاء به من عند الله, لُعِنُوا فِـي الدّنـيْا والآخِرَةِ يقول: أُبْعِدوا من رحمة الله فـي الدنـيا والآخرة. وَلَهُمْ فـي الآخرة عَذَابٌ عَظِيـمٌ وذلك عذاب جهنـم.
واختلف أهل التأويـل فـي الـمحصنات اللاتـي هذا حكمهن, فقال بعضهم: إنـما ذلك لعائشة خاصة, وحكم من الله فـيها وفـيـمن رماها, دون سائر نساء أمة نبـينا صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:
19588ـ حدثنا ابن أبـي الشوارب, قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد, قال: حدثنا خَصِيف, قال: قلت لسعيد بن جُبـير: الزنا أشدّ أم قذف الـمـحصَنة؟ فقال: الزنا. فقلت: أليس الله يقول: إنّ الّذِينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَناتِ... الآية؟ قال سعيد: إنـما كان هذا لعائشة خاصة.
19589ـ حدثنا أحمد بن عبدة الضبـي, قال: حدثنا أبو عوانة, عن عمر بن أبـي سَلَـمة, عن أبـيه, قال: قالت عائشة: رُمِيت بـما رُمِيت به وأنا غافلة, فبلغنـي بعد ذلك, قالت: فبـينـما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي جالس, إذ أوحي إلـيه, وكان إذا أوحي إلـيه أخذه كهيئة السّبـات. وإنه أوحي إلـيه وهو جالس عندي, ثم استوى جالسا يـمسح عن وجهه, وقال: «يا عائشة أبْشِري» قالت: فقلت: بحمد الله لا بحمدك فقرأ: إنّ الّذِينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَناتِ الغافِلاتِ الـمُؤْمِناتِ... حتـى بلغ: أُولَئِكَ مُبَرّءُونَ مِـمّا يَقُولُونَ.
وقال آخرون: بل ذلك لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر النساء غيرهنّ. ذكر من قال ذلك:
19590ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: إنّ الّذِينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَناتِ الغافِلاتِ الـمُؤْمِناتِ... الآية, أزواج النبـيّ صلى الله عليه وسلم خاصة.
وقال آخرون: نزلت هذه الآية فـي شأن عائشة, وعُنـي بها كلّ من كان بـالصفة التـي وصف الله هذه الآية. قالوا: فذلك حكم كلّ من رَمى مـحصنة لـم تقارف سُوءا. ذكر من قال ذلك:
19591ـ حدثنا علـيّ بن سهل, قال: حدثنا زيد, عن جعفر بن برقان, قال: سألت ميـمونا, قلت: الذي ذكر الله: الّذينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَناتِ ثُمّ لَـمْ يَأْتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... إلـى قوله: إلاّ الّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلكَ وأصْلَـحُوا فإنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيـمٌ فجعل فـي هذه توبة, وقال فـي الأخرى: إنّ الّذِينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَناتِ الغافِلاتِ... إلـى قوله: لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيـمٌ؟ قال ميـمون: أما

الأولى فعسى أن تكون قد قارفت, وأما هذه فهي التي لم تقارف شيئا من ذلك.

19592ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا العوّام بن حوشب, عن شيخ من بني أسد, عن ابن عباس, قال: فسّر سورة النور, فلما أتى على هذه الآية: إنّ الّذِينَ يرْمُونَ الـمُـحْصَناتِ الغافِلاتِ الـمُؤْمِناتِ... الآية, قال: هذا في شأن عائشة وأزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم, وهي مبهمة, وليست لهم توبة. ثم قرأ: وَالّذِينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَناتِ ثُمّ لَـمْ يَأْتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... إلى قوله: إلاّ الّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْد ذلك وأصْلَـحُوا... الآية, قال: فجعل لهؤلاء توبة, ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة. قال: فهمّ بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسّر سورة النور.

19593ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: إنّ الّذِينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَناتِ الغافِلاتِ الـمُؤْمِناتِ لُعِنُوا فِي الدّنـيْا والآخِرَةِ ولَهُمْ عَذَابٌ عَظِيـمٌ قال: هذا في عائشة, ومن صنع هذا اليومَ في المسلمات فله ما قال الله, ولكن عائشة كانت إمام ذلك.

وقال آخرون: نزلت هذه الآية في أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم, فكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التي في أوّل السورة فأوجب الجَلْد وقبل التوبة. ذكر من قال ذلك:

19594ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: إنّ الّذِينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَناتِ الغافِلاتِ الـمُؤْمِنات... إلى: عَذَابٌ عَظِيـمٌ يعني أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم, رماهنّ أهل النفاق, فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وباءوا بسخط من الله. وكان ذلك في أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم, ثم نزل بعد ذلك: وَالّذِينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَناتِ ثُمّ لَـمْ يَأْتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... إلى قوله: فإنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيـمٌ فأنزل الله الجلد والتوبة, فالتوبة تُقبل, والشهادة تردّ.

وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة, والحكم بها عامّ في كلّ من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها.

وإنما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب, لأن الله عمّ بقوله: إنّ الّذِينَ يَرمُونَ الـمُـحْصَناتِ الغافِلاتِ الـمُؤْمِناتِ كلّ محصنة غافلة مؤمنة رماها رام بالفاحشة, من غير أن يخصّ بذلك بعضا دون بعض, فكلّ رام محصنة بالصفة التي ذكر الله جلّ ثناؤه في هذه الآية فملعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم, إلا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته, فإن الله دلّ باستثنائه بقوله: إلاّ الّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلكَ وأصْلَـحُوا على أن ذلك حكم رامي كل محصنة بأيّ صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية, وعلى أن قوله: لُعِنُوا في الدّنـيْا والآخِرَةِ, وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيـمٌ معناه: لهم ذلك إن هلكوا ولم يتوبوا.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولهم عذاب عظيم يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ف«اليوم» الذي في قوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ من صلة قوله: وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. وعُنِي بقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ يوم القيامة وذلك حين يجحد أحدهما ما اكتسب في الدنيا من الذنوب عند تقرير الله إياه بها, فيختم الله على أفواههم, وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

فإن قال قائل: وكيف تشهد عليهم ألسنتهم حين يختم على أفواههم؟ قيل: عُنِي بذلك أن ألسنة بعضهم تشهد إلى بعض, لا أن ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه. وقد:

19595ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا عمرو, عن درّاج, عن أبي الهيثمي, عن أبي سعيد, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ عُرِفَ الكافِرُ بعَمَلِهِ, فَجَحَدَ وَخاصَمَ, فَيُقالُ لَهُ: هَؤُلاءِ جيرَانُكَ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ, فَيَقُولُ: كَذَبُوا فَيَقُولُ: أهْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ, فَيَقُولُ: كَذَبُوا فَيَقُولُ: أتَحْلِفُونَ؟ فَيَحْلِفُونَ. ثُمّ يُصْمِتُهُمُ اللّهُ, وتَشْهَدُ ألْسِنَتُهُمْ, ثُمّ يُدْخِلُهُمُ النّارُ».

الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ يُوَفّيهِمُ اللّهُ دِينَهُمُ الْحَقّ وَيَعْلَمُونَ أَنّ اللّهَ هُوَ الْحَقّ الْمُبِينُ }.

يقول تعالى ذكره: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وأيْدِيهِمْ وأرْجُلُهُمْ بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ يوفيهم الله حسابهم وجزاءهم الحقّ على أعمالهم. والدّين في هذا الموضع: الحساب والجزاء, كما:

19596ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: يَوْمَئِذٍ يُوَفّيهِمُ اللّهُ دينَهُمُ الحَقّ يقول: حسابهم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: الحَقّ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: دِينَهُمُ الحَقّ نصبا على النعت للدين, كأنه قال: يوفيهم الله أعمالهم حقّا. ثم أدخل في الحقّ الألف واللام, فنصب بما نصب به الدين. وذُكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك: «يُوَفّيهِمُ اللّهُ دِينَهُمُ الحَقّ» برفع «الحقّ» على أنه من نعت الله.

19597ـ حدثنا بذلك أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا يزيد, عن جرير بن حازم, عن حميد, عن مجاهد, أنه قرأها «الحقّ» بالرفع. قال جرير: وقرأتها في مصحف أبيّ بن كعب يُوَفّيهِمُ اللّهُ الحَقّ دِينَهُمْ.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار, وهو نصب «الحقّ» على إتباعه إعراب «الدين» لإجماع الحجة عليه.

وقوله: وَيَعْلَمُونَ أنّ اللّهَ هُوَ الحَقّ المُبِينُ يقول: ويعلمون يومئذٍ أن الله هو الحقّ الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب, ويزول حينئذٍ الشكّ فيه عن أهل النفاق الذين كانوا فيما كان يَعِدُهم في الدنيا يمترون.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطّيّبَاتُ لِلطّيّبِينَ وَالطّيّبُونَ لِلطّيّبَاتِ أُوْلَـئِكَ مُبَرّءُونَ مِمّا يَقُولُونَ لَهُم مّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }.

اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل ذلك فقال بعضهم: معناه: الـخبـيثات من القول للـخبثـيـين من الرجال, والـخبـيثون من الرجال للـخبـيثات من القول, والطيبـات من القول للطيبـين من الناس, والطيبون من الناس للطيبـات من القول. ذكر من قال ذلك:

19598ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: الـخَبِـيثاتُ للـخَبـيثِـينِ والـخَبِـيثُونَ للْـخَبِـيثاتِ يقول: الـخبـيثات من القول للـخبـيثـين من الرجال, والـخبـيثون من الرجال للـخبـيثات من القول.

وقوله: والطّيّبـاتُ للطّيّبِـينَ يقول: الطيبـات من القول للطيبـين من الرجال, والطيبون من الرجال للطيبـات من القول. نزلت فـي الذين قالوا فـي زوجة النبـيّ صلى الله عليه وسلم ما قالوا من البهتان. ويقال: الـخبـيثات للـخبـيثـين: الأعمال الـخبـيثة تكون للـخبـيثـين, والطيبـات من الأعمال تكون للطيبـين.

19599ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن عثمان بن الأسود, عن مـجاهد: الـخبـيثات من الكلام للـخبـيثـين من الناس, والطيبـات من الكلام للطيبـين من الناس.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

19600ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى عن ابن أبـي نـجيح, فـي قول الله: الـخَبِـيثاتُ للْـخَبِـيثِـينَ والـخَبِـيثُونَ للْـخَبِـيثاتِ والطّيّبـاتُ للطّيّبِـينَ والطّيّبُونَ لِلطّيّبـاتِ قال: الطيبـات: القول الطيب يخرج من الكافر والـمؤمن فهو للـمؤمن والـخبـيثات: القول الـخبـيث يخرج من الـمؤمن والكافر فهو للكافر. أُولَئِكَ مُبَرّءُونَ مِـمّا يَقُولُونَ وذلك أنه برأ كلـيهما مـما لـيس بحقّ من الكلام.

19601ـ حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: الـخَبِـيثاتُ للْـخَبِـيثِـينَ والـخَبِـيثُونَ للْـخَبِـيثاتِ والطّيّبـاتُ لِلطّيّبـينَ والطّيّبُونَ لِلطّيّبـاتِ يقول: الـخبـيثات والطيبـات: القول السيء والـحسن للـمؤمنـين الـحسن وللكافرين السيء. أُولَئِكَ مُبَرءُونَ مِـمّا يَقُولُونَ وذلك بأنه ما قال الكافرون من كلـمة طيبه فهي للـمؤمنـين, وما قال الـمؤمنون من كلـمة خبـيثة فهي للكافرين, كلّ برىء مـما لـيس بحقّ من الكلام.

19602ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: الـخَبِـيثاتُ للْـخَبِـيثِـينَ قال: الـخبـيثات من الكلام للـخبـيثـين من الناس, والـخبـيثون من الناس للـخبـيثات من الكلام.

حدثنا الـحسن قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال أخبرنا معمر عن ابن أبـي نـجيح عن مـجاهد, مثله.

19603ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: الـخَبِـيثاتُ للْـخَبِـيثـينَ... الآية, يقول: الـخبـيثات من القول للـخبـيثـين من الرجال, والـخبـيثون من الرجال للـخبـيثات من القول, والطيبـات من القول للطيبـين من الرجال, والطيبون من الرجال للطيبـات من القول. فهذا فـي الكلام, وهم الذين قالوا لعائشة ما قالوا, هم الـخبـيثون. والطيبون هم الـمبرّءون مـما قال الـخبـيثون.

19604ـ حدثنا أبو زرعة, قال حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا سلمة, يعني ابن نبيط الأشجعيّ, عن الضحاك: الخَبِيثاتُ للْخَبِيثِين قال: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس, والطيبات من الكَلام للطيبين من الناس.
19605ـ قال: حدثنا قبيصة, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح وعثمان بن الأسود, عن مجاهد: الخَبِيثاتُ للْخَبِيثِينَ والخَبِيثُونَ للْخَبيثاتِ والطّيّباتُ للطّيّبِينَ والطّيّبُونَ للطّيّباتِ قال: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول, والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول.
19606ـ قال: حدثنا عن خصيف, عن سعيد بن جبير, قال: الخَبِيثَاتُ للْخَبِيثِينَ والخَبِيثُونَ للْخَبِيثاتِ والطّيّبَاتُ للطّيّبِينَ والطّيّبُونَ للطّيّبَاتِ قال: الخبيثات من القول للخبيثين من الناس, والخبيثون من الناس للخبيثات من القول, والطيبات من القول للطيبين من الناس, والطيبون من الناس للطيبات من القول.
19607ـ قال: ثني محمد بن بكر بن مقدم, قال: أخبرنا يحيى بن سعيد, عن عبد الملك, يعني ابن أبي سليمان, عن القاسم بن أبي بَزّة, عن سعيد بن جبير, عن مجاهد: والخَبِيثُونَ للْخَبِيثاتِ قال: الخبيثات من القول للخبيثين من الناس.
19608ـ قال: حدثنا عباس بن الوليد النّرسيّ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة: الخبيثاتُ للْخَبيثِينَ والخَبِيثُونَ للْخَبِيثاتِ والطّيّباتُ للطّيّبِينَ والطّيّبُونَ للطّيّباتِ يقول: الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس, والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل.
19609ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن طلحة بن عمرو, عن عطاء, قال: الطيبات للطيبين, والطيبون للطيبات, قال: الطيبات من القول للطيبين من الناس, والطيبون من الناس للطيبات من القول, والخبيثات من القول للخبيثين من الناس, والخبيثون من الناس للخبيثات من القول.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال, والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء. ذكر من قال ذلك:
19610ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: الخَبِيثاتُ للْخَبِيثِينَ والخَبِيثُونَ للْخَبِيثاتِ والطّيّباتُ للطّيّبِينَ والطّيّبُونَ للطّيّبَاتِ قال: نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفِرْية, فبرأها الله من ذلك. وكان عبد الله بن أبي هو خبيث, وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكونَ لها. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبا, وكان أولى أن تكون له الطيبة. وكانت عائشة الطيبة, وكانَ أولى أن يكون لها الطيب. أولَئكَ مُبَرّءُون مِمّا يَقُولُونَ قال: هاهنا بُرّئت عائشة. لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كَرِيمٌ.
وأولى هذه الأقوال في تأويل الآية قول من قال: عَنَى بالخبيثات: الخبيثات من القول وذلك قبيحه وسيئه للخبيثين من الرجال والنساء, والخبيثون من الناس للخبيثات من القول هم بها أولى, لأنهم أهلها.

والطيبـات من القول وذلك حسنه وجميـله للطيبـين من الناس, والطيبون من الناس للطيبـات من القول لأنهم أهلها وأحقّ بها.
وإنـما قلنا هذا القول أولـى بتأويـل الآية, لأن الآيات قبل ذلك إنـما جاءت بتوبـيخ الله للقائلـين فـي عائشة الإفك, والرامين الـمـحصنات الغافلات الـمؤمنات, وإخبـارهم ما خَصّهم به علـى إفكهم, فكان ختـم الـخبر عن أولـى الفريقـين بـالإفك من الرامي والـمرمي به أشبه من الـخبر عن غيرهم.
وقوله: أُولَئِكَ مُبَرّءُونَ يقول: الطيبون من الناس مبرّءون من خبـيثات القول, إن قالوها فإن الله يصفح لهم عنها ويغفرها لهم, وإن قـيـلت فـيهم ضرّت قائلها ولـم تضرّهم, كما لو قال الطيب من القول الـخبـيث من الناس لـم ينفعه الله به لأن الله لا يتقبّله, ولو قـيـلت له لضرّته لأنه يـلـحقه عارها فـي الدنـيا وذلها فـي الآخرة. كما:
19611ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: أُولَئِكَ مُبَرّءُونَ مِـمّا يَقُولُونَ فمن كان طيبـا فهو مبرأ من كل قول خبـيث, يقول: يغفره الله ومن كان خبـيثا فهو مبرأ من كل قول صالـح, فإنه يردّه الله علـيه لا يقبله منه. وقد قـيـل: عُنِـي بقوله: أُولَئِكَ مُبَرّءُونَ مِـمّا يَقُولُونَ عائشة وصفوان بن الـمعطّل الذي رُمِيت به. فعلـى هذا القول قـيـل «أولئك» فجمع, والـمراد «ذانك», كما قـيـل: فإن كان له إخوة, والـمراد أخوان.
وقوله: لَهُمْ مَغْفِرَةٌ يقول لهؤلاء الطيبـين من الناس مغفرة من الله لذنوبهم, والـخبـيث من القول إن كان منهم. وَرِزْقٌ كَرِيـمٌ يقول: ولهم أيضا مع الـمغفرة عطية من الله كريـمة, وذلك الـجنة, وما أُعِدّ لهم فـيها من الكرامة. كما:
19612ـ حدثنا أبو زرْعة, قال: حدثنا العبـاس بن الولـيد النّرسيّ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة: لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيـمٌ مغفرة لذنوبهم ورزق كريـم فـي الـجنة.

الآية : 27

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتّىَ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلّمُواْ عَلَىَ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لّكُمْ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ }.
اختلف أهل التأويـل فـي ذلك, فقال بعضهم: تأويـله يا أيها الذين آمنوا لا تدخـلوا بـيوتا غير بـيوتكم حتـى تستأذنوا. ذكر من قال ذلك:
19613ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا هشيـم, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, أنه كان يقرأ: «لا تَدْخُـلُوا بُـيُوتا غيرَ بُـيُوتِكُمْ حتـى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلّـمُوا عَلـى أهْلِها» قال: وإنـما «تستأنسوا» وَهَمٌ من الكتاب.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عبـاس فـي هذه الآية: لا تَدْخُـلُوا بُـيُوتا غيرَ بُـيُوتِكُمْ حتـى تَسْتَأنِسُوا وَتُسَلّـمُوا علـى أهْلِها وقال: إنـما هي خَطَأ من الكاتب: «حتـى تستأذنوا وتسلـموا».
حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا وهب بن جرير, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جُبـير, بـمثله, غير أنه قال: إنـما هي حتـى تستأذنوا, ولكنها سقط من الكاتب.

19614ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن عطية, قال: حدثنا معاذ بن سليمان, عن جعفر بن إياس, عن سعيد, عن ابن عباس: حتى تَسْتَأنِسُوا وَتُسَلّمُوا عَلى أهْلِها قال: أخطأ الكاتب. وكان ابن عباس يقرأ: «حتى تَسْتأذِنُوا وَتُسَلّمُوا» وكان يقرؤها على قراءة أُبيّ بن كعب.

19615ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش أنه كان يقرؤها: «حتى تَسْتأذِنوا وتُسَلّمُوا» قال سفيان: وبلغني أن ابن عباس كان يقرؤها: «حتى تَسْتَأذِنُوا وَتُسَلّمُوا» وقال: إنها خَطَأ من الكاتب.

19616ـ حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأنِسُوا وَتُسَلّمُوا على أهْلِها قال: الاستئناس: الاستئذان.

19617ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيم, قال: في مصحف ابن مسعود: «حتى تُسَلّموا عَلى أهْلِها وَتَسْتَأذِنُوا».

قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا جعفر بن إياس, عن سعيد, عن ابن عباس أنه كان يقرؤها: «يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تُسَلّمُوا عَلى أهْلِها وَتَسْتأذِنُوا» قال: وإنما تستأنسوا وَهم من الكُتّاب.

19618ـ قال: حدثنا هشيم, قال مغيرة, قال مجاهد: جاء ابن عمر من حاجة وقد آذاه الرّمْضاء, فأتى فُسطاط امرأة من قريش, فقال: السلام عليكم, أدخل؟ فقالت: ادخل بسلام فأعاد, فأعادت, وهو يراوح بين قدميه, قال: قولي ادْخل قالت: ادخل فدخل.

19619ـ قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا منصور, عن ابن سيرين, وأخبرنا يونس بن عبيد, عن عمرو بن سعيد الثقفيّ: أنّ رجلاً استأذن النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: أَلِج أو أَنَلِج؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لأمة له يقال لها رَوْضة: «قومي إلى هَذَا فَكَلّمِيهِ, فإنّهُ لا يُحْسِنُ يَسْأذِنُ, فَقُولي لَهْ يَقُولُ: السّلامُ عَلَيْكُمْ, أدْخُل؟» فسمعها الرجل, فقالها, فقال: «أدْخُلْ».

19620ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس, قوله: حتى تَسْتأنِسوا قال: الاستئذان, ثم نُسخ واستثني: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ.

19621ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا أبو حمزة, عن المغيرة, عن إبراهيم, قوله: لا تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ قال: حتى تسلّموا على أهلها وتستأذنوا.

19622ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة: حتى تَسْتَأنِسُوا قال: حتى تستأذنوا وتسلّموا.

19623ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أشعث بن سوار, عن كردوس, عن ابن مسعود, قال: عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأَخَواتكم.

قال أشعث عن عديّ بن ثابت: أن امرأة من الأنصار, قالت: يا رسول الله, إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحبّ أن يراني أحد عليها والد

ولا ولد, وإنه لا يزال يدخـل علـيّ رجل من أهلـي وأنا علـى تلك الـحال؟ قال: فنزلت: يا أَيّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُـلُوا بُـيُوتا غيرَ بُـيُوتِكُمْ حتـى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلّـمُوا علـى أَهْلِها... الآية.

وقال آخرون: معنى ذلك: حتـى تُؤْنِسوا أهل البـيت بـالتنـحنـح والتنـخم وما أشبهه, حتـى يعلـموا أنكم تريدون الدخول علـيهم. ذكر من قال ذلك:

19624ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن مـحمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبـي بزة, عن مـجاهد, فـي قوله: لا تَدْخُـلُوا بُـيُوتا غيرَ بُـيُوتِكُمْ حتـى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلّـمُوا عَلـى أَهْلِها قال: حتـى تتنـحنـحوا وتتنـخموا.

حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

19625ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله: حتـى تَسْتَأْنسُوا قال: حتـى تـجرّسوا وتسلـموا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, قوله: حتـى تَسْتَأْنِسُوا قال: تَنَـحْنـحوا وتَنَـخّموا.

19626ـ قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: سمعت عطاء بن أبـي ربـاح يخبر عن ابن عبـاس, قال: ثلاث آيات قد جحدهنّ الناس, قال الله: إنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ قال: ويقولون: إن أكرمهم عند الله أعظمهم شأنا. قال: والإذن كله قد جحده الناس فقلت له: أستأذن علـى أَخَواتـي أيتام فـي حِجري معي فـي بـيت واحد؟ قال: نعم, فرددت علـى من حضرنـي, فأبى, قال: أتـحبّ أن تراها عريانة؟ قلت: لا. قال: فـاستأذِن فراجعته أيضا, قال: أتـحبّ أن تطيع الله؟ قلت: نعم, قال: فـاستأذِن فقال لـي سعيد بن جُبـير: إنك لَتُرَدّد علـيه قلت: أردت أن يرخص لـي.

19627ـ قال ابن جُرَيج: وأخبرنـي ابن طاوس, عن أبـيه, قال: ما من امرأة أكره إلـيّ أن أرى كأنه يقول عريتها أو عريانة من ذات مـحرم. قال: وكان يشدّد فـي ذلك. قال ابن جُرَيج, وقال عطاء بن أبـي ربـاح: وإذا بلغ الأطفـال منكم الـحلـم فلـيستأذنوا, فواجب علـى الناس أجمعين إذا احتلـموا أن يستأذنوا علـى من كان من الناس. قلت لعطاء: أواجب علـى الرجل أن يستأذن علـى أمه ومَنْ وراءَها من ذات قرابته؟ قال: نعم. قلت: أبِرّ وَجَب؟ قال قوله: وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفـالُ مِنْكُمُ الـحُلُـمَ فَلْـيَسْتأْذِنُوا. قال ابن جُرَيج: وأخبرنـي ابن زياد: أن صفوان مولـى لبنـي زُهْرة, أخبره عن عطاء بن يسار: أن رجلاً قال للنبـيّ صلى الله عليه وسلم: أَسْتأذِنُ علـى أمي؟ قال: «نَعَمْ». قال: إنها لـيس لها خادم غيري, أفأستأذن علـيها كلـما دخـلت؟ قال: «أتُـحبّ أنْ تَراها عُرْيانَةً؟» قال الرجل: لا. قال: «فـاسْتأْذِنْ عَلَـيْها». قال ابن جُرَيج عن الزهريّ, قال: سمعت هزيـل بن شُرَحبـيـل الأَوْدِيّ الأعمى, أنه سمع ابن مسعود يقول: علـيكم الإذن علـى أمهاتكم.

19628ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قلت لعطاء: أيستأذن الرجل علـى امرأته؟ قال: لا.

19629ـ حدثنا الـحسين, قال: حدثنا مـحمد بن حازم, عن الأعمش, عن عمرو بن مرّة, عن يحيى بن الـجزّار, عن ابن أخي زينب امرأة ابن مسعود,

عن زينب قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فـانتهى إلـى البـاب, تنـحنـح وبَزَق, كراهة أن يَهْجُم منا علـى أمر يكرهه.
19630ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد فـي قول الله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُـلُوا بُـيُوتا غيرَ بُـيُوتِكُمْ حتـى تَسْتأنِسُوا قال: الاستئناس: التنـحنـح والتـجرّس, حتـى يعرفوا أن قد جاءهم أحد. قال: والتـجرّس: كلامه وتنـحنـحه.
والصواب من القول فـي ذلك عندي أن يقال: إن الاستئناس: الاستفعال من الأنس, وهو أن يستأذن أهل البـيت فـي الدخول علـيهم, مخبرا بذلك من فـيه, وهل فـيه أحد؟ ولـيؤذنهم أنه داخـل علـيهم, فلـيأنس إلـى إذنهم له فـي ذلك, ويأنسوا إلـى استئذانه إياهم. وقد حُكِي عن العرب سماعا: اذهب فـاستأنس, هل ترى أحدا فـي الدار؟ بـمعنى: انظر هل ترى فـيها أحدا؟
فتأويـل الكلام إذن, إذا كان ذلك معناه: يا أيها الذين آمنوا لا تدخـلوا بـيوتا غير بـيوتكم حتـى تسلـموا وتستأذنوا, وذلك أن يقول أحدكم: السلام علـيكم, أدخـل؟ وهو من الـمقدم الذي معناه التأخير, إنـما هو: حتـى تسلـموا وتستأذنوا, كما ذكرنا من الرواية عن ابن عبـاس.
وقوله: ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ يقول: استئناسكم وتسلـيـمكم علـى أهل البـيت الذي تريدون دخوله, فإن دخولكموه خير لكم لأنكم لا تدرون أنكم إذا دخـلتـموه بغير إذن, علـى ماذا تهجُمون؟ علـى ما يسوءكم أو يسرّكم؟ وأنتـم إذا دخـلتـم بإذن, لـم تدخـلوا علـى ما تكرهون, وأدّيتـم بذلك أيضا حقّ الله علـيكم فـي الاستئذان والسلام. وقوله: لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ يقول: لتتذكروا بفعلكم ذلك أو الله علـيكم, واللازم لكم من طاعته, فتطيعوه.

الآية : 28

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَإن لّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَداً فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتّىَ يُؤْذَنَ لَكُمُ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُواْ فَارْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىَ لَكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }.
يقول تعالـى ذكره: فإن لـم تـجدوا فـي البـيوت التـي تستأذنون فـيها أحدا يأذن لكم بـالدخول إلـيها, فلا تدخـلوها, لأنها لـيست لكم, فلا يحلّ لكم دخولها إلا بإذن أربـابها, فإن أذن لكم أربـابها أن تدخـلوها فـادخـلوها. وَإنْ قِـيـلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فـارْجِعُوا يقول: وإن قال لكم أهل البـيوت التـي تستأذنون فـيها ارجعوا فلا تدخـلوها, فـارجعوا عنها ولا تدخـلوها هُوَ أزْكَى لَكُمْ يقول: رجوعكم عنها إذا قـيـل لكم ارجعوا, ولـم يؤذن لكم بـالدخول فـيها, أطهر لكم عند الله. وقوله: هُوَ كناية من اسم الفعل, أعنى من قوله: فـارْجِعُوا. وقوله: وَاللّهُ بِـمَا تَعْمَلُونَ عَلِـيـمٌ يقول جلّ ثناؤه: والله بـما تعملون من رجوعكم بعد استئذانكم فـي بويت غيركم إذا قـيـل لكم ارجعوا وترك رجوعكم عنها وطاعتكم الله فـيـما أمركم ونهاكم فـي ذلك وغيره من أمره ونهيه, ذو علـم مـحيط بذلك كله, مُـحْصٍ جميعه علـيكم, حتـى يجازيَكم علـى جميع ذلك. وكان مـجاهد يقول فـي تأويـل ذلك ما:
19631ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: فإنْ لَـمْ تَـجِدُوا فِـيها أحَدا قال: إن لـم يكن لكم فـيها متاع, فلا تدخـلوها إلا بإذن. وَإنْ قِـيـلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فـارْجِعُوا.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.
19632ـ قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا هاشم بن القاسم المزنيّ, عن قَتادة, قال: قال رجل من المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها: أن أستأذن على بعض إخواني, فيقول لي: ارجع, فأرجع وأنا مغتبط, لقوله: وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ.
وهذا القول الذي قاله مجاهد في تأويل قوله: فإنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أحَدا بمعنى: إن لم يكن لكم فيها مَتاع, قول بعيد من مفهوم كلام العرب لأن العرب لا تكاد تقول: ليس بمكان كذا أحد, إلا وهي تعني ليس بها أحد من بني آدم. وأما الأمتعة وسائر الأشياء غير بني آدم ومن كان سبيله سبيلهم فلا تقول ذلك فيها.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى: {لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ }.
يقول تعالى ذكره: ليس عليكم أيها الناس إثم وحرج أن تدخلوا بيوتا لا ساكن بها بغير استئذان.
ثم اختلفوا في ذلك أيّ البيوت عَنَى, فقال بعضهم: عَنعى بها الخانات والبيوت المبنية بالطرق التي ليس بها سكان معروفون, وإنما بنيت لمارّة الطريق والسابلة ليأوُوا إليها ويُؤْوُوا إليها أمتعتهم. ذكر من قال ذلك:
19633ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حجاج, عن سالم المكّيّ, عن محمد ابن الحنفية, في قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ قال: هي الخانات التي تكون في الطرق.
19634ـ حدثني عباس بن محمد, قال: حدثنا مسلم, قال: حدثنا عمر بن فَرّوخ, قال: سمعت قَتادة يقول: بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ قال: هي الخانات تكون لأهل الأسفار.
19635ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ قال: كانوا يضعون في بيوت في طرق المدينة متاعا وأقتابا, فرُخّص لهم أن يدخلوها.
19636ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ قال: هي البيوت التي ينزلها السّفْر, لا يسكنها أحد.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: بُيُوتا غيرَ مسْكُونَةٍ قال: كانوا يصنعون أو يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة في بيوت ليس فيها أحد, فأحلّ لهم أن يدخلوها بغير إذن.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله, إلا أنه قال: كانوا يضعون بطريق المدينة بغير شكّ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله, غير أنهقال: كانوا يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة.

19637ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مسْكُونَةٍ هي البيوت التي ليس لها أهل, وهي البيوت التي يكون بالطرق والخَرِبة. فِيها مَتاعٌ منفعة للمسافر في الشتاء والصيف, يأوي إليها.

وقال آخرون: هي بيوت مكة. ذكر من قال ذلك:

19638ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام بن سلم, عن سعيد بن سائق, عن الحجاج بن أرطاة, عن سالم بن محمد ابن الحنفية, في: بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ قال: هي بيوت مكة.

وقال آخرون: هي البيوت الخَرِبة. والمتاع الذي قال الله لكم فيها قضاء الحاجة من الخلاء والبول فيها. ذكر من قال ذلك:

19639ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: سمعت عطاء يقول: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ قال: الخلاء والبول.

19640ـ حدثني محمد بن عُمارة, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا حسن بن عيسى بن زيد, عن أبيه, في هذه الآية: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ قال: التخلّي في الخراب.

وقال آخرون: بل عني بذلك بيوت التجار التي فيها أمتعة الناس. ذكر من قال ذلك:

19641ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فيها مَتاعٌ لَكُمْ قال: بيوت التجار, ليس عليكم جناح أن تدخلوها بغير إذن, الحوانيت التي بالقَيساريات والأسواق. وقرأ: فِيها مَتاعٌ لَكُمْ متاع للناس, ولبني آدم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عمّ بقوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ كلّ بيت لا ساكن به لنا فيه متاع ندخله بغير إذن لأن الإذن إنما يكون ليؤْنَس المأذون عليه قبل الدخول, أو ليأذن للداخل إن كان له مالكا أو كان فيه ساكنا. فأما إن كان لا مالك له, فيحتاج إلى إذنه لدخوله ولا ساكن فيه, فيحتاج الداخل إلى إيناسه والتسليم عليه, لئلا يهجُم على ما لا يحبّ رؤيته منه, فلا معنى للاستئذان فيه. فإذا كان ذلك, فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض, فكلّ بيت لا مالك له ولا ساكن من بين مبنيّ ببعض الطرق للمارّة والسابلة ليأووا إليه, أو بيت خراب قد باد أهله ولا ساكن فيه, حيث كان ذلك, فإن لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان, لمتاع له يؤويه إليه أو للاستمتاع به لقضاء حقه من بول أو غائط أو غير ذلك. وأما بيوت التجار, فإنه ليس لأحد دخولها إلا بإذن أربابها وسكانها.

فإن ظنّ ظانّ أن التاجر إذا فتح دكانه وقعد للناس فقد أذِن لمن أراد الدخول عليه في دخوله, فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظنّ وذلك أنه ليس لأحد دخول ملك غيره بغير ضرورة ألجأته إليه أو بغير سبب أباح له دخوله

إلا بإذن ربه, لا سيـما إذا كان فـيه متاع فإن كان التاجر قد عُرِف منه أن فتـحه حانوته إذن منه لـمن أراد دخوله فـي الدخول, فذلك بعدُ رجع إلـى ما قلنا من أنه لـم يدخـله من دخـله إلا بإذنه. وإذا كان ذلك كذلك, لـم يكن من معنى قوله: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُـلُوا بُـيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِـيها مَتاعٌ لَكُمْ فـي شيء, وذلك أن التـي وضع الله عنا الـجُناح فـي دخولها بغير إذن من البـيوت, هي ما لـم يكن مسكونا, إذ حانوت التاجر لا سبـيـل إلـى دخوله إلا بإذنه وهو مع ذلك مسكون, فتبـين أنه مـما عَنَى الله من هذه الآية بـمعزل.

وقال جماعة من أهل التأويـل: هذه الآية مستثناة من قوله: لا تَدْخُـلُوا بُـيُوتا غيرَ بُـيُوتِكُمْ حتـى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلّـمُوا علـى أهْلِها. ذكر من قال ذلك:

19642ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عبـاس: لا تَدْخُـلُوا بُـيُوتا غيرَ بُـيُوتَكُمْ ثم نسخ واستثنى فقال: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُـلُوا بُـيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِـيها مَتاعٌ لَكُمْ.

19643ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, عن الـحسين, عن يزيد, عن عكرِمة: حتـى تَستأنِسُوا... الآية, فنُسخ من ذلك, واستُثنـي فقال: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُـلُوا بُـيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِـيها مَتاعٌ لَكُمْ. ولـيس فـي قوله: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُـلُوا بُـيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِـيها مَتاعٌ لَكُمْ دلالة علـى أنه استثناء من قوله: لا تَدْخُـلُوا بُـيُوتِكُمْ حتـى تَسْتأنِسُوا لأن قوله: لا تَدْخُـلُوا بُـيُوتا غيرَ بُـيُوتِكُمْ حتـى تَسْتأنِسُوا وَتُسَلّـمُوا عَلـى أهْلِها حكم من الله فـي البـيوت التـي لها سكان وأربـاب. وقوله: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُـلُوا بُـيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِـيها مَتاعٌ لَكُمْ حكم منه فـي البـيوت التـي لا سكان لها ولا أربـاب معروفون, فكل واحد من الـحكمين حكم فـي معنى غير معنى الآخر, وإنـما يستثنى الشيء من الشيء إذا كان من جنسه أو نوعه فـي الفعل أو النفس, فأما إذا لـم يكن كذلك فلا معنى لاستثنائه منه. وقوله: وَاللّهُ يَعْلَـمُ ما تُبْدُونَ يقول تعالـى ذكره: والله يعلـم ما تظهرون أيها الناس بألسنتكم من الاستئذان إذا استأذنتـم علـى أهل البـيوت الـمسكونة, وَما تَكْتُـمُونَ يقول: وما تضمرونه فـي صدوركم عند فعلكم ذلك ما الذي تقصدون به: إطاعة الله والانتهاء إلـى أمره, أم غير ذلك؟

الآية : 30

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قُلْ لّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىَ لَهُمْ إِنّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ للـمؤْمِنـينَ بـالله وبك يا مـحمد يَغُضّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ يقول: يكفوا من نظرهم إلـى ما يشتهون النظر إلـيه مـما قد نهاهم الله عن النظر إلـيه. وَيحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ أن يراها مَنْ لا يحلّ له رؤيتها, بلبس ما يسترها عن أبصارهم. ذلكَ أزْكَى لَهُمْ يقول: فإنّ غضها من النظر عما لا يحلّ النظر إلـيه وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين, أطهر لهم عند الله وأفضل. إنّ اللّهُ خَبِـيرٌ بِـمَا يَصْنَعُونَ يقول: إن الله ذو خبرة بـما تصنعون أيها الناس فـيـما أمركم به من غضّ أبصاركم عما أمركم بـالغضّ عنه وحفظ فروجكم عن إظهارها لـمن نهاكم عن إظهارها له.

وبنـحو ما قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19644ـ حدثني عليّ بن سهل الرّمليّ, قال: حدثنا حجاج, قال: حدثنا أبو جعفر, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية في قوله: قُلْ لِلْمُؤمِنينَ يَغُضّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ وَيحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ قال: كل فرج ذُكِر حفظة في القرآن فهو من الزنا, إلا هذه: وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أبْصَارِهِنّ وَيحْفَظْنَ فُرُوجَهُنّ فإنه يعني الستر.

19645ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أبْصَارِهِنّ وَيحفَظْنَ فُرُوجَهُنّ قال: يغضوا أبصارهم عما يكره الله.

19646ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ قال: يغضّ من بصره: أن ينظر إلى ما لا يحلّ له, إذا رأى ما لا يحلّ له غضّ من بصره, لا ينظر إليه, ولا يستطيع أحد أن يغضّ بصره كله, إنما قال الله: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقُل لّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إِلاّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ عَلَىَ جُيُوبِهِنّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إِلاّ لِبُعُولَتِهِنّ أَوْ آبَآئِهِنّ أَوْ آبَآءِ بُعُولَتِهِنّ أَوْ أَبْنَآئِهِنّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنّ أَوْ إِخْوَانِهِنّ أَوْ بَنِيۤ إِخْوَانِهِنّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنّ أَوْ نِسَآئِهِنّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرّجَالِ أَوِ الطّفْلِ الّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىَ عَوْرَاتِ النّسَآءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنّ وَتُوبُوَاْ إِلَى اللّهِ جَمِيعاً أَيّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَقُلْ يا محمد لِلْمُؤْمِناتِ من أمتك يَغْضُضْنَ مِنْ أبْصَارِهِنّ عما يكره الله النظر إليه مما نهاكم عن النظر إليه وَيحْفَظْنَ فُرُوجَهُنّ يقول: ويحفظن فروجهنّ على أن يراها من لا يحلّ له رؤيتها, بلبس ما يسترها عن أبصارهم.

وقوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ يقول تعالى ذكره: ولا يُظْهرن للناس الذين ليسوا لهنّ بمحرم زينتهنّ, وهما زينتان: إحداهما: ما خفي, وذلك كالخَلْخال والسّوارين والقُرْطَين والقلائد. والأخرى: ما ظهر منها, وذلك مختلف في المعنىّ منه بهذه الآية, فكان بعضهم يقول: زينة الثياب الظاهرة. ذكر من قال ذلك:

19647ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون بن المغيرة, عن الحجاج, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن ابن مسعود, قال: الزينة زينتان: فالظاهرة منها الثياب, وما خفي: الخلخالان والقُرطان والسّواران.

19648ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني الثوريّ, عن أبي إسحاق الهمدانيّ, عن أبي الأحوص, عن عبد الله, أنه قال: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها: قال: هي الثياب.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله, قال: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الثياب.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله, مثله.

قال: حدثنا سفـيان, عن الأعمش, عن مالك بن الـحارث, عن عبد الرحمن بن زيد, عن عبد الله, مثله.
19649ـ قال: حدثنا سفـيان, عن علقمة, عن إبراهيـم, فـي قوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها: قال: الثـياب.
19650ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, قال: أخبرنا بعض أصحابنا إما يونس, إوما غيره عن الـحسن, فـي قوله: إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الثـياب.
حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن أبـي إسحاق, عن أبـي الأحوص, عن عبد الله: إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الثـياب.
قال أبو إسحاق: ألا ترى أنه قال: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ؟.
19651ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: حدثنا مـحمد بن الفضل, عن الأعمش, عن مالك بن الـحارث, عن عبد الرحمن بن زيد, عن ابن مسعود: إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: هو الرداء.
وقال آخرون: الظاهر من الزينة التـي أبـيح لها أن تبديه: الكحل, والـخاتـم, والسواران, والوجه. ذكر من قال ذلك:
19652ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا مروان, قال: حدثنا مسلـم الـمَلائي, عن سعيد بن جُبـير, عن ابن عبـاس: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الكحل والـخاتـم.
19653ـ حدثنا عمرو بن عبد الـحميد الأمُلـيّ, قال: حدثنا مروان, عن مسلـم الـمَلائيّ, عن سعيد بن جُبـير, مثله, ولـم يذكر ابن عبـاس.
19654ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون, عن أبـي عبد الله نهشل, عن الضحاك, عن ابن عبـاس, قال: الظاهر منها: الكحل والـخَدّان.
19655ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفـيان, عن عبد الله بن مسلـم بن هُرْمز, عن سعيد بن جُبـير, فـي قوله: وَلايُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الوجه والكفّ.
حدثنا عمرو بن عبد الـحميد, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن عبد الله بن مسلـم بن هُرمز الـمكيّ, عن سعيد بن جُبـير, مثله.
19656ـ حدثنـي علـيّ بن سهل, قال: حدثنا الولـيد بن مسلـم, قال: حدثنا أبو عمرو, عن عطاء فـي قول الله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الكفّـان والوجه.
19657ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبـي عديّ عن سعيد, عن قَتادة قال: الكحل, والسوران والـخاتـم.
19658ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: والزينة الظاهرة: الوجه, وكُحل العين, وخِضاب الكفّ, والـخاتـم فهذه تظهر فـي بـيتها لـمن دخـل من الناس علـيها.
19659ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الـمسكتان والـخاتـم والكحل.
قال قتادة: وبلغنـي أن النبـيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحِلّ لاِمْرأةٍ تُؤْمِنُ بـاللّهِ والـيَوْمِ الآخِرِ أنْ تُـخْرِجَ يَدَها إلاّ إلـى هَا هُنا». وقبض نصف الذراع.

19660ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ, عن رجل, عن الـمِسْورَ بن مخرمة, فـي قوله: إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: القلبـين, والـخاتـم, والكحل: يعنـي السوار.
19661ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عبـاس, قوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الـخاتـم والـمَسَكة. قال ابن جُرَيج, وقالت عائشة: القُلْب والفَتْـخَة, قالت عائشة: دخـلت علـيّ ابنة أخي لأمي عبد الله بن الطفـيـل مزيّنة, فدخـل النبـيّ صلى الله عليه وسلم, فأعرض, فقالت عائشة: يا رسول الله إنها ابنة أخي وجارية. فقال: «إذا عَرَكَت الـمرأة لـم يحلّ لها أن تظهر إلا وَجْهها, وإلاّ ما دون هذا», وقبض علـى ذراع نفسه, فترك بـين قبضته وبـين الكفّ مثل قبضة أخرى. وأشار به أبو علـي قال ابن جُرَيج, وقال مـجاهد: قوله: إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الكحل والـخضاب والـخاتـم.
19662ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عاصم, عن عامر: إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الكحل, والـخضاب, والثـياب.
19663ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها من الزينة: الكحل, والـخضاب والـخاتـم هكذا كانوا يقولون وهذا يراه الناس.
19664ـ حدثنـي ابن عبد الرحيـم البرقـي, قال: حدثنا عمر بن أبـي سلـمة, قال: سئل الأوزاعي عن: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الكفّـين والوجه.
19665ـ حدثنا عمرو بن بندق, قال: حدثنا مروان, عن جُويبر, عن الضحاك فـي قوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ قال: الكفّ والوجه.
وقال آخرون: عَنَى به الوجه والثـياب. ذكر من قال ذلك:
19666ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا الـمعتـمر, قال: قال يونس: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال الـحسن: الوجه والثـياب.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبـي عديّ, وعبد الأعلـى, عن سعيد, عن قَتادة, عن الـحسن, فـي قوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الوجه والثـياب.
وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب: قول من قال: عُنِـي بذلك الوجهُ والكفـان, يدخـل فـي ذلك إذا كان كذلك: الكحل, والـخاتـم, والسّوار, والـخِضاب.
وإنـما قلنا ذلك أولـى الأقوال فـي ذلك بـالتأويـل, لإجماع الـجميع علـى أن علـى كلّ مصلّ أن يستر عورته فـي صلاته, وأن الـمرأة أن تكشف وجهها وكفـيها فـي صلاتها, وأن علـيها أن تستر ما عدا ذلك من بدنها إلا ما رُوي عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم أنه أبـاح لها أن تبديَه من ذراعها إلـى قدر النصف. فإذ كان ذلك من جميعهم إجماعا, كان معلوما بذلك أن لها أن تبدي من بدنها ما لـم يكن عورة كما ذلك للرجال لأن ما لـم يكن عورة فغير حرام إظهاره. وإذا كان لها إظهار ذلك, كان معلوما أنه مـما استثناه الله تعالـى ذكره بقوله: إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها, لأن كل ذلك ظاهر منها.
وقوله: وَلْـيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ علـى جُيُوبِهِنّ يقول تعالـى ذكره: ولـيـلقـين خُمُرَهِنّ, وهي جمع خمار, علـى جيوبهنّ, لـيسترن بذلك شعورهنّ وأعناقهن وقُرْطَهُنّ.

19667ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا زيد بن حباب, عن إبراهيم بن نافع, قال: حدثنا الحسن بن مسلم بن يناق, عن صفية بنت شيبة, عن عائشة, قالت: لما نزلت هذه الآية: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ على جُيوبِهِنّ قال: شققن البُرْدَ مما يلي الحواشي, فاختمرن به.

19668ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, أن قرة بن عبد الرحمن, أخبره, عن ابن شهاب, عن عروة, عن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم أنها قالت: يرحم الله النساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرُهِنّ على جُيُوبِهِنّ شققن أكثف مروطهنّ, فاختمرن به.

وقوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنّ يقول تعالى ذكره: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ التي هي غير ظاهرة بل الخفية منها, وذلك الخَلخال والقُرط والدَّمْلُج, وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب, وما وراء ما أبيح لها كشفه وإبرازه في الصلاة وللأجنبيين من الناس, والذراعين إلى فوق ذلك, إلاّ لبعولتهنّ.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.) ذكر من قال ذلك:

19669ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن طلحة بن مُصَرّف, عن إبراهيم: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنّ أوْ آبائِهِنّ قال: هذه ما فوق الذراع.

19670ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, قال: سمعت رجلاً يحدّث عن طلحة, عن إبراهيم, قال في هذه الآية: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنّ أوْ آبائِهِنّ أو آباء بُعُولَتِهِنّ قال: ما فوق الجيب. قال شعبة: كتب به منصور إليّ, وقرأته عليه.

19671ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن سعيد بن أبي عروبة, عن قَتادة, في قوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنّ قال: تبدي لهؤلاء الرأس.

19672ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنّ... إلى قوله: عَوْرَاتِ النّساءِ قال: الزينة التي يبدينها لهؤلاء: قرطاها وقلادتها وسِوارها, فأما خلخالاها ومِعْضدَاها ونحرها وشعرها فإنه لا تبديه إلا لزوجها.

19673ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جُرَيج, قال ابن مسعود, في قوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنّ قال: الطوق والقُرْطين, يقول الله تعالى ذكره: قل للمؤمنات الحرائر لا يظهرن هذه الزينة الخفية التي ليست بالظاهرة إلا لبعولتهنّ, وهم أزواجهن, واحدهم: بعل, أو لآبائهنّ, أو لأبناء بعولتهن, أو لإخوانهن, أو لبني إخوانهن.

ويعني بقوله: أوْ لإخْوَانِهِنّ أو لإخْوَاتِهِنّ, أو لبني إخوانهن, أو بني أخواتهن, أو نسائهم. قيل: عُني بذلك نساء المسلمين. ذكر من قال ذلك:

19674ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: أوْ نِسائِهِنّ قال: بلغني أنهنّ نساء المسلمين, لا يحلّ لمسلمة أن ترى مشركة عُرْيتها إلا أن تكون أمة لها, فذلك قوله: أوْ ما مَلَكَتْ أيمانُهُنّ.

19675ـ قال: ثنـي الـحسين, قال: ثنـي عيسى بن يونس, عن هشام بن الغازي, عن عبـادة بن نسيّ, أنه كره أن تقبل النصرانـية الـمسلـمة, أو ترى عَوْرتها, ويتأوّل: أو نسائهنّ.
19676ـ قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن هشام, عن عبـادة, قال: كتب عمر بن الـخطاب إلـى أبـي عُبـيدة بن الـجرّاح رحمة الله علـيهما: أما بعد, فقد بلغنـي أن نساء يدخـلن الـحمامات ومعهنّ نساء أهل الكتاب, فـامنع ذلك وْحُلْ دونه قال: ثم إن أبـا عُبـيدة قام فـي ذلك الـمقام مبتهلاً: اللهمّ أيـما امرأة تدخـل الـحمام من غير علة ولا سقم تريد البـياض لوجهها, فسوّد وجهها يوم تبـيضّ الوجوه.
وقوله: أوْ ما مَلَكَتْ أيـمانُهُنّ اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل ذلك, فقال بعضهم: أو مـمالـيكهنّ, فإنه لا بأس علـيها أن تظهر لهم من زينتها ما تظهره لهؤلاء. ذكر من قال ذلك:
19677ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرنـي عمرو بن دينار, عن مخـلد التـميـميّ, أنه قال, فـي قوله: أوْ ما مَلَكَتْ أيـمْانُهُنّ قال: فـي القراءة الأولـى: «أيـمانكم».
وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو ما ملكت أيـمانهنّ من إماء الـمشركين, كما قد ذكرنا عن ابن جُرَيج قبل من أنه لـما قال: أوْ نِسائهنّ عَنَى بهنّ النساء الـمسلـمات دون الـمشركات, ثم قال: أو ما ملكت أيـمانهنّ من الإماء الـمشركات.
يقول تعالـى ذكره: والذين يَتْبَعونكم لطعام يأكلونه عندكم, مـمن لا أرب له فـي النساء من الرجال, ولا حاجة إلـيهنّ, ولا يريدهنّ.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
19678ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: أوِ التّابِعِينَ غيرِ أُولـى الإرْبَةِ مِنَ الرّجالِ قال: كان الرجل يتبع الرجل فـي الزمان الأوّل لا يغار علـيه ولا ترهب الـمرأة أن تضع خمارها عنده, وهو الأحمق الذي لا حاجة له فـي النساء.
19679ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: أوِ التّابِعِينَ غيرِ أُولـى الإرْبَةِ مِنَ الرّجالِ فهذا الرجل يتبع القوم, وهو مُغَفّل فـي عقله, لا يكترث للنساء ولا يشتهيهنّ, فـالزينة التـي تبديها لهؤلاء: قرطاها وقلادتها وسِواراها وأما خَـلْخالاها ومِعْضداها ونـحرها وشعرها, فإنها لا تبديه إلا لزوجها.
19680ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, فـي قوله: أوِ التّابِعِينَ قال: هو التابع يتبعك يصيب من طعامك.
19681ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إسماعيـل بن عُلَـيّة, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: أوِ التّابِعِينَ غيرِ أُولـى الإرْبَةِ مِنَ الرّجالِ قال: الذي يريد الطعام ولا يريد النساء.
قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن

أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: أوِ التّابِعِينَ غيرِ أُولـى الإرْبَةِ مِنَ الرّجالِ الذين لا يهمهم إلا بطونهم, ولا يُخافون علـى النساء.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.
19682ـ حدثنا إسماعيـل بن موسى السّديّ, قال: حدثنا شريك, عن منصور, عن مـجاهد, فـي قوله: غيرِ أُولـى الإرْبَةِ قال: الأبْلَه.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت لـيثا, عن مـجاهد, قوله: غيرِ أُولـي الإرْبَةِ قال: هو الأبلَه, الذي لا يعرف شيئا من النساء.
حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَـية, قال: حدثنا ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: غيرِ أُولـى الإرْبَةِ مِنَ الرّجالِ الذي لا أرب له بـالنساء مثل فلان.
19683ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن عطية, قال: حدثنا إسرائيـل, عن أبـي إسحاق عمن حدثه, عن ابن عبـاس: غير أُولـى الإرْبَةِ قال: هو الذي لا تستـحي منه النساء.
19684ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مُغَيرة, عن الشعبـيّ: غيرِ أُولـى الإرْبَةِ قال: من تَبَع الرجل وحشمه الذي لـم يبلغ أرَبه أن يطلع علـى عَورة النساء.
19685ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن شعبة, عن الـمغيرة, عن الشعبـيّ: غيرِ أُولـى الإرْبَةِ قال: الذي لا أرب له فـي النساء.
19686ـ قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا حماد بن سَلَـمة, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبـير, قال: الـمعتوه.
19687ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن الزهريّ فـي قوله: أوِ التّابِعِينَ غَيرِ أُولـى الإرْبَةِ مِنَ الرّجالِ قال: هو الأحمق, الذي لا همّة له بـالنساء ولا أرب.
19688ـ وبه عن معمر, عن ابن طاوس, عن أبـيه, فـي قوله: غيرِ أُولـى الإرْبَةِ مِنَ الرّجالِ يقول: الأحمق, الذي لـيست له همة فـي النساء.
19689ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عبـاس: الذي لا حاجة له فـي النساء.
19690ـ حدثنـي يونس, اقل: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: أوَ التّابِعِينَ غيرِ أُولـى الإرْبَةِ مِنَ الرجالِ قال: هو الذي يَتْبَع القوم, حتـى كأنه كان منهم ونشأ فـيهم, ولـيس يتبعهم لإربة نسائهم, ولـيس له فـي نسائهم إربة, وإنـما يتبعهم لإرفـاقهم إياه.
19691ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ, عن عروة, عن عائشة قالت: كان رجل يدخـل علـى أزواج النبـيّ صلى الله عليه وسلم مُخَنّث, فكانوا يعدّونه من غير أولـي الإربة, فدخـل علـيه النبـيّ صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة, فقال: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع, وإذا أدبرت أدبرت بثمان. فقال النبـيّ صلى الله عليه وسلم: «لا أرَى هَذَا يَعْلَـمُ ما هَا هُنا, لا يَدْخُـلَنّ هَذَا عَلَـيْكُمْ»فحَجَبُوه.
19692ـ حدثنـي سعد بن عبد الله بن عبد الـحكَم الـمِصريّ, قال: حدثنا حفص بن عمر العَدَنـيّ, قال: حدثنا الـحكم ابن أبـان, عن عكرمة فـي قوله: أوِ التّابِعِينَ غيرِ أُولـى الإرْبَةِ قال: هو الـمُخَنّث الذي لا يقوم زُبّه.

واختلف القرّاء فـي قوله: غير أُولـي الإرْبَةِ فقرأ ذلك بعض أهل الشام وبعض أهل الـمدينة والكوفة: «غيرَ أولـى الإرْبَةِ» بنصب «غير» ولنصب «غير» ها هنا وجهان: أحدهما علـى القطع من «التابعين», لأن «التابعين» معرفة وغير نكرة, والآخر علـى الاستثناء, وتوجيه «غير» إلـى معنى «إلا», فكأنه قـيـل: إلاّ. وقرأ غير من ذكرت بخفض غَيرِ علـى أنها نعت للتابعين, وجاز نعت «التابعين» ب«غير» و«التابعون» معرفة وغيرُ نكرة, لأن «التابعين» معرفة غير مؤقتة. فتأويـل الكلام علـى هذه القراءة: أو الذين هذه صفتهم.

والقول فـي ذلك عندي أنهما قراءتان متقاربتا الـمعنى مستفـيضةٌ القراءة بهما فـي الأمصار, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, غير أن الـخفض فـي «غِير» أقوى فـي العربـية, فـالقراءة به أعجب إلـيّ. والإربة: الفِعْلة من الأَرَب, الـمثل الـجِلسة من الـجُلوس, والـمِشية من الـمَشْي, وهي الـحاجة يقال: لا أرب لـي فِـيك: لا حاجة لـي فـيك وكذا أَرِبْتُ لكذا وكذا: إذا احتـجت إلـيه, فأنا آرب له أَرَبـا. فأما الأُرْبة, بضم الألف: فَـالعُقْدة.

وقوله: أو الطّفْلِ الّذِينَ لَـمْ يَظْهَرُوا علـى عَوْرَاتِ النّساءِ يقول تعالـى ذكره: أو الطفل الذين لـم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهنّ فـيظهروا علـيهن لصغرهنّ.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19693ـ حدثنـي مـحمد, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: علـى عَوْرَاتِ النّساءِ قال: لـم يَدْروا ما ثَمّ, من الصّغَر قبل الـحُلُـم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.

وقوله: ولا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنّ لِـيُعْلَـمَ ما يُخْفِـينَ مِنْ زِينَتِهِنّ يقول تعالـى ذكره: ولا يجعلن فـي أرجلَهنّ من الـحُلِـيّ ما إذا مَشَيْن أو حرّكنهنّ علـم الناس الذين مشين بـينهم ما يخفـين من ذلك.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19694ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا الـمعتـمر, عن أبـيه, قال: زعم حَضْرِميّ أن امرأة اتـخذت بُرَتَـيْن من فضة, واتـخذت جَزْعا, فمرّت علـى قوم, فضربت برجلها, فوقع الـخـلـخال علـى الـجَزْع, فصوّت فأنزل الله: وَلا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنّ لِـيُعْلَـمَ ما يُخْفِـينَ مِنْ زِينَتِهِنّ.

19695ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن السديّ, عن أبـي مالك: وَلا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنّ لِـيُعْلَـمَ ما يُخْفِـينَ مِنْ زِينَتِهِنّ قال: كان فـي أرجلهم خَرَز, فكنّ إذا مرّرن بـالـمجالس حرّكن أرجلَهنّ لـيعلـم ما يُخْفـين من زينتهنّ.

19696ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس: وَلا يَضْرِبنَ بأرْجُلِهِنّ فهو أن تَقَرَع الـخَـلْـخال بـالآخر عند الرجال, ويكون فـي رجلَـيها خلاخـل فتـحرّكهنّ عند الرجال, فنهى الله سبحانه وتعالـى عن ذلك لأنه من عمل الشيطان.

19697ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: وَلا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنّ لِـيُعْلَـمَ ما يُخْفِـينَ مِنْ زِينَتِهِنّ قال: هو الـخَـلْـخال, لا تضرب امرأة برجلها لـيسمع صوت خَـلْـخالها.
19698ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَلا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنّ لِـيُعْلَـمَ ما يُخْفِـينَ مِنْ زِينَتِهِنّ قال: الأجراس من حُلِـيهّنّ يجعلنها فـي أرجلهنّ فـي مكان الـخلاخـل, فنهاهنّ الله أن يضربن بأرجلهنّ لتسمع تلك الأجراس.
وقوله: وَتُوبُوا إلـى الله جَمِيعا أيّها الـمُؤْمِنُونَ يقول تعالـى ذكره: وارجعوا أيها الـمؤمنون إلـى طاعة الله فـيـما أمركم ونهاكم, من غَضّ البَصر وحفظ الفرج وتَرْك دخول بـيوت غير بـيوتكم من غير استئذان ولا تسلـيـم, وغير ذلك من أمره ونهيه. لَعَّلَكُمْ تُفْلِـحُونَ يقول: لتفلـحوا وتدركوا طَلِبـاتكم لديه, إذا أنتـم أطعتـموه فـيـما أمركم ونهاكم.

الآية : 32

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَأَنْكِحُواْ الأيَامَىَ مِنْكُمْ وَالصّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمائِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }.
يقول تعالـى ذكره: وزوّجوا أيها الـمؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم, ومن أهل الصلاح من عبـيدكم ومـمالـيككم. والأيامَى: جمع أيّـم, وإنـما جمع أيامَى لأنها فعيـلة فـي الـمعنى, فجُمعت كذلك كما جمعت الـيتـيـمة: يتامَى ومنه قول جميـل:
أُحِبّ الأيامَى إذْ بُثَـيْنَةُ أيّـمُوأحْبَبْتُ لَـمّا أنْ غَنِـيتِ الغَوَانِـيا
ولو جمعت أيائم كان صوابـا. والأيّـم يوصف به الذكر والأنثى, يقال: رجل أيّـم, وامرأة أيّـم وأيّـمة: إذا لـم يكن لها زوج ومنه قول الشاعر:
فإنْ تَنْكِحي أنْكِحْ وَإنْ تَتأيّـمِيوإنْ كُنْتُ أفْتَـى منكمُ أتَأيّـمِ
إنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يقول: إن يكن هؤلاء الذين تنكحونهم من أيامَى رجالكم ونسائكم وعبـيدكم وإمائكم أهلَ فـاقة وفقر, فإن الله يغنـيهم من فضله, فلا يـمنعنكم فقرهم من إنكاحهم.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
19699ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وأنْكِحُوا الأيامَى مِنْكُمْ وَالصّالِـحِينَ مِنْ عِبـادِكُمْ وَإمائِكُمْ قال: أمر الله سبحانه بـالنكاح, ورغّبهم فـيه وأمرهم أن يزوّجوا أحرارَهم وعبـيدَهم, ووعدهم فـي ذلك الغنى, فقال: إنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ.
19700ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا حسن أبو الـحسن وكان إسماعيـل بن صُبـيح مَوْلـى هذا قال: سمعت القاسم بن الوليـد, عن عبد الله بن مسعود, قال: التـمسوا الغنى فـي النكاح, يقول الله: إنْ يَكُونُوا فُقَرَاءُ يُغْنِهِمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ.
19701ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وأنْكِحُوا الأيامَى مِنكُمْ قال: أيامى النساء: اللاتـي لـيس لهنّ أزواج.
وقوله: وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِـيـمٌ يقول جلّ ثناؤه: والله واسع الفضل جواد بعطاياه, فزوجوا إماءكم, فإن الله واسع يوسع علـيهم من فضله إن كانوا فقراء. عَلِـيـمٌ يقول: هو ذو علـم بـالفقـير منهم والغنـيّ, لا يخفـى علـيه حال خـلقه فـي شيء وتدبـيرهم.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتّىَ يُغْنِيَهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَالّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مّن مّالِ اللّهِ الّذِيَ آتَاكُمْ وَلاَ تُكْرِهُواْ فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصّناً لّتَبْتَغُواْ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَمَن يُكْرِههُنّ فَإِنّ اللّهِ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنّ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ولـيَسْتَعْفِف الّذِينَ لا يَجِدُون ما ينكحون به النساء عن إتيان ما حرّم الله عليهم من الفواحش, حَتّى يُغْنِيَهُمُ اللّهُ مِنْ سعة فَضْلِهِ, ويوسّع عليهم من رزقه.

وقوله: وَالّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتابَ مِمّا مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ يقول جلّ ثناؤه: والذين يلتمسون المكاتبة منكم من مماليككم, فكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا.

واختلف أهل العلم في وجه مكاتبة الرجل عبده الذي قد علم فيه خيرا, وهل قوله: فَكاتِبُوهُم إنْ عَلِمْتُمْ فيهِمْ خَيْرا على وجه الفرض أم هو على وجه الندب؟ فقال بعضهم: فرض على الرجل أن يكاتب عبده الذي قد علم فيه خيرا إذا سأله العبد ذلك. ذكر من قال ذلك:

19702ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن جُرَيج, قال: قلت لعطاء: أواجب عليّ إذا علمت مالاً أن أكاتبه؟ قال: ما أراه إلاّ واجبا. وقالها عمرو بن دينار, قال: قلت لعطاء: أتأثِرُه عن أحد؟ قال: لا.

19703ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن بكر, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, عن أنس بن مالك, أن سيرين, أراد أن يكاتبه فتلكّأ عليه, فقال له عمر: لتكاتبنه

19704ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: لا ينبغي لرجل إذا كان عنده المملوك الصالح الذي له المال يريد إن يكاتب ألاّ يكاتبه.

وقال آخرون: ذلك غير واجب على السيد, وإنما قوله: فَكاتِبُوهُمْ: نَدْب من الله سادَة العبيد إلى كتابة من علم فيه منهم خير, لا إيجاب. ذكر من قال ذلك:

19705ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال مالك بن أنس: الأمر عندنا أن ليس على سيد العبد أن يكاتبه إذا سأله ذلك, ولم أسمع بأحد من الأئمة أكره أحدا على أن يكاتب عبده. وقد سمعت بعض أهل العلم إذا سُئل عن ذلك فقيل له: إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا يتلو هاتين الآيتين: فإذَا حَلَلْتُمْ فاصْطادُوا فإذَا قُضِيَتِ الصّلاةُ فانْتَشِرُوا في الأرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ قال مالك: فإنما ذلك أمر أذِن الله فيه للناس, وليس بواجب على الناس ولا يلزم أحدا. وقال الثوريّ: إذا أراد العبد من سيده أن يكاتبه, فإن شاء السيد أن يكاتبه كاتبه, ولا يُجْبر السيد على ذلك.

19706ـ حدثني بذلك عليّ عن زيد عنه وحدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا قال: ليس بواجب عليه أن يكاتبه, إنما هذا أمر أذن الله فيه ودليل.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: واجب على سيد العبد أن يكاتبه إذا علم فيه خيرا وسأله العبد الكتابة وذلك أن ظاهر قوله:

فَكاتِبُوهُمْ ظاهر أمر, وأمر الله فرضٌ الانتهاء إليه, ما لم يكن دليلٌ من كتاب أو سنة على أنه ندب, لما قد بيّنا من العلة في كتابنا المسمى «البيان عن أصول الأحكام».

وأما الخير الذي أمر الله تعالى ذكره عباده بكتابة عبيدهم إذا علموه فيهم, فهو القُدْرة على الاحتراف والكسب لأداء ما كوتبوا عليه. ذكر من قال ذلك:

19707ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الكريم الجزري, عن نافع, عن ابن عمر: أنه كره أن يكاتِب مملوكه إذا لم تكن له حرفة, قال: تطعمني أوساخ الناس.

19708ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَكاتِبوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهمْ خَيْرا يقول: إن علمتم لهم حيلة, ولا تلقوا مُؤْنتهم على المسلمين.

19709ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا أشهب, قال: سئل مالك بن أنس, عن قوله: فكاتبوهم إن علمتم فيه خيرا فقال: إنه ليقال: الخير القوة على الأداء.

19710ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني ابن زيد, عن أبيه, قول الله: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهمْ خَيْرا قال: الخير: القوة على ذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن علمتم فيهم صدقا ووفاء وأداء. ذكر من قال ذلك:

19711ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا يونس, عن الحسن, في قوله: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهمْ خَيْرا قال: صدقا ووفاء وأداء وأمانة.

19712ـ قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا عبد الله, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وطاوس, أنهما قالا في قوله: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهمْ خَيْرا قالا: مالاً وأمانة.

19713ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح: فكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهمْ خَيْرا قال: أداء وأمانة.

19714ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن المغيرة, قال: كان إبراهيم يقول في هذه الآية: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهمْ خَيْرا قال: صدقا ووفاء, أو أحدهما.

19715ـ حدثنا أبو بكر, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت عبد الملك بن أبي سليمان, عن عطاء, في قوله: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا قال: أداء ومالاً.

19716ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن جُرَيج, قال: قال عمرو بن دينار: أحسبه كل ذلك المال والصلاح.

19717ـ حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا زيد, قال: حدثنا سفيان: إنْ عَلِمْتُمْ فِيهم خَيْرا يعني: صدقا ووفاء وأمانة.

19718ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنْ عَلِمْتُمْ فِيهمْ خَيْرا, قال: إن علمت فيه خيرا لنفسك, يؤدّي إليك ويصدّقك ما حدثك, فكاتبه.

وقال آخرون بل معنى ذلك: إن علـمتـم لهم مالاً.
19719ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, فـي قوله: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِـمْتُـمْ فِـيهِمْ خَيْرا يقول: إن علـمتـم لهم مالاً.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عبـاس: إنْ عَلِـمْتُـمْ فِـيهِمْ خَيْرا قال: مالاً.
19720ـ حدثنا ابن بشار وابن الـمثنى, قالا: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا شعبة, عن الـحكم, عن مـجاهد: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِـمْتُـمْ فِـيهِمْ خَيْرا قال: مالاً.
حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الـحكم, عن مـجاهد, مثله.
حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله: إنْ عَلِـمْتُـمْ فِـيهِمْ خَيْرا قال: لهم مالاً, فكاتبوهم.
حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
19721ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِـمْتُـمْ فِـيهِمْ خَيْرا قال: إن علـمتـم لهم مالاً, كائنة أخلاقهم وأديانهم ما كانت.
19722ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, عن زَاذان, عن عطاء بن أبـي رَبـاح: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِـمْتُـمْ فِـيهِمْ خَيْرا قال: مالاً.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن مـجاهد, قال: إن علـمتـم عندهم مالاً.
19723ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنـي مـحمد بن عمرو الـيافعيّ, عن ابن جُرَيج, أن عطاء بن أبـي رَبـاح, كان يقول: ما نراه إلاّ الـمال, يعنـي قوله: إنْ عَلِـمْتُـمْ فِـيهِمْ خَيْرا قال: ثم تلا: كُتِبَ عَلَـيْكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ الـمَوْتُ إنْ تَرَكَ خَيْرا.
وأولـى هذه الأقوال فـي معنى ذلك عندي قول من قال: معناه: فكاتبوهم إن علـمتـم فـيهم قوّة علـى الاحتراف والاكتساب ووفـاء بـما أوجب علـى نفسه وألزمها وصدق لهجة. وذلك أن هذه الـمعانـي هي الأسبـاب التـي بـمولـى العبد الـحاجةُ إلـيها إذا كاتب عبده مـما يكون فـي العبد فأما الـمال وإن كان من الـخير, فإنه لا يكون فـي العبد وإنـما يكون عنده أو له لا فـيه, والله إنـما أوجب علـينا مكاتبة العبد إذا علـمنا فـيه خيرا لا إذا علـمنا عنده أو له, فلذلك لـم نقل: إن الـخير فـي هذا الـموضع معنـيّ به الـمال.
وقوله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ يقول تعالـى ذكره: وأعطُوهم من مال الله الذي أعطاكم.
ثم اختلف أهل التأويـل فـي الـمأمور بإعطائه من مال الله الذي أعطاه مَنْ هو؟ وفـي الـمال أيّ الأموال هو؟ فقال بعضهم: الذي أمر الله بإعطاء الـمكاتب من مال الله هو مولَـى العبد الـمكاتَب, ومال الله الذي أُمر بإعطائه منه هو مال الكِتابة, والقدر الذي أمر أن يعطيه منه الربع.
وقال آخرون: بل ما شاء من ذلك الـمولـى. ذكر من قال ذلك:

19724ـ حدثني عمرو بن عليّ, قال: حدثنا عمران بن عيينة, قال: حدثنا عطاء بن السائب, عن أبي عبد الرحمن السّلَمِيّ, عن عليّ في قول الله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ قال: ربع المكاتبة.
حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي, عن عطاء بن السائب, عن أبي عبد الرحمن السّلَميّ, عن عليّ, في قوله الله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ قال: ربع الكتابة يحطّها عنه.
حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَيَة, عن ليث, عن عبد الأعلى, عن أبي عبد الرحمن, عن عليّ رضي الله عنه, في قول الله: وآتوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ قال: الربع من أوّل نجومه.
قال: أخبرنا ابن عُلَية, قال: عطاء بن السائب, عن أبي عبد الرحمن السّلَميّ, عن عليّ, في قوله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ قال: الربع من مكاتبته.
19725ـ حدثنا محمد بن إسماعيل الأَحمسيّ, قال: حدثنا محمد بن عبيد, قال: ثني عبد الملك بن أبي سليمان, عن عبد الملك بن أعين, قال: كاتب أبو عبد الرحمن غلاما في أربعة آلاف درهم, ثم وضع له الربع, ثم قال: لولا أني رأيت عليّا رضوان الله عليه كاتب غلاما له ثم وضع له الربع, ما وضعت لك شيئا.
19726ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن عبد الأعلى, عن أبي عبد الرحمن السّلَمي: أنه كاتب غلاما له على ألف ومِئتين, فترك الربع وأشهدني, فقال لي: كان صديقك يفعل هذا, يعني عليّا رضوان الله عليه, يتأوّل: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ.
19727ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الملك, قال: ثني فضالة بن أبي أمية, عن أبيه, قال: كاتبني عمر بن الخطاب رضي الله عنه, فاستقرض لي من حَفْصة مِئَتَي درهم. قلت: ألا تجعلها في مكاتبتي؟ قال: إني لا أدري أدرك ذاك أم لا.
19728ـ قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, بلغني أنه كاتبه على مِئَة أوقية: قال: حدثنا سفيان, عن عبد الملك, قال: ذكرت ذلك لعكرِمة, فقال: هو قول الله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ.
19729ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قول الله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ يقول: ضعوا عنهم من مكاتبتهم.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ يقول: ضعوا عنهم مما قاطعتموهم عليه.
19730ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت عبد الملك بن أبي سليمان, عن عطاء, في قوله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ قال: مما أخرج الله لكم منهم.
19731ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن ليث, عن مجاهد: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ قال: آتِهم مما في يديك.
19732ـ حدثني الحسين بن عمرو العنقزي, قال: ثني أبي, عن أسباط, عن السديّ, عن أبيه, قال: كاتبْتُني زينب بنت قيس بن مَخْرمة

من بنـي الـمطلب بن عبد مناف علـى عشرة آلاف, فتركت لـي ألفـا وكانت زينب قد صلّت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتـين جميعا.
19733ـ حدثنا مـجاهد بن موسى, قال: حدثنا يزيد, قال: أخبرنا ابن مسعود الـجريريّ, عن أبـي نَضْرة, عن أبـي سعيد, مولـى أبـي أسِيد, قال: كاتبنـي أبو أسِيد, علـى ثنتـي عشرة مئة, فجئته بها, فأخذ منها ألفـا وردّ علـيّ مِئتـين.
19734ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون بن الـمغيرة, عن عنبسة, عن سالـم الأفطس, عن سعيد بن جبـير, قال: كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لـم يضع عنه شيئا من أوّل نـجومه مخافة أن يعجِز فترجع إلـيه صدقته, ولكنه إذا كان فـي آخر مكاتبته وضع عنه ما أحبّ.
19735ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنـي مَخْرَمة, عن أبـيه, عن نافع, قال: كاتب عبد الله بن عمر غلاما له يقال له شرف علـى خمسة وثلاثـين ألف درهم, فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف. ولـم يذكر نافع أنه أعطاه شيئا غير الذي وضع له.
19736ـ قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال مالك: سمعت بعض أهل العلـم يقول: إن ذلك أن يكاتب الرجل غلامه, ثم يضع عنه من آخر كتابته شيئا مسمّى. قال مالك: وذلك أحسن ما سمعت, وعلـى ذلك أهل العلـم وعملُ الناس عندنا.
19737ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا زيد, قال: حدثنا سفـيان: أحبّ إلـيّ أن يعطيه الربع أو أقلّ منه شيئا, ولـيس بواجب وأن يفعل ذلك حسن.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن عبد الله بن حبـيب أبـي عبد الرحمن السّلَـميّ, عن علـيّ رضي الله عنه: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ قال: هو ربع الـمكاتبة.
وقال آخرون: بل ذلك حضّ من الله أهل الأموال علـى أن يعطوهم سهمهم الذي جعله لهم من الصدقات الـمفروضة لهم فـي أموالهم بقوله: إنّـمَا الصّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالـمَساكِينِ والعامِلِـينَ عَلَـيْها والـمُؤَلّفَةِ قُلُوبُهمْ وفِـي الرّقابِ قال: فـالرّقاب التـي جعل فـيها أحد سُهْمان الصدقة الثمانـية هم الـمكاتَبون, قال: وإياه عنى جلّ ثناؤه بقوله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ: أي سَهمْهم من الصدقة. ذكر من قال ذلك:
19738ـ حدثنا ابن حميد, قال: ثنـي يحيى بن واضح, قال: حدثنا الـحسين, عن ابن زيد, عن أبـيه, قوله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ قال: يحثّ الله علـيه, يُعْطَوْنه.
19739ـ حدثنـي يعقوب, قال: ثنـي ابن عُلَـية, قال: أخبرنا يونس, عن الـحسن: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ قال: حثّ الناسَ علـيه مولاه وغيره.
19740ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن حماد, عن إبراهيـم, فـي قوله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ قال: يعطِي مكاتَبَه وغيره, حَثّ الناس علـيه.
19741ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هُشيـم, عن مغيرة, عن إبراهيـم أنه قال فـي قوله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ قال: أمر مولاه والناس جميعا أن يعينوه.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد, قال: حدثنا شعبة, عن مغيرة, عن إبراهيـم: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ قال: أمر الـمسلـمين أن يُعْطُوهم مـما آتاهم الله.

19742ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثنـي ابن زيد, عن أبـيه: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ قال: ذلك فـي الزكاة علـى الوُلاة يعطونهم من الزكاة, يقول الله: وفـي الرّقاب.

19743ـ قال: ثنـي ابن زيد, عن أبـيه: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ قال: الفَـيْء والصدقات. وقرأ قول الله: إنّـمَا الصّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَالـمَساكِين, وقرأ حتـى بلغ: وفِـي الرّقابِ فأمر الله أن يوفوها منه, فلـيس ذلك من الكتابة. قال: وكان أبـي يقول: مـاله وللكتابة هو من مال الله الذي فَرَض له فـيه نصيبـا.

وأولـى القولـين بـالصواب فـي ذلك عندي القول الثانـي, وهو قول من قال: عَنَى به إيتاءَهم سهمهم من الصدقة الـمفروضة.

وإنـما قلنا ذلك أولـى القولـين لأن قوله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الّذِي آتاكُمْ أمر من الله تعالـى ذكره بإيتاء الـمكاتَبِـين من ماله الذي آتـى أهل الأموال, وأمر الله فرض علـى عبـاده الانتهاءُ إلـيه, ما لـم يخبرهم أن مراده النذْب, لـما قد بـيّنا فـي غير موضع من كتابنا. فإذ كان ذلك كذلك, ولـم يكن أخبرنا فـي كتابه ولا علـى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنه نَدْب, ففرض واجب. وإذ كان ذلك كذلك, وكانت الـحجة قد قامت أن لا حقّ لأحد فـي مال أحد غيره من الـمسلـمين إلاّ ما أوجبه الله لأهل سُهمان الصدقة فـي أموال الأغنـياء منهم, وكانت الكتابة التـي يقتضيها سيد الـمكاتَب من مكاتَبِه مالاً من مال سيد الـمكاتَب فـيفـاد أن الـحقّ الذي أوجب الله له علـى الـمؤمنـين أن يؤتوه من أموالهم هو ما فُرِض علـى الأغنـياء فـي أموالهم له من الصدقة الـمفروضة, إذ كان لا حقّ فـي أموالهم لأحد سواها.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: وَلْيَسْتَعْفِفِ الّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتّىَ يُغْنِيَهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَالّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مّن مّالِ اللّهِ الّذِيَ آتَاكُمْ وَلاَ تُكْرِهُواْ فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصّناً لّتَبْتَغُواْ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَمَن يُكْرِههُنّ فَإِنّ اللّهِ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنّ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره: زَوّجوا الصالـحين من عبـادكم وإمائكم ولا تُكْرهوا إماءَكم علـى البغاء, وهو الزنا إنْ أرَدْنَ تَـحَصّنا يقول: إن أردن تعففـا عن الزنا. لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الـحَياةِ الدّنْـيا يقول: لتلتـمسوا بإكراهكم إياهنّ علـى الزنا عَرَض الـحياة, وذلك ما تعرِض لهم إلـيه الـحاجة من رِياشها وزينتها وأموالها. وَمَنْ يُكْرِهْهُنّ يقول: ومن يُكره فَتـياته علـى البغاء, فإن الله من بعد إكراهه إياهن علـى ذلك, لهم غَفُورٌ رَحِيـمٌ, ووِزْر ما كان من ذلك علـيهم دونهن.

وذُكر أن هذه الآية أنزلت فـي عبد الله بن أبـيّ ابن سَلَول حين أكره أمته مُسَيكة علـى الزنا. ذكر من قال ذلك:

19744ـ حدثنا الـحسن بن الصبـاح, قال: حدثنا حجاج بن مـحمد, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرنـي أبو الزبـير, أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: جاءت مُسَيْكة لبعض الأنصار فقالت: إن سيدي يكرهنـي علـى الزنا فنزلت فـي ذلك: وَلا تُكْرِهُوا فَتَـيَاتِكُمْ علـى البِغاءِ.

19745ـ حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جدّه, عن الأعمش, عن أبي سفيان عن جابر, قال: كانت جارية لعبد الله بن أبيّ ابن سَلول يقال لها مُسَيْكة, فآجرها أو أكرهها الطبريّ شكّ فأتت النبيّ صلى الله عليه وسلم فشكَتْ ذلك إليه, فأنزل الله: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلى البِغاءِ إنْ أَرَدْنَ تَحَصّنا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَياةِ الدّنْيا وَمَنْ يُكْرِهْهُنّ فإنّ اللّهَ مِنْ بَعْدِ إكْرَاهِهِنّ غَفُورٌ رَحِيمٌ يعني بهنّ.

19746ـ حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس, قال: حدثنا عَبْثَر, قال: حدثنا حصين, عن الشعبيّ, في قوله: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلى البِغاءِ قال: رجل كانت له جارية تفجر, فلما أسلمت نزلت هذه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرني أبو الزبير, عن جابر, قال: جاءت جارية لبعض الأنصار, فقالت: إن سيدي أكرهني على البغاء فأنزل الله في ذلك: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلى البِغاءِ.

19747ـ قال ابن جُرَيج: وأخبرني عمرو بن دينار, عن عكرِمة, قال: أمة لعبد الله بن أُبيّ, أمرها فزنت, فجاءت ببُرْد, فقال لها: ارجعي فازني قالت: والله لا أفعل, إن يك هذا خيرا فقد استكثرت منه, وإن يك شرّا فقد آن لي أن أدعه. قال ابن جُرَيج, وقال مجاهد نحو ذلك, وزاد قال: البِغاء: الزنا. وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قال: للمكرَهات على الزنا, وفيها نزلت هذه الآية.

19748ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ: أن رجلاً من قريش أُسِر يوم بدر. وكان عبد الله بن أُبيّ أسره, وكان لعبد الله جارية يقال لها مُعاذة, فكان القرشيّ الأسير يريدها على نفسها, وكانت مسلمة, فكانت تمتنع منه لإسلامها, وكان ابن أُبيّ يُكرهها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل للقرشيّ فيطلب فِداء ولده, فقال الله: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلى البِغاءِ إنْ أَرَدْنَ تَحَصّنا قال الزهريّ: وَمَنْ يُكْرِهْهُنّ فإنّ اللّهَ مِنْ بَعْدِ إكْراهِهِنّ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: غفور لهنّ ما أُكْرِهن عليه.

19749ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد بن جُبير, أنه كان يقرأ: «فإنّ اللّهَ مِنْ بَعْدِ إكْرَاهِهِنّ لَهُنّ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

19750ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلى البَغاءِ إنْ أَرَدْنَ تَحَصّنا يقول: ولا تكرهوا إماءكم على الزنا, فإن فعلتم فإن الله سبحانه لهنّ غفور رحيم وإثمُهنّ على من أكرههنّ.

19751ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلى البِغاءِ... إلى آخر الآية, قال: كانوا في الجاهلية يُكْرهون إماءكم على الزنا, يأخذون أجورهنّ, فقال الله: لا تكرهوهنّ على الزنا من أجل المَنالة في الدنيا, ومن يكرههنّ فإن الله من بعد إكراههنّ غفور رحيم لهن يعني إذا أكرهن.

19752ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلى البِغاءِ على الزنا. قال: عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُولَ أمر أمة له بالزنا, فجاءته بدينار أو بُبرد شكّ أبو عاصم فأعطته, فقال: ارجعي فازني بآخر فقالت:

والله ما أنا براجعة, فـالله غفور رحيـم للـمكْرَهات علـى الزنا ففـي هذا أنزلت هذه الآية.
حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, نـحوه, إلاّ أنه قال فـي حديثه: أمر أمة له بـالزنا, فزنت, فجاءته ببرد فأعطته. فلـم يشُكّ.
19753ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: وَلا تُكْرِهُوا فَتَـيَاتِكُمْ عَلـى البِغاءِ يقول: علـى الزنا. فإنّ اللّهَ مِنْ بَعْدِ إكْرَاهِهِنّ غَفُورٌ رَحِيـمٌ يقول: غفور لهنّ, للـمكرهات علـى الزنا.

19754ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَمَنْ يُكْرِهْهُنّ فإنّ اللّهَ مِنُ بَعْدِ إكْرَاهِهِنّ غَفُورٌ قال: غفور رحيـم لهنّ حين أكرهن وقُسِرْن علـى ذلك.
19755ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مـجاهد, قال: كانوا يأمرون ولائدهم يُبـاغِين, يفعلن ذلك, فـيصبن, فـيأتـينهم بكسبهنّ, فكانت لعبد الله بن أبـيّ ابن سَلُولَ جارية, فكانت تُبـاغِي, فكرهت وحلفت أن لا تفعله, فأكرهها أهلها, فـانطلقت فبـاغت ببرد أخضر, فأتتهم به, فأنزل الله تبـارك وتعالـى: وَلا تُكْرِهُوا فَتَـيَاتِكُمْ عَلـى البِغاءِ... الآية.

الآية : 34

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مّبَيّنَاتٍ وَمَثَلاً مّنَ الّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لّلْمُتّقِينَ }.
يقول تعالـى ذكره: ولقد أنزلنا إلـيكم أيها الناس دِلالات وعلامات مبـيّنات يقول: مفصّلاتٍ الـحقّ من البـاطل, وموضّحات ذلك.
واختلفت القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الـمدينة وبعض الكوفـيـين والبصريـين: «مُبَـيّناتٍ» بفتـح الـياء: بـمعنى مفصّلات, وأن الله فصّلهن وبـيّنَهنّ لعبـاده, فهنّ مفصّلات مبـيّنات. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: مُبَـيّناتٍ بكسر الـياء, بـمعنى أن الآيات هن تبـين الـحقّ والصواب للناس وتهديهم إلـى الـحقّ.
والصواب من القول فـي ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان, وقد قرأ بكل واحدة منهما علـماء من القرّاء, متقاربتا الـمعنى. وذلك أن الله إذ فصّلها وبـيّنها صارت مبـيّنة بنفسها الـحقّ لـمن التـمسه من قِبَلها, وإذا بـيّنت ذلك لـمن التـمسه من قَبِلها فـيبـين الله ذلك فـيها. فبأيّ القراءتـين قرأ القارىء فمصيب فـي قراءته الصواب.
وقوله: وَمَثَلاً مِنَ الّذِينَ خَـلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ من الأمـم, وموعظة لـمن اتقـى الله, فخاف عقابه وخشي عذابه.

الآية : 35

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {اللّهُ نُورُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزّجَاجَةُ كَأَنّهَا كَوْكَبٌ دُرّيّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاّ شَرْقِيّةٍ وَلاَ غَرْبِيّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نّورٌ عَلَىَ نُورٍ يَهْدِي اللّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللّهُ الأمْثَالَ لِلنّاسِ وَاللّهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: اللّهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ هادي من في السموات والأرض, فهم بنوره إلى الحقّ يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون.
واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم فيه نحو الذي قلنا. ذكر من قال ذلك:
19756ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: اللّهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول: الله سبحانه هادي أهل السموات والأرض.
19757ـ حدثني سليمان بن عمر بن خَلْدة الرّقي, قال: حدثنا وهب بن راشد, عن فرقد, عن أنس بن مالك, قال: إن إلهي يقول: نوري هُداي.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: الله مدبّر السموات والأرض. ذكر من قال ذلك:
19758ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال مجاهد وابن عباس في قوله: اللّهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ يدبّر الأمر فيهما: نجومَهما وشمسَهما وقمرَهما.
وقال آخرون: بل عنى بذلك النور الضياء. وقالوا: معنى ذلك: ضياء السموات والأرض. ذكر من قال ذلك:
19759ـ حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: حدثنا أبو جعفر الرازيّ, عن الربيع ابن أنَس, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب, في قول الله: اللّهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: فبدأ بنور نفسه, فذكره, ثم ذكر نور المؤمن.
وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك لأنه عَقِيب قوله: وَلَقَدْ أنْزَلْنا إلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيّناتٍ, وَمَثَلاً مِنَ الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً للْمُتّقِينَ فكان ذلك بأن يكون خبرا عن موقع يقع تنزيله من خلقه ومن مدح ما ابتدأ بذكر مدحه, أولى وأشبه, ما لم يأت ما يدلّ على انقضاء الخبر عنه من غيره. فإذا كان ذلك كذلك, فتأويل الكلام: ولقد أنزلنا إليكم أيّها الناس آيات مبينات الحق من الباطل وَمَثَلاً مِنَ الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً للْمُتّقِينَ فهديناكم بها, وبيّنا لكم معالم دينكم بها, لأني هادي أهل السموات وأهل الأرض. وترك وصل الكلام باللام, وابتدأ الخبر عن هداية خلقه ابتداء, وفيه المعنى الذي ذكَرْتُ, استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره. ثم ابتدأ في الخبر عن مثل هدايته خلقه بالآيات المبينات التي أنزلها إليهم, فقال: مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ يقول: مثل ما أنار من الحقّ بهذا التنزيل في بيانه كمشكاة.
وقد اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالهاء في قوله: مَثَلُ نُورِهِ علام هي عائدة؟ ومن ذكر ما هي؟ فقال بعضهم: هي من ذكر المؤمن. وقالوا: معنى الكلام: مثل نور المؤمن الذي في قلبه من الإيمان والقرآن مثل مشكاة. ذكر من قال ذلك:
19760ـ حدثنا عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا أبو جعفر الرازيّ, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب, في قول الله: مَثَلُ نُورِهِ قال: ذكر نور المؤمن فقال: مثل نوره, يقول: مثل نور المؤمن. قال: وكان أبيّ يقرؤها كذلك: «مَثَلُ المؤمن». قال: هو المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن في صدره.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي جعفر الرازيّ, عن أبـي العالـية, عن أُبـيّ بن كعب: اللّهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ قال: بدأ بنور نفسه فذكره, ثم قال: مَثَلُ نُورِهِ يقول: مثل نور مَنْ آمن به. قال: وكذلك كان يقرأ أُبـيّ, قال: هو عبد جعل الله القرآن والإيـمان فـي صدره.

19761ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبـير: مَثَلُ نُورِهِ قال: مثل نور الـمؤمن.

19762ـ حدثنـي علـيّ بن الـحسن الأزدي, قال: حدثنا يحيى بن الـيـمان, عن أبـي سِنان, عن ثابت, عن الضحاك فـي قوله: مَثَلُ نُورِهِ قال: نور الـمؤمن.

وقال آخرون: بل عُنِـي بـالنور: مـحمد صلى الله عليه وسلم, وقالوا: الهاء التـي قوله: مَثَلَ نُورِهِ عائدة علـى اسم الله. ذكر من قال ذلك:

19763ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القُمّيّ, عن حفص, عن شَمِر, قال: جاء ابن عبـاس إلـى كعب الأحبـار, فقال له: حدثنـي عن قول الله عزّ وجلّ: اللّهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ... الآية؟ فقال كعب: الله نور السموات والأرض, مَثَل نوره مثل مـحمدَ صلى الله عليه وسلم, كمشكاة.

19764ـ حدثنـي علـيّ بن الـحسن الأزدي, قال: حدثنا يحيى بن الـيـمان, عن أشعث, عن جعفر بن أبـي الـمغيرة, عن سعيد بن جُبـير فـي قوله: مَثَلُ نُورِهِ قال: مـحمد صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل عُنِـي بذلك: هَدْي اللّهِ وبـيانه, وهو القرآن. قالوا: والهاء من ذكر الله, قالوا: ومعنى الكلام: الله هادي أهل السموات والأرض بآياته الـمبـينات, وهي وهي النور الذي استنار به السموات والأرض, مَثَلُ هداه وآياته التـي هَدَى بها خـلقه ووعظهم بها فـي قلوب الـمؤمنـين كمِشكاة. ذكر من قال ذلك:

19765ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس: مَثَلُ نُورِهِ مثل هُدَاه فـي قلب الـمؤمن.

19766ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا ابن عُلَـيّة, عن أبـي رجاء, عن الـحسن, فـي قوله: مَثَلُ نُورِهِ قال: مثل هذا القرآن فـي القلب كمشكاة.

19767ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: مَثَلُ نُورِهِ: نورِ القرآن الذي أنزل علـى رسوله صلى الله عليه وسلم وعبـاده, هذا مثل القرآن كمِشْكاةٍ فِـيها مِصْبـاحٌ.

19768ـ قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنـي عبد الله بن عَيّاش, قال: قال زيد بن أسلـم, فـي قول الله تبـارك وتعالـى: اللّهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ ونوره الذي ذكر: القرآن, ومَثَلُه الذي ضَرَب له.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: مثل نور الله. وقالوا: يعنـي بـالنور: الطاعة. ذكر من قال ذلك:

19769ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي بـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: اللّهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ فِـيها مصْبـاحٌ وذلك أن الـيهود قالوا لـمـحمد: كيف يخـلُص نور الله من دون السماء؟ فضرب الله مَثَلَ ذلك لنوره, فقال: اللّهُ نُورُ

السّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ قال: وهو مثل ضربه الله لطاعته, فسمّى طاعته نورًا, ثم سماها أنوارا شَتّـى.

وقوله: كمِشْكاةٍ اختلف أهل التأويـل فـي معنى الـمِشكاة والـمصبـاح وما الـمراد بذلك, وبـالزجاجة, فقال بعضهم: الـمِشكاة كل كَوّة لا منفذَ لها, وقالوا: هذا مثل ضربه الله لقلب مـحمد صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

19770ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن حفص, عن شَمِر, قال: جاء ابن عبـاس إلـى كعب الأحبـار, فقال له: حدثنـي عن قول الله: مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ قال: الـمشكاة وهي الكَوّة, ضربها الله مثلاً لـمـحمد صلى الله عليه وسلم, الـمِشكاة فِـيها مِصْبـاحٌ الـمِصْبـاحُ قلبه فِـي زُجاجَةٍ الزّجاجَةُ صدره الزجاجة كأنّها كَوْكَبٌ دُرّيّ شبه صدر النبـيّ صلى الله عليه وسلم بـالكوكب الدريّ, ثم رجع الـمصبـاح إلـى قلبه فقال: تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبـارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقـيّةٍ وَلا غَرْبـيّةٍ لـم تـمسّها شمس الـمشرق ولا شمس الـمغرب, يَكادُ زَيْتُها يُضِىءُ يكاد مـحمد يبـين للناس وإن لـم يتكلـم أنه نبـيّ, كما يكاد ذلك الزيت يضيء وَلَوْ لَـمْ تَـمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلـى نُورٍ.

19771ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: كمِشْكاةٍ يقول: موضع الفتـيـلة.

19772ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: اللّهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ... إلـى كمِشْكاةٍ قال: الـمِشكاة: كَوّة البـيت.

وقال آخرون: عنى بـالـمشكاة: صدر الـمؤمن, وبـالـمصبـاح: القرآن والإيـمان, وبـالزجاجة: قلبه. ذكر من قال ذلك:

19773ـ حدثنـي عبد الأعلـى بن واصل, قال: حدثنا عبـيد الله بن موسى, قال: أخبرنا أبو جعفر الرازيّ, عن الربـيع بن أنس, عن أبـي العالـية, عن أُبـيّ بن كعب: مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ فِـيها مِصْبـاحٌ قال: مَثَل الـمؤمن قد جعل الإيـمان والقرآن فـي صدره كمشكاة, قال: الـمشكاة: صدره. فِـيها مِصْبـاحٌ قال: والـمصبـاح القرآن والإيـمان الذي جعل فـي صدره. الـمِصْبـاحُ فِـي زُجاجَةٍ قال: والزجاجة: قلبه. الزّجاجَةُ كأنّها كَوْكَبٌ دُرّيّ توقَدُ, قال: فمثله مـما استنار فـيه القرآن والإيـمان كأنه كوكب درّيّ, يقول: مُضِيء. تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبـارَكَةٍ والشجرة الـمبـاركة, أصله الـمبـاركة الإخلاص لله وحده وعبـادته, لا شريك له. لا شَرْقَـيّةٍ وَلا غَرْبـيّةٍ قال: فمثله مَثَل شجرة التفّ بها الشجر, فهي خضراء ناعمة, لا تصيبها الشمس علـى أيّ حال كانت, لا إذا طلعت ولا إذا غَربت, وكذلك هذا الـمؤمن قد أجير من أن يصيبه شيء من الغَيرِ وقد ابتُلِـي بها فثبته الله فـيها, فهو بـين أربع خلال: إن أُعطِى شكر, وإن ابتُلِـي صبر, وإن حَكَم عدل, وإن قال صدق فهو فـي سائر الناس كالرجل الـحيّ يـمشي فـي قبور الأموات. قال: نُورٌ عَلـى نُورٍ فهو يتقلّب فـي خمسة من النور: فكلامه نور, وعمله نور, ومَدْخـله نور, ومَخْرجه نور, ومصيره إلـى النور يوم القـيامة فـي الـجنة.

19774ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي يحيى بن إلـيـمان, عن أبـي جعفر الرازيّ, عن الربـيع بن أنس, عن أبـي العالـية, عن أُبـيّ بن كعب, قال: الـمشكاة: صدر الـمؤمن. فـيها مصبـاح, قال: القرآن.

قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب, نحو حديث عبد الأعلى, عن عبيد الله.
19775ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ قال: مثل هداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسّه النار, فإذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء, كذلك يكون قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيَه العلم, فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور, كما قال إبراهيم صلوات الله عليه قبل أن تجيئه المعرفة: قالَ هَذَا رَبّي حين رأى الكوكب من غير أن يخبره أحد أن له ربّا, فلما أخبره الله أنه ربه ازداد هُدًى على هدى.
19776ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس,قوله: اللّهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم: كيف يخلص نور الله من دون السماء؟ فضرب الله مَثَل ذلك لنوره, فقال: اللّهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ
والمِشكاة: كَوّة البيت فيها مصباح, المِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزّجاجَةُ كأنّها كَوْكَبٌ دُرّيّ والمصباج: السراج يكون في الزجاجة, وهو مثل ضربه الله لطاعته, فسمى طاعته نورا وسماها أنواعا شتى.
قوله: تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتونَةٍ لا شَرْقِيّةٍ وَلا غَرْبِيّةٍ قال: هي شجرة لا يفيء عليها ظلّ شرق ولا ظلّ غرب, ضاحية, ذلك أصفى للزيت. يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ. قال معمر, وقال الحسن: ليست من شجر الدنيا, ليست شرقية ولا غربية.
وقال آخرون: هو مثل للمؤمن غير أن المصباح وما فيه مثل لفؤاده, والمشكاة مثل لجوفه. ذكر من قال ذلك:
19777ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال مجاهد وابن عباس جميعا: المصباح وما فيه مثل فؤاد المؤمن وجوفه, المصباح مثل الفؤاد, والكوّة مثل الجوف.
قال ابن جُرَيج: كمِشْكاةٍ: كوّة غير نافذة. قال ابن جُرَيج, وقال ابن عباس: قوله: نُورٌ عَلى نُورٍ يعني: إيمان المؤمن وعمله.
وقال آخرون: بل ذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن. ذكر من قال ذلك:
19778ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: اللّهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ قال: ككوّة فِيها مِصْباحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجاجَةٍ الزّجاجَةُ كأنّها كَوْكَبٌ دُرّيّ.
19779ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: اللّهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ نور القرآن الذي أنزل على رسوله وعباده, فهذا مثل القرآن كمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ المِصْباحُ فِي زُجاجَة فقرأ حتى بلغ: مُبارَكَةٍ فهذا مثل القرآن يستضاء به في نوره ويعلمونه ويأخذون به, وهو كما هو لا ينقص, فهذا مثل ضربه الله لنوره.
وفي قوله: يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ قال: الضوء: إشراق ذلك الزيت, والمشكاة: التي فيها الفتيلة التي في المصباح, والقناديل تلك المصابيح.

19780ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن أبـي إسحاق, عن سعيد بن عياض فـي قوله: كمِشْكاةٍ قال: الكوّة.
19781ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا قرة, عن عطية, فـي قوله: كمِشْكاةٍ قال: قال ابن عمر: الـمشكاة الكَوّة.
وقال آخرون: الـمِشكاة القنديـل. ذكر من قال ذلك:
19782ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله: كمِشْكاةٍ قال: القنديـل, ثم العمود الذي فـيه القنديـل.
19783ـ حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: كمِشْكاةٍ: الصّفْر الذي فـي جوف القنديـل.
19784ـ حدثنـي إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا خالد بن عبد الله عن داود, عن رجل, عن مـجاهد, قال: الـمِشكاة: القنديـل.
وقال آخرون: الـمشكاة: الـحديد الذي يعلق به القنديـل. ذكر من قال ذلك:
19785ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا هشيـم, قال: حدثنا داود بن أبـي هند, عن مـجاهد, قال: الـمشكاة: الـحدائد التـي يعلق بها القنديـل.
وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب قول من قال: ذلك مثل ضربه الله للقرآن فـي قلب أهل الإيـمان به, فقال: مَثَلُ نور الله الذي أنار به لعبـاده سبـيـل الرشاد, الذي أنزله إلـيهم فآمنوا به وصدّقوا بـما فـيه, فـي قلوب الـمؤمنـين, مثل مِشكاة, وهي عمود القنديـل الذي فـيه الفتـيـلة وذلك هو نظير الكَوّة التـي تكون فـي الـحيطان التـي لا منفذ لها. وإنـما جعل ذلك العمود مِشكاة, لأنه غير نافذ, وهو أجوف مفتوح الأعلـى, فهو كالكَوّة التـي فـي الـحائط التـي لا تنفذ. ثم قال: فِـيها مِصْبـاحٌ وهو السراج, وجعل السراج وهو الـمصبـاح مثلاً لـما فـي قلب الـمؤمن من القرآن والآيات الـمبـينات. ثم قال: الـمِصْبـاحُ فِـي زُجاجَةٍ يعنـي أن السراج الذي فـي الـمِشكاة فـي القنديـل, وهو الزجاجة, وذلك مثل للقرآن, يقول: القرآن الذي فـي قلب الـمؤمن الذي أنار الله قلبه فـي صدره. ثم مثل الصدر فـي خـلوصه من الكفر بـالله والشكّ فـيه واستنارته بنور القرآن واستضاءته بآيات ربه الـمبـينات ومواعظه فـيها, بـالكوكب الدرّيّ, فقال: الزّجَاجَةُ وذلك صدر الـمؤمن الذي فـيه قلبه كأنّها كَوْكَبٌ دُرّيّ.
واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: دُرّيّ فقرأته عامة قرّاء الـحجاز: دُرّيّ بضم الدال, وترك الهمز. وقرأ بعض قراء البصرة والكوفة: «دِرّيءٌ» بكسر الدال وهمزة. وقرأ بعض قرّاء الكوفة: «دُرّيء» بضم الدال وهمزة. وكأن الذين ضموا داله وتركوا الهمزة, وجهوا معناه إلـى ما قاله أهل التفسير الذي ذكرنا عنهم, من أن الزجاجة فـي صفـائها وحسنها كالدرّ, وأنها منسوبة إلـيه لذلك من نعتها وصفتها. ووجه الذين قرءوا ذلك بكسر داله وهمزه, إلـى أنه فِعّيـل من دُرّىءَ الكوكبُ: أي دُفِع ورجم به الشيطان, من قوله: وَيَدْرأُعَنْها العَذابَ: أي يدفع, والعرب تسمى الكواكب العظام التـي لا تعرف أسماءها الداراريّ بغير همز. وكان بعض أهل العلـم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: هي الدراريء بـالهمز, من يَدْرأن. وأما الذين قرءوه بضمّ

داله وهمزه, فإن كانوا أرادوا به درّوء مثل سُبّوح وقدوس من درأت, ثم استثقلوا كثرة الضمات فيه, فصرفوا بعضها إلى الكسرة, فقالوا: دِرّىء, كما قيل: وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكَبرِ عِتِيّا وهو فُعُول, من عتوت عُتُوّا, ثم حوّلت بعض ضماتها إلى الكسر, فقيل: عِتيّا. فهو مذهب, وإلا فلا أعرف لصحة قراءتهم ذلك كذلك وجها, وذلك أنه لا يُعرف في كلام العرب فِعّيل. وقد كان بعض أهل العربية يقول: هو لحن.

والذي هو أولى القراءات عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأ: دُرّىّ بضمّ داله وترك همزه, على النسبة إلى الدرّ, لأن أهل التأويل بتأويل ذلك جاءوا. وقد ذكرنا أقوالهم في ذلك قبل, ففي ذلك مُكْتفًى عن الاستشهاد على صحتها بغيره. فتأويل الكلام: الزجاجة: وهي صدر المؤمن, كأنها: يعني كأن الزجاجة, وذلك مثل لصدر المؤمن, كَوْكَب: يقول: في صفائها وضيائها وحسنها. وإنما يصف صدره بالنقاء من كلّ ريب وشكّ في أسباب الإيمان بالله وبعده من دنس المعاصي, كالكوكب الذي يُشبه الدرّ في الصفاء والضياء والحسن.

واختلفوا أيضا في قراءة قوله: «تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ» فقرأ ذلك بعض المكّيين والمدنيّين وبعض البصريين: «تَوَقَّدَ مِنْ شَجَرَةٍ» بالتاء, وفتحها, وتشديد القاف, وفتح الدال. وكأنهم وجهوا معنى ذلك إلى تَوَقّدَ المصباحُ من شجرة مباركة. وقرأه بعض عامة قرّاء المدنيين: يُوقَدُ بالياء, وتخفيف القاف, ورفع الدال بمعنى: يُوقِدُ المصباح مُوْقِدُه من شجرة, ثم لم يُسَمّ فاعله. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «تُوقَدُ» بضم التاء وتخفيف القاف ورفع الدال, بمعنى: يُوقِدُ الزجاجةُ مُوقِدُها من شجرة مباركة لما لم يسمّ فاعله, فقيل تُوقَد. وقرأه بعض أهل مكة: «تَوَقّدُ» بفتح التاء, وتشديد القاف, وضم الدال بمعنى: تَتَوَقّد الزجاجة من شجرة, ثم أسقطت إحدى التاءين اكتفاء بالباقية من الذاهبة.

وهذه القراءات متقاربات المعاني وإن اختلفت الألفاظ بها وذلك أن الزجاجة إذا وُصِفت بالتوقد أو بأنها تَوَقّد, فملعوم معنى ذلك, فإن المراد به تَوَقّدَ فيها المصباح أو يُوقَد فيها المصباح, ولكن وجّهوا الخبر إلى أن وصفها بذلك أقرب في الكلام منها وفهم السامعين معناه والمراد منه. فإذا كان ذلك كذلك فبأيّ القراءات قرأ القارىء فمصيب, غير أن أعجب القراءات إليّ أن أقرأ بها في ذلك: «تَوَقّدَ» بفتح التاء, وتشديد القاف, وفتح الدال, بمعنى: وصف المصباح بالتوقد لأن التوقد والاتقاد لا شكّ أنهما من صفته, دون الزجاجة. فمعنى الكلام إذن: كمشكاة فيها مصباح, المصباح من دهن شجرة مباركة, زيتونة, لا شرقية ولا غربية.

وقد ذكرنا بعض ما رُوي عن بعضهم من الاختلاف في ذلك فيما قد مضى, ونذكر باقي ما حضرنا مما لم نذكره قبل. فقال بعضهم: إنما قيل لهذه الشجرة لا شرقية ولا غربية: أي ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت, وإنما لها نصيبها من الشمس بالغداة ما دامت بالجانب الذي يلي الشرق, ثم لا يكون لها نصيب منها إذا مالت إلى جانب الغرب. ولا هي غربية وحدها, فتصيبها الشمس بالعشيّ إذا مالت إلى جانب الغرب, ولا تصيبها بالغدَاة ولكنها شرقية غربية, تطلع عليها الشمس بالغداة وتغرب عليها, فيصيبها حرّ الشمس بالغداة والعشيّ. قالوا: وإذا كانت كذلك, كان أجود لزيتها. ذكر من قال ذلك:

19786ـ حدثنا هَنّاد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سِماك, عن عكرمة, فـي قوله: زَيْتُونَةٍ, لا شَرْقِـيّةٍ وَلا غَرْبِـيّةٍ قال: لا يسترها من الشمس جبل ولا واد, إذا طلعت وإذا غربت.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا حِرميّ بن عُمارة, قال: حدثنا شعبة, قال: أخبرنـي عُمارة, عن عكرِمة, فـي قوله: لا شَرْقِـيّةٍ وَلا غَرْبِـيّةٍ قال: الشجرة تكون فـي مكان لا يسترها من الشمس شيء, تطلع علـيها وتغرب علـيها.

19787ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال مـجاهد وابن عبـاس: لا شَرْقِـيّةٍ وَلا غَرْبِـيّةٍ قالا: هي التـي بشِقّ الـجبل, التـي يصيبها شروق الشمس وغروبها, إذا طلعت أصابتها وإذا غربت أصابتها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لـيست شرقـية ولا غربـية. ذكر من قال ذلك:

19788ـ حدثنـي سلـيـمان بن عبد الـجبـار, قال: ثنـي مـحمد بن الصلت, قال: حدثنا أبو كدينة, عن قابوس, عن أبـيه, عن ابن عبـاس: لا شَرْقِـيّةٍ وَلا غَرْبِـيّةٍ قال: هي شجرة وَسْط الشجر, لـيست من الشرق ولا من الغرب.

19789ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِـيّةٍ وَلا غَرْبِـيّةٍ متـيامنة الشأم, لا شرقـيّ ولا غربـيّ.

وقال آخرون: لـيست هذه الشجرة من شجر الدنـيا. ذكر من قال ذلك:

19790ـ حدثنا مـحمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا بشر بن الـمفضل, قال: حدثنا عوف, عن الـحسن, فـي قول الله: لا شَرْقِـيّةٍ وَلا غَرْبِـيّةٍ قال: والله لو كانت فـي الأرض لكانت شرقـية أو غربـية, ولكنـما هو مثل ضربه الله لنوره.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عثمان, يعنـي بـان الهيثم, قال: حدثنا عوف, عن الـحسن, فـي قول الله: زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِـيّةٍ وَلا غَرْبِـيّةٍ قال: لو كانت فـي الأرض هذه الزيتونة كان شرقـية أو غربـية, ولكن والله ما هي فـي الأرض, وإنـما هو مثل ضربه الله لنوره.

حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا عوف, عن الـحسن, فـي قوله: لا شَرْقِـيّةٍ وَلا غَرْبِـيّةٍ قال: هذا مَثَل ضربه الله, ولو كانت هذه الشجرة فـي الدنـيا لكانت إما شرقـية وإما غربـية.

وأولـى هذه الأقوال بتأويـل ذلك قول من قال: إنها شرقـية غربـية وقال: ومعنى الكلام: لـيست شرقـية تطلع علـيها الشمس بـالعشيّ دون الغداة, ولكن الشمس تشرق علـيها وتغرب, فهي شرقـية غربـية.

وإنـما قلنا ذلك أولـى بـمعنى الكلام, لأن الله إنـما وصف الزيت الذي يُوقَد علـى هذا الـمصبـاح بـالصفـاء والـجودة, فإذا كان شجره شرقـيّا غربـيّا كان زيته لا شكّ أجود وأصفـى وأضوأ.

وقوله: يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ يقول تعالـى ذكره: يكاد زيت هذه الزيتونة يضيء من صفـائه وحسن ضيائه. وَلَوْ لَـمْ تَـمْسَسْهُ نار يقول: فكيف إذا مسته النار.

وإنـما أريد بقوله: تُوقَدُ مِنْ شَجَرَة مُبـارَكَةٍ أن هذا القرآن من عند الله وأنه كلامه, فجعل مَثَله ومَثَل كونه من عنده مثلَ الـمصبـاح الذي يوقد من الشجرة الـمبـاركة التـي وصفها جلّ ثناؤه فـي هذه الآية. وعُنِـي بقوله: يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ: أن حُجَج الله تعالـى ذكره علـى خـلقه تكاد من بـيانها ووضوحها تضيء لـمن فكر فـيها ونظر أو أعرض عنها وَلَها. وَلَوْ لَـمْ تَـمْسَسْهُ نارٌ يقول: ولو لـم يَزِدها الله بـيانا ووضوحا بإنزاله هذا القرآن

إلـيهم, منبها لهم علـى توحيده, فكيف إذا نبههم به وذكّرهم بآياته فزادهم به حجة إلـى حُجَجه علـيهم قبل ذلك؟ فذلك بـيان من الله ونور علـى البـيان, والنور الذي كان قد وضعه لهم ونصبه قبل نزوله.

وقوله: نُورٌ عَلـى نُورٍ يعنـي النار علـى هذا الزيت الذي كاد يضيء ولو لـم تـمسسه النار. كما:

19791ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: نُورٌ عَلـى نُورٍ قال: النار علـى الزيت.

قال أبو جعفر: وهو عندي كما ذكرت مَثَلُ القرآن. ويعنـي بقوله: نُورٌ عَلـى نُورٍ هذا القرآن نور من عند الله, أنزله إلـى خـلقه يستضيئون به. علـى نور علـى الـحُجج والبـيان الذي قد نصبه لهم قبل مـجيء القرآن إنزاله إياه, مـما يدلّ علـى حقـيقة وحدانـيته. فذلك بـيان من الله, ونور علـى البـيان, والنور الذي كان وضعه لهم ونصبه قبل نزوله. وذكر عن زيد بن أسلـم فـي ذلك, ما:

19792ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنـي عبد الله بن عياش, قال: قال زيد بن أسلـم, فـي قوله: نُورٌ عَلـى نُورٍ يضيء بعضه بعضا, يعنـي القرآن.

وقوله: يَهْدِى اللّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ: يقول تعالـى ذكره: يُوَفّق الله لاتبـاع نوره, وهو هذا القرآن, من يشاء من عبـاده. وقوله: يَهْدِى اللّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ: يقول تعالـى ذكره: يُوَفّق الله لاتبـاع نوره, وهو هذا القرآن, من يشاء من عبـاده. وقوله: وَيَضْرِبُ اللّهُ الأمْثالَ للنّاسِ يقول: ويُـمثّل الله الأمثال والأشبـاه للناس كما مثّل لهم مثل هذا القرآن فـي قلب الـمؤمن بـالـمصبـاح فـي الـمشكاة وسائر ما فـي هذه الآية من الأمثال. وَاللّهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِـيـمٌ يقول: والله بضرب الأمثال وغيرها من الأشياء كلها, ذو علـم.

الآية : 36-38

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوّ وَالاَصَالِ * رِجَالٌ لاّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَإِقَامِ الصّلاَةِ وَإِيتَآءِ الزّكَـاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُمْ مّن فَضْلِهِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ }.

يعنـي تعالـى ذكره بقوله: فِـي بُـيُوتٍ أذِنَ اللّهُ أنْ تُرفَعَ الله نور السموات والأرض, مَثَل نورِه كمشكاة فـيها مصبـاح, فـي بـيوت أذن الله أن ترفع. كما:

19793ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: الـمِشكاة: التـي فـيها الفتـيـلة التـي فـيها الـمصبـاح. قال: الـمصابـيح فـي بـيوت أذن الله أن ترفع.

قال أبو جعفر: قد يحتـمل أن تكون «من» فـي صلة «توقد», فـيكون الـمعنى: تُوقَد من شجرة مبـاركة ذلك الـمصبـاح فـي بـيوت أذن الله أن ترفع. وعنى بـالبـيوت: الـمساجد.

وقد اختلف أهل التأويـل فـي ذلك, فقال بعضهم بـالذي قلنا فـي ذلك. ذكر من قال ذلك:

19794ـ حدثنا ابن حميد, ونصر بن عبد الرحمن الأَوْديّ, قالا: حدثنا حَكّام, عن إسماعيـل بن أبـي خالد, عن أبـي صالـح فـي قول الله: فِـي بُـيُوتٍ أذِنَ اللّهُ أنْ تُرْفَعَ قال: الـمساجد.
19795ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, فـي قوله: فِـي بُـيُوتٍ أذِنَ اللّهُ أنْ تُرْفَعَ وهي الـمساجد تُكْرَم, ونهي عن اللغو فـيها.
19796ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, فـي قوله: فِـي بُـيُوتٍ أذِنَ اللّهُ أنْ تُرْفَعَ يعنـي: كل مسجد يصلّى فـيه, جامع أو غيره.
19797ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قالـي: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: فِـي بُـيُوتٍ أذِنَ اللّهُ أنْ تُرْفَعَ قال: مساجد تُبْنـي.
حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.
19798ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الـحسن, فـي قوله: فِـي بُـيُوتٍ أذِنَ اللّهُ أنْ تُرْفَعَ قال: فـي الـمساجد.
19799ـ قال: أخبرنا معمر, عن أبـي إسحاق, عن عمرو بن ميـمون, قال: أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون: الـمساجد: بـيوت الله, وإنه حقّ علـى الله أن يُكْرِم من زاره فـيها.
19800ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا ابن الـمبـارك, عن سالـم بن عمر, فـي قوله: فِـي بُـيُوتٍ أذِنَ اللّهُ أنْ تُرْفَعَ قال: هي الـمساجد.
19801ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: فِـي بُـيُوتٍ أذِن الله أنْ تُرْفَعَ قال: الـمساجد.
وقال آخرون: عَنَى بذلك البـيوتَ كلّها. ذكر من قال ذلك:
19802ـ حدثنا ابن حميد, ونصر بن عبد الرحمن الأَوْديّ, قالا: حدثنا حَكّام بن سلـم, عن إسماعيـل بن أبـي خالد, عن عكرمة: فِـي بُـيُوتٍ أذِنَ اللّهُ أنْ تُرْفَعَ قال: هي البـيوت كلها.
وإنـما اخترنا القول الذي اخترناه فـي ذلك, لدلالة قوله: يُسَبّحُ لَهُ فِـيها بـالغُدُوّ والآصَالِ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِـجارَةٌ وَلا بَـيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ علـى أنها بـيوت بنـيت للصلاة فلذلك قلنا هي الـمساجد.
واختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله: أَذِنَ اللّهُ أنْ تُرْفَعَ فقال بعضهم: معناه: أذن الله أن تُبْنَـي. ذكر من قال ذلك:
19803ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عصام, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: أذِنَ اللّهُ أنْ تُرْفَعَ قال: تُبْنَى.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد مثله.
وقال آخرون: معناه: أذن الله أن تعظّم. ذكر من قال ذلك:
19804ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الـحسن, فـي قوله: أذِنَ اللّهُ أنْ تُرْفَعَ يقول: أن تعظّم لذكره.

وأولـى القولـين فـي ذلك عندي بـالصواب القول الذي قاله مـجاهد, وهو أن معناه: أذن الله أن ترفع بناء, كما قال جلّ ثناؤهِ: وَإذْ يَرْفَعُ إبْرَاهِيـمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَـيْتِ وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع فـي البـيوت والأبنـية.

وقوله: وَيُذْكَرَ فِـيها اسْمُهُ يقول: وأَذِن لعبـاده أن يذكروا اسمه فـيها. وقد قـيـل: عُنِـي به أنه أذن لهم بتلاوة القرآن فـيها. ذكر من قال ذلك:

19805ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قال: ثم قال: وَيُذْكَرَ فِـيها اسْمُهُ يقول: يُتْلَـى فـيها كتابه.

وهذا القول قريب الـمعنى مـما قلناه فـي ذلك, لأن تلاوة كتاب الله من معانـي ذكر الله. غير أن الذي قلنا به أظهر معنـيـيه, فلذلك اخترنا القول به.

وقوله: يُسَبّحُ لَهُ فِـيها بـالغُدُوّ والآصَالِ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِـجارَةٌ وَلا بَـيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ اختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: يُسَبّحُ لَهُ, فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار: يُسَبّحُ لَهُ بضم الـياء وكسر البـاء, بـمعنى: يصلّـي له فـيها رجال, وبجعل «يسبّح» فعلاً ل«الرجال» وخبرا عنهم, وترفع به «الرجال». سوى عاصم وابن عامر, فإنهما قرءا ذلك: «يُسَبّحُ له» بضمّ الـياء وفتـح البـاء, علـى ما لـم يسمّ فـاعله, ثم يرفعان «الرجال» بخبر ثان مضمر, كأنهما أرادا: يسبّح الله فـي البـيوت التـي أذن الله أن ترفع, فسبّح له رجال فرفعا «الرجال» بفعل مضمر.

والقراءة التـي هي أولاهما بـالصواب: قراءة من كسر البـاء, وجعله خبرا ل«الرجال» وفعلاً لهم. وإنـما كان الاختـيار رفع الرجال بـمضمر من الفعل لو كان الـخبر عن البـيوت لا يتـمّ إلا بقوله: يُسَبّحُ لَهُ فِـيها, فأما والـخبر عنها دون ذلك تام, فلا وجه لتوجيه قوله: يُسَبّحُ لَهُ إلـى غيره, أيْ غير الـخبر عن الرجال. وعُنِـي بقوله: يُسَبّحُ لَهُ فِـيها بـالغُدُوّ والآصَالِ يصلّـي له فـي هذه البـيوت بـالغُدُوات والعَشيات رجال.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19806ـ حدثنـي علـيّ بن الـحسن الأزديّ, قال: حدثنا الـمَعافـى بن عمران, عن سفـيان, عن عَمّار الدّهنـي, عن سعيد بن جُبـير, عن ابن عبـاس, قال: كلّ تسبـيح فـي القرآن فهو صلاة.

19807ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قال: ثم قال: يُسَبّحُ لَهُ فِـيها بـالغُدُوّ والآصَالِ يقول: يصلـى له فـيها بـالغداة والعشيّ. يعنـي بـالغدوّ: صلاة الغَداة, ويعنـي بـالآصال: صلاة العصر. وهما أوّل ما افترض الله من الصلاة, فأحبّ أن يذكرهما ويذكر بهما عبـادته.

19808ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الـحسن: يُسَبّحُ لَهُ فِـيها بـالغُدُوّ والآصَالِ رِجالٌ أذِن الله أن تُبْنى, فـيصلّـى فـيها بـالغدوّ والآصال.

19809ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول فـي قوله: يُسَبّحُ لَهُ فِـيها بـالغُدُوّ والآصَالِ يعنـي الصلاة الـمفروضة.

وقوله: رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِـجارَةٌ وَلا بَـيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ يقول تعالـى ذكره: لا يشغل هؤلاء الرجال الذي يصلّون فـي هذه الـمساجد التـي أذن الله أن ترفع عن ذكر الله فـيها وإقام الصلاة, تـجارة ولا بـيع. كما:

19810ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن سعيد بن أبـي الـحسن, عن رجل نسي اسمه فـي هذه الآية: فِـي بُـيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِـيها اسمُهُ يُسَبّحُ لَهُ فِـيها بـالغُدُوّ والآصَالِ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِـجارَةٌ وَلا بَـيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ... إلـى قوله: والأبْصَارِ قال: هم قوم فـي تـجاراتهم وبـيوعهم, لا تلهيهم تـجاراتهم ولا بـيوعهم عن ذكر الله.

19811ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا جعفر بن سلـيـمان, عن عمرو بن دينار, عن سالـم بن عبد الله: أنه نظر إلـى قوم من السّوق قاموا وتركوا بـاعاتهم إلـى الصلاة, فقال هؤلاء الذين ذكر الله فـي كتابه: لا تُلْهِيهِمْ تِـجارَةٌ وَلا بَـيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ... الآية.

19812ـ قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا هشيـم, عن سيار, عمن حدثه, عن ابن مسعود, نـحو ذلك.

حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا هُشَيـم, عن سيار, قال: حُدثت عن ابن مسعود, أنه رأى قوما من أهل السوق حيثُ نودي بـالصلاة تركوا بِـياعاتهم ونهضوا إلـى الصلاة, فقال عبد الله: هؤلاء من الذين ذكر الله فـي كتابه: لا تُلْهِيهِمْ تِـجارَةٌ وَلا بَـيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ.

وقال بعضهم: معنـي ذلك: لا تُلْهِيهِمْ تِـجارَةٌ وَلا بَـيْعٌ عن صلاتهم الـمفروضة علـيهم. ذكر من قال ذلك:

19813ـ حدّثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قال: ثم قال: رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِـجارَةٌ وَلا بَـيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ يقول: عن الصلاة الـمكتوبة.

وقوله: وَإقامِ الصّلاةِ يقول: ولا يشغلهم ذلك أيضا عن إقام الصلاة بحدودها فـي أوقاتها.

وبنـحو قولنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19814ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا مـحمد, قال: حدثنا عوف, عن سعيد بن أبـي الـحسن, عن رجل نسي عوف اسمه فـي: وَإقامِ الصّلاةِ قال: يقومون للصلاة عند مواقـيت الصلاة.

فإن قال قائل: أو لـيس قوله: وَإقامِ الصّلاةِ مصدرا من قوله أقمت؟ قـيـل: بلـى. فإن قال: أو لـيس الـمصدر منه إقامة, كالـمصدر من آجرت إجارة؟ قـيـل: بلـى. فإن قال: وكيف قال: وَإقام الصّلاةِ, أو تـجيز أن نقول: أقمت إقاما؟ قـيـل: ولكنـي أجيز: أعجبنـي إقام الصلاة. فإن قـيـل: وما وجه جواز ذلك؟ قـيـل: إن الـحكم فـي أقمت إذا جعل منه مصدر أن يقال إقواما, كما يقال: أقعدت فلانا إقعادا وأعطيته إعطاء ولكن العرب لـما سكنت الواو من «أقمت» فسقطت لاجتـماعها وهي ساكنة والـميـم ووهي ساكنة, بنَوا الـمصدر علـى ذلك إذ جاءت الواو ساكنة قبل ألف الإفعال وهي ساكنة, فسقطت الأولـى منهما, فأبدلوا منها هاء فـي آخر الـحرف, كالتكثـير للـحرف, كما فعلوا ذلك فـي قولهم: وَعَدته عِدَة, ووزنته زِنة إذ ذهبت الواو من أوّله, كثّروه من آخره بـالهاء فلـما أضيفت الإقامة إلـى الصلاة, حذفوا الزيادة التـي كانوا زادوها للتكثـير, وهي الهاء فـي آخرها لأن الـخافض وما خفض عندهم كالـحرف الواحد, فـاستغنَوا بـالـمضاف إلـيه من الـحرف الزائد. وقد قال بعضهم فـي نظير ذلك:

إنّ الـخَـلِـيطَ أجَدّوا البَـيْنَ فـانْـجَرَدواوأخْـلَفوكَ عِدَ الأمْرِ الّذِي وَعَدُوا

يريد: عدة الأمر. فأسقط الهاء من العدة لـما أضافها, فكذلك ذلك فـي إقام الصلاة.
وقوله: وَإيتاءِ الزّكاةِ قـيـل: معناه: وإخلاص الطاعة لله. ذكر من قال ذلك:
19815ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وأقِـيـمُوا الصّلاةَ وآتُوا الزّكاةَ وكان يأمر أهله بـالصلاة والزكاة. وقوله: وأوْصَانِـي بـالصّلاةِ والزّكاةِ, وقوله: وَلَوْلا فَضْلُ اللّهُ عَلَـيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ أبَدا, وقوله: وَحَنانا مِنْ لَدُنّا وَزَكاةً ونـحو هذا فـي القرآن, قال: يعنـي بـالزكاة: طاعة الله والإخرص.
وقوله: يخافُونَ يَوْما تَتَقَلّبُ فِـيهِ القُلُوبُ والأبْصَارُ يقول: يخافون يوما تتقلب فـيه القلوب من هوله, بـين طمع بـالنـجاة وحذر بـالهلاك. والأبصار: أيّ ناحية يؤخذ بهم: أذات الـيـمين أم ذات الشمال؟ ومن أين يُؤْتون كتبهم: أمن قِبَل الأيـمان أو من قبل الشمائل؟ وذلك يوم القـيامة.) كما:
19816ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال عبد الله بن عياش, قال زيد بن أسلـم, فـي قول الله: فِـي بُـيُوتٍ أذِنَ اللّهُ أنْ تُرْفَعَ... إلـى قوله: تَتَقَلّبُ فِـيهِ القُلُوبُ والأبْصَارُ يوم القـيامة.
وقوله: لـيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أحْسَنَ ما عَمِلُوا يقول: فعلوا ذلك, يعنـي أنهم لـم تلههم تـجارة ولا بـيع عن ذكر الله, وأقاموا الصلاة وآتَوا الزكاة وأطاعوا ربهم, مخافة عذابه يوم القـيامة كي يثـيبهم الله يوم القـيامة بأحسن أعمالهم التـي عملوها فـي الدنـيا, ويزيدهم علـى ثوابه إياهم علـى أحسن أعمالهم التـي عملوها فـي الدنـيا, من فضله, فـيُفْضِل علـيهم عن عنده بـما أحبّ من كرامته لهم. وقوله: وَاللّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بغيرِ حِسابٍ يقول تعالـى ذكره: يتفضل علـى من شاء وأراد من طَوْله وكرامته, مـما لـم يستـحقه بعمله ولـم يبلغه بطاعته بغير حساب يقول: بغير مـحاسبة علـى ما بذل له وأعطاه.

الآية : 39

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَالّذِينَ كَفَرُوَاْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظّمْآنُ مَآءً حَتّىَ إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللّهَ عِندَهُ فَوَفّاهُ حِسَابَهُ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ }.
وهذا مَثَل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به, فقال: والذين جحدوا توحيد ربهم وكذّبوا بهذا القرآن وبـمن جاء به, مَثَل أعمالهم التـي عملوها كسراب يقول: مثلُ سَراب, والسراب: ما لَصِق بـالأرض, وذلك يكون نصف النهار وحين يشتدّ الـحرّ. والآل ما كان كالـماء بـين السماء والأرض, وذلك يكون أوّل النهار, يرفع كلّ شيء ضُحًى. وقوله: بقـيَعَةٍ وهي جمع قاع, كالـجِيرة جمع جار, والقاع: ما انبسط من الأرض واتسع, وفـيه يكون السراب.
وقوله: يَحْسَبُهُ الظّمآنُ ماءٌ يقول: يظن العطشان من الناس السراب, ماء. حتـى إذا جاءه والهاء من ذكر السّراب, والـمعنى: حتـى إذا جاء الظمآن السراب ملتـمسا ماء يستغيث به من عطشه لـم يَجِدْهُ شَيْئا يقول: لـم يجد السراب شيئا, فكذلك الكافرون بـالله من أعمالهم التـي عملوها فـي غُرور يحسبون أنها منـجيتهم عند الله من عذابه, كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماء يُرْويه من ظمئه حتـى إذا هلك وصار إلـى الـحاجة إلـى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله, لـم يجده ينفعه شيئا لأنه كان عمله علـى كفر بـالله, ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بـالـمِرصاد, فوفّـاه يوم

القـيامة حساب أعماله التـي عملها فـي الدنـيا وجازاه بها جزاءه الذي يستـحقه علـيه منه.
فإن قال قائل: وكيف قـيـل: حتـى إذَا جاءَهُ لَـمْ يَجِدْهُ شَيْئا فإن لـم يكن السراب شيئا, فعلام أدخـلت الهاء فـي قوله: حتـى إذَا جاءَهُ؟ قـيـل: إنه شيء يُرَى من بعيد كالضبـاب الذي يرى كثـيفـا من بعيد والهبـاء, فإذا قرب منه الـمرء رقّ وصار كالهواء. وقد يحتـمل أن يكون معناه: حتـى إذا جاء موضع السراب لـم يجد السراب شيئا, فـاكتفـى بذكر السراب من ذكر موضعه. وَاللّهُ سَرِيعُ الْـحِسابِ يقول: والله سريع حسابه لأنه تعالـى ذكره لا يحتاج إلـى عقد أصابع ولا حفظ بقلب, ولكنه عالـم بذلك كله قبل أن يعمله العبد ومن بعد ما عمله.
وبنـحو الذي قلنا فـي معنى ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
19817ـ حدثنـي عبد الأعلـى بن واصل, قال: حدثنا عبـيد الله بن موسى, قال: أخبرنا أبو جعفر الرازيّ, عن الربـيع بن أنس, عن أبـي العالـية, عن أُبـيّ بن كعب, قال: ثم ضرب مثلاً آخر, فقال: وَالّذِينَ كَفَرُوا أعْمَالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِـيعَةٍ قال: وكذلك الكافر يجيء يوم القـيامة وهو يَحْسِب أن عند الله خيرا, فلا يجد, فـيُدخـله النار.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي جعفر الرازيّ, عن أبـي العالـية, عن أُبـيّ بن كعب بنـحوه.
19818ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, فـي قوله: أعمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِـيعَةٍ يقول: الأرض الـمستوية.
19819ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, فـي قوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا أعْمالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِـيعَةٍ... إلـى قوله: وَاللّهُ سَرِيعُ الْـحِساب قال: هو مَثَل ضربه الله لرجل عطش فـاشتدّ عطشه, فرأى سرابـا فحسبه ماء, فطلبه وظنّ أنه قد قدر علـيه, حتـى أتاه, فلـما أتاه لـم يجده شيئا, وقُبض عند ذلك. يقول: الكافر كذلك, يحسب أن عمله مُغْنٍ عنه أو نافعه شيئا, ولا يكون آتـيا علـى شيء حتـى يأتـيه الـموت, فإذا أتاه الـموت لـم يجد عمله أغنى عنه شيئا ولـم ينفعه إلا كما نفع العطشانَ الـمشتدّ إلـى السّراب.
19820ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله: كَسَرَابٍ بِقِـيعَةٍ قال: بقاعٍ من الأرض, والسراب: عَمَلُه. زاد الـحارث فـي حديثه عن الـحسن: والسراب عمل الكافر. إذَا جاءَهُ لَـمْ يَجِدْهُ شَيْئا. إتـيانه إياه: موته وفراقه الدنـيا. وَوَجَد اللّهَ عند فراقه الدنـيا, فَوَفّـاهُ حِسَابَهُ.
19821ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قَتادة, فـي قوله: كَسَرابٍ بِقِـيعَةٍ قال: بقِـيعة من الأرض. يَحْسَبُهُ الظّمآنُ ماءً: هو مثل ضربه الله لعمل الكافر, يقول: يحسب أنه فـي شيء كما يحسب هذا السراب ماء. حتـى إذَا جاءَهُ لَـمْ يَجدْهُ شَيْئا, وكذلك الكافر إذا مات لـم يجد عمله شيئا وَوَجَدَ اللّهَ عِنْدَهُ فَوَفّـاهُ حِسابَهُ.
19822ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا... إلـى قوله: وَوَجَدَ اللّهُ عِنْدَهُ قال: هذا مَثَل ضربه الله

للذين كفروا أعمْالُهُمْ كَسَراب بِقِـيعَةٍ قد رأى السراب, ووثق بنفسه أنه ماء, فلـما جاءه لـم يجده شيئا. قال: وهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالـحة, وأنهم سَيَرْجعون منها إلـى خير, فلـم يرجعوا منها إلا كما رجع صاحب السراب فهذا مَثَلٌ ضربه الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه. القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لّجّيّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لّمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ }.

وهذا مَثَل آخر ضربه الله لأعمال الكفـار, يقول تعالـى ذكره: ومَثَل أعمال هؤلاء الكفـار فـي أنها عُمِلت علـى خطأ وفسادٍ وضلالة وحيرة من عمالها فـيها وعلـى غير هدى, مَثَل ظلـمات فـي بحر لُـجّيّ. ونسب البحر إلـى اللّـجة, وصفـا له بأنه عميق كثـير الـماء. ولـجُة البحر: معظمه. يَغْشاهُ مَوْج يقول: يغشى البحر موج, مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ: يقول: من فوق الـموج موج آخر يغشاه, مِنْ فَوْقِهِ سحَابٌ: يقول: من فوق الـموج الثانـي الذي يغشى الـموج الأوّل سحاب. فجعل الظلـمات مثلاً لأعمالهم, والبحر اللـجيّ مثلاً لقلب الكافر, يقول: عَمِل بنـية قلب قد غَمَره الـجهل وتغشّته الضلال والـحَيرة كما يغشى هذا البحر اللّـجيّ موج من فوقه موج من فوقه سحاب, فكذلك قلب هذا الكافر الذي مَثَل عمله مَثَل هذه الظلـمات, يغشاه الـجهل بـالله, بأن الله ختـم علـيه فلا يعقل عن الله, وعلـى سمعه فلا يسمع مواعظ الله, وجعل علـى بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله, فتلك ظلـمات بعضها فوق بعض.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19823ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: حدثنا أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: أوْ كَظُلُـماتٍ فِـي بَحْرٍ لُـجّيّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سحَابٌ... إلـى قوله: مِنْ نُورٍ قال: يعنـي بـالظلـمات: الأعمال, وبـالبحر اللّـجيّ: قلب الإنسان. قال: يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب, قال: ظلـمات بعضها فوق بعض يعنـي بذلك الغشاوة التـي علـى القلب والسمع والبصر.

وهو كقوله: خَتَـمَ اللّهُ عَلـى قُلُوبِهِمْ... الآية, وكقوله: أفَرأيْتَ مَنِ اتّـخَذَ إلهَهُ هَوَاهُ... إلـى قوله: أفَلا تَذَكّرُونَ.

19824ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, فـي قوله: أوْ كَظُلُـماتٍ فِـي بَحْرٍ لـجّيّ عميق, وهو مثل ضربه الله للكافر يعمل فـي ضلالة وحيرة, قال: ظُلُـماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْض. ورُوِيَ عن أُبـيّ بن كعب, ما:

19825ـ حدثنـي عبد الأعلـى بن واصل, قال: حدثنا عبـيد الله بن موسى, قال: أخبرنا أبو جعفر الرازيّ, عن الربـيع, عن أبـي العالـية, عن أبـيّ بن كعب, فـي قوله: أوْ كَظُلُـماتٍ فِـي بَحْرٍ لُـجّيَ يَغْشاهُ مَوْجٌ... الآية, قال: ضرب مثلاً آخر للكافر, فقال: أوْ كَظُلُـماتٍ فِـي بَحْرٍ لُـجّيّ... الآية, قال: فهو يتقلب فـي خمس من الظّلـم: فكلامه ظلـمة, وعمله ظلـمة, ومَدخـله ظلـمة, ومَخرجه ظلـمة, ومصيره إلـى الظلـمات يوم القـيامة إلـى النار.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي جعفر الرازيّ, عن أبـي الربـيع, عن أبـي العالـية, عن أُبـيّ بن كعب, بنـحوه.

19826ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: أو كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجّيّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ... إلى قوله: ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ قَال: شرّ بعضه فوق بعض.

وقوله: إذَا أخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاها يقول: إذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات, لم يكد يراها.

فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: لم يكد يراها, مع شدّة هذه الظلمة التي وصف, وقد علمت أن قول القائل: لم أكد أرى فلانا, إنما هو إثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدّة, ومن دون الظلمات التي وصف في هذه الآية ما لا يرى الناظر يده إذا أخرجها فيه, فكيف فيها؟ قيل: في ذلك أقوال نذكرها, ثم نخبر بالصواب من ذلك. أحدها: أن يكون معنى الكلام: إذا أخرج يده رائيا لها لم يكد يراها أي لم يعرف من أين يراها. والثاني: أن يكون معناه: إذا أخرج يده لم يرها, ويكون قوله: لَمْ يَكَدْ في دخوله في الكلام, نظير دخول الظنّ فيما هو يقين من الكلام, كقوله: وَظَنّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ونحو ذلك. والثالث: أن يكون قد رآها بعد بطء وجهد, كما يقول القائل لآخر: ما كدت أراك من الظلمة, وقد رآه, ولكن بعد إياس وشدة. وهذا القول الثالث أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب «أكاد» في كلامها. والقول الآخر الذي قلنا إنه يتوجه إلى أنه بمعنى لم يرها, قول أوضح من جهة التفسير, وهو أخفى معانيه. وإنما حسُنَ ذلك في هذا الموضع, أعني أن يقول: لم يكد يراها مع شدة الظلمة التي ذكر لأن ذلك مَثَل لا خبر عن كائن كان. وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُورا يقول: من من لم يرزقه الله إيمانا وهدى من الضلالة ومعرفة بكتابه, فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ يقول: فما له من إيمان وهدى ومعرفة بكتابه.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظّمْآنُ مَآءً حَتّىَ إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللّهَ عِندَهُ فَوَفّاهُ حِسَابَهُ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ }.

وهذا مَثَل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به, فقال: والذين جحدوا توحيد ربهم وكذّبوا بهذا القرآن وبمن جاء به, مَثَل أعمالهم التي عملوها كسراب يقول: مثلُ سَراب, والسراب: ما لَصِق بالأرض, وذلك يكون نصف النهار وحين يشتدّ الحرّ. والآل ما كان كالماء بين السماء والأرض, وذلك يكون أوّل النهار, يرفع كلّ شيء ضُحًى. وقوله: بقيَعَةٍ وهي جمع قاع, كالجِيرة جمع جار, والقاع: ما انبسط من الأرض واتسع, وفيه يكون السراب.

وقوله: يَحْسَبُهُ الظّمآنُ ماءٌ يقول: يظن العطشان من الناس السراب, ماء. حتى إذا جاءه والهاء من ذكر السّراب, والمعنى: حتى إذا جاء الظمآن السراب ملتمسا ماء يستغيث به من عطشه لم يَجِدْهُ شَيْئا يقول: لم يجد السراب شيئا, فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غُرور يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه, كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماء يُرْويه من ظمئه حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله, لم يجده ينفعه شيئا لأنه كان عمله على كفر بالله, ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالمِرصاد, فوفّاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليه منه.

فإن قال قائل: وكيف قيل: حتى إذَا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئا فإن لم يكن السراب شيئا, فعلام أدخلت الهاء في قوله: حتى إذَا جاءَهُ؟ قيل: إنه شيء يُرَى من بعيد كالضباب الذي يرى كثيفا من بعيد والهباء, فإذا قرب منه المرء رقّ وصار كالهواء. وقد يحتمل أن يكون معناه: حتى إذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيئا, فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه. وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ يقول: والله سريع حسابه لأنه تعالى ذكره لا يحتاج إلى عقد أصابع ولا حفظ بقلب, ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله العبد ومن بعد ما عمله.

وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19817ـ حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا أبو جعفر الرازيّ, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب, قال: ثم ضرب مثلاً آخر, فقال: وَالّذِينَ كَفَرُوا أعْمَالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ قال: وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة وهو يَحْسِب أن عند الله خيرا, فلا يجد, فيُدخله النار.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر الرازيّ, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب بنحوه.

19818ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: أعمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يقول: الأرض المستوية.

19819ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا أعْمالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ... إلى قوله: وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِساب قال: هو مَثَل ضربه الله لرجل عطش فاشتدّ عطشه, فرأى سرابا فحسبه ماء, فطلبه وظنّ أنه قد قدر عليه, حتى أتاه, فلما أتاه لم يجده شيئا, وقُبض عند ذلك. يقول: الكافر كذلك, يحسب أن عمله مُغْنٍ عنه أو نافعه شيئا, ولا يكون آتيا على شيء حتى يأتيه الموت, فإذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئا ولم ينفعه إلا كما نفع العطشانَ المشتدّ إلى السّراب.

19820ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ قال: بقاعٍ من الأرض, والسراب: عَمَلُه. زاد الحارث في حديثه عن الحسن: والسراب عمل الكافر. إذَا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئا. إتيانه إياه: موته وفراقه الدنيا. وَوَجَد اللّهَ عند فراقه الدنيا, فَوَفّاهُ حِسَابَهُ.

19821ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قَتادة, في قوله: كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ قال: بقِيعة من الأرض. يَحْسَبُهُ الظّمآنُ ماءً: هو مثل ضربه الله لعمل الكافر, يقول: يحسب أنه في شيء كما يحسب هذا السراب ماء. حتى إذَا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئا, وكذلك الكافر إذا مات لم يجد عمله شيئا وَوَجَدَ اللّهَ عِنْدَهُ فَوَفّاهُ حِسابَهُ.

19822ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا... إلى قوله: وَوَجَدَ اللّهُ عِنْدَهُ قال: هذا مَثَل ضربه الله للذين كفروا أعْمالُهُمْ كَسَراب بِقِيعَةٍ قد رأى السراب, ووثق بنفسه أنه ماء, فلما جاءه لم يجده شيئا. قال: وهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالحة, وأنهم

سَيَرْجعون منها إلى خير, فلم يرجعوا منها إلا كما رجع صاحب السراب فهذا مَثَلٌ ضربه الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه. القول في تأويل قوله تعالى: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لّجّيّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لّمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ }.

وهذا مَثَل آخر ضربه الله لأعمال الكفار, يقول تعالى ذكره: ومَثَل أعمال هؤلاء الكفار في أنها عُمِلت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من عمالها فيها وعلى غير هدى, مَثَل ظلمات في بحر لُجّيّ. ونسب البحر إلى اللّجة, وصفا له بأنه عميق كثير الماء. ولُجّة البحر: معظمه. يَغْشاهُ مَوْج يقول: يغشى البحر موج, مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ: يقول: من فوق الموج موج آخر يغشاه, مِنْ فَوْقِهِ سحَابٌ: يقول: من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأوّل سحاب. فجعل الظلمات مثلاً لأعمالهم, والبحر اللجيّ مثلاً لقلب الكافر, يقول: عَمِل بنية قلب قد غَمَره الجهل وتغشّته الضلال والحَيرة كما يغشى هذا البحر اللّجيّ موج من فوقه موج من فوقه سحاب, فكذلك قلب هذا الكافر الذي مَثَل عمله مَثَل هذه الظلمات, يغشاه الجهل بالله, بأن الله ختم عليه فلا يعقل عن الله, وعلى سمعه فلا يسمع مواعظ الله, وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله, فتلك ظلمات بعضها فوق بعض.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19823ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجّىّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سحَابٌ... إلى قوله: مِنْ نُورٍ قال: يعني بالظلمات: الأعمال, وبالبحر اللّجيّ: قلب الإنسان. قال: يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب, قال: ظلمات بعضها فوق بعض يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر.

وهو كقوله: خَتَمَ اللّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ... الآية, وكقوله: أفَرأيْتَ مَنِ اتّخَذَ إلهَهُ هَوَاهُ... إلى قوله: أفَلا تَذَكّرُونَ.

19824ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: أوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجّيّ عميق, وهو مثل ضربه الله للكافر يعمل في ضلالة وحيرة, قال: ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْض. ورُوِيَ عن أُبيّ بن كعب, ما:

19825ـ حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا أبو جعفر الرازيّ, عن الربيع, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب, في قوله: أوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجّىَ يَغْشاهُ مَوْجٌ... الآية, قال: ضرب مثلاً آخر للكافر, فقال: أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجّيّ... الآية, قال: فهو يتقلب في خمس من الظّلَم: فكلامه ظلمة, وعمله ظلمة, ومَدخله ظلمة, ومَخرجه ظلمة, ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر الرازيّ, عن أبي الربيع, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب, بنحوه.

19826ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: أو كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجّىّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ... إلى قوله: ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ قال: شرّ بعضه فوق بعض.

وقوله: إذَا أخْرَجَ يَدَهُ لَـمْ يَكَدْ يَرَاها يقول: إذا أخرج الناظر يده فـي هذه الظلـمات, لـم يكد يراها.
فإن قال لنا قائل: وكيف قـيـل: لـم يكد يراها, مع شدّة هذه الظلـمة التـي وصف, وقد علـمت أن قول القائل: لـم أكد أرى فلانا, إنـما هو إثبـات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدّة, ومن دون الظلـمات التـي وصف فـي هذه الآية ما لا يرى الناظر يده إذا أخرجها فـيه, فكيف فـيها؟ قـيـل: فـي ذلك أقوال نذكرها, ثم نـخبر بـالصواب من ذلك. أحدها: أن يكون معنى الكلام: إذا أخرج يده رائيا لها لـم يكد يراها أي لـم يعرف من أين يراها. والثانـي: أن يكون معناه: إذا أخرج يده لـم يرها, ويكون قوله: لَـمْ يَكَدْ فـي دخوله فـي الكلام, نظير دخول الظنّ فـيـما هو يقـين من الكلام, كقوله: وَظَنّوا ما لَهُمْ مِنْ مَـحِيصٍ ونـحو ذلك. والثالث: أن يكون قد رآها بعد بطء وجهد, كما يقول القائل لآخرَ: ما كدت أراك من الظلـمة, وقد رآه, ولكن بعد إياس وشدة.
وهذا القول الثالث أظهر معانـي الكلـمة من جهة ما تستعمل العرب «أكاد» فـي كلامها. والقول الآخر الذي قلنا إنه يتوجه إلـى أنه بـمعنى لـم يرها, قول أوضح من جهة التفسير, وهو أخفـى معانـيه. وإنـما حسُنَ ذلك فـي هذا الـموضع, أعنـي أن يقول: لـم يكد يراها مع شدة الظلـمة التـي ذكر لأن ذلك مَثَل لا خبر عن كائن كان. وَمَنْ لَـمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُورا يقول: من من لـم يرزقه الله إيـمانا وهدى من الضلالة ومعرفة بكتابه, فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ يقول: فما له من إيـمان وهدى ومعرفة بكتابه.

الآية : 41-42

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّهَ يُسَبّحُ لَهُ مَن فِي السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطّيْرُ صَآفّاتٍ كُلّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَللّهِ مُلْكُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَإِلَىَ اللّهِ الْمَصِيرُ }.
يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: ألَـم تنظر يا مـحمد بعين قلبك فتعلـم أن الله يصلـي له من فـي السموات والأرض من مَلَك وإنس وجنّ. والطّيْرُ صَافّـاتٍ فـي الهواء أيضا تسبح له. كُلّ قَدْ عَلِـمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِـيحَه والتسبـيح عندك صلاة, فـيقال: قـيـل: إن الصلاة لبنـي آدم والتسبـيح لغيرهم من الـخـلق, ولذلك فصّل فـيـما بـين ذلك.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
19827ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: ثنـي عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: يُسَبّحُ لَهُ مَنْ فِـي السّمَوَاتِ والأَرْضِ والطّيْرُ صَافّـات كُلّ قَدْ عَلِـمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِـيحَهُ قال: والصلاة للإنسان, والتسبـيح لـما سوى ذلك من الـخـلق.
19828ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد: قوله: أَلَـمْ تَرَ أنّ اللّهَ يُسَبّحُ لَهُ مَنْ فِـي السّمَوَاتِ والأَرْضِ والطّيْرُ صَافّـاتٍ كُلّ قَدْ عَلِـمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِـيحَهُ قال: صلاته: للناس, وتسبـيحه: عامة لكلّ شيء.
ويتوجه قوله: كُلّ قَدْ عَلِـمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِـيحَهُ لوجوه: أحدها: أن تكون الهاء التـي فـي قوله: صَلاتَهُ وَتَسْبِـيحَهُ من ذكر «كلّ», فـيكون تأويـل الكلام: كل مصلّ ومسبح منهم قد علـم الله صلاته وتسبـيحه, ويكون «الكلّ» حينئذٍ

مرتفعا بـالعائد من ذكره فـي قوله: كُلّ قَدْ عَلِـمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِـيحَهُ, وهو الهاء التـي فـي الصلاة.
والوجه الآخر: أن تكون الهاء فـي الصلاة والتسبـيح أيضا ل«الكلّ», ويكون «الكلّ» مرتفعا بـالعائد من ذكره علـيه فـي: عَلِـمَ, ويكون: عَلِـمَ فعلاً ل«الكلّ», فـيكون تأويـل الكلام حينئذٍ: قد علـم كلّ مصلّ ومسبح منهم صلاة نفسه وتسبـيحه الذي كُلّفه وأُلْزمه.
والوجه الآخر: أن تكون الهاء فـي الصلاة والتسبـيح من ذكر الله, والعلـم ل«الكل», فـيكون تأويـل الكلام حينئذٍ: قد علـم كلّ مسبّح ومُصَلّ صلاة الله التـي كلّفه إياها, وتسبـيحه. وأظهر هذه الـمعانـي الثلاثة علـى هذا الكلام الـمعنى الأوّل, وهو أن يكون الـمعنى: كلّ مصلّ منهم ومسبّح, قد علـم الله صلاته وتسبـيحه.
وقوله: وَاللّهُ عَلِـيـمٌ بِـما يَفْعَلُونَ يقول تعالـى ذكره: والله ذو علـم بـما يفعل كلّ مصلّ ومسبح منهم, لا يخفـى علـيه شيء من أفعالهم, طاعتها ومعصيتها, مـحيط بذلك كله, وهو مـجازيهم علـى ذلك كله.
وقوله: وَلِلّهِ مُلْكُ السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول جلّ ثناؤه: ولله سلطان السموات والأرض وملكها, دون كلّ من هو دونه من سلطان وملِك, فإياه فـارهبوا أيها الناس, وإلـيه فـارغبوا لا إلـى غيره, فإن بـيده خزائن السموات والأرض, لا يخشى بعطاياكم منها فقرا. وَإلـى اللّهِ الـمَصِيرُ: يقول: وأنتـم إلـيه بعد وفـاتكم, مصيركم ومَعادكم, فـيوفـيكم أجور أعمالكم التـي عملتـموها فـي الدنـيا, فأحسنوا عبـادته, واجتهدوا فـي طاعته, وقدّموا لأنفسكم الصالـحاتِ من الأعمال.)

الآية : 43-44

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمّ يُؤَلّفُ بَيْنَهُ ثُمّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ وَيُنَزّلُ مِنَ السّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأبْصَارِ * يُقَلّبُ اللّهُ اللّيْلَ وَالنّهَارَ إِنّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لاُوْلِي الأبْصَارِ}.
يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: أَلَـمْ تَرَ يا مـحمد أنّ اللّهَ يُزْجِي يعنـي يسوق سَحَابـا حيث يريد. ثُمّ يُؤَلّفُ بَـيْنَهُ: يقول: ثم يؤلف بـين السحاب. وأضاف «بـين» إلـى السحاب, ولـم يذكر معه غيره, و«بـين» لا تكون مضافة إلا إلـى جماعة أو اثنـين, لأن السحاب فـي معنى جمع, واحده سحابة, كما يجمع النـخـلة: نَـخْـل, والتـمرة: تـمر, فهو نظير قول قائل: جلس فلان بـين النـخـل. وتأليفُ الله السحاب: جمعه بـين متفرّقها.
وقوله: ثُمّ يَجْعَلُهُ رُكاما يقول: ثم يجعل السحاب الذي يزجيه ويؤلف بعضه إلـى بعض رُكاما يعنـي: متراكما بعضه علـى بعض. وقد:
19829ـ حدثنا عبد الـحميد بن بـيان, قال: أخبرنا خالد, قال: حدثنا مطر, عن حبـيب بن أبـي ثابت, عن عُبـيد بن عُمير اللـيثـيّ, قال: الرياح أربع: يبعث الله الريح الأولـى فتقمّ الأرض قَمّا, ثم يبعث الثانـية فتنشىء سحابـا, ثم يبعث الثالثة فتؤلف بـينه فتـجعله رُكاما, ثم يبعث الرابعة فتـمطره.
وقوله: فَتَرى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاِلِهِ يقول: فترى الـمطر يخرج من بـين السحاب, وهو الوَدْق, قال الشاعر:

فَلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهاوَلا أرْضَ أبْقَلَ إبْقَالَهَا
والهاء فـي قوله: مِنْ خِلالِهِ من ذكر السحاب, والـخلال: جمع خَـلَل. وذُكر عن ابن عبـاس وجماعة أنهم كانوا يقرءون ذلك: «مِنْ خَـلَلِهِ».
19830ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا حِرْميّ بن عُمارة, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا قَتادة, عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ هذا الـحرف: فَتَرى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ: «مِنْ خَـلَلِهِ».
19831ـ قال: حدثنا شُعبة, قال: أخبرنـي عُمارة, عن رجل, عن ابن عبـاس, أنه قر هذا الـحرف: فَتَرى الوَدْقَ يَخْرجُ مِنْ خِلالِهِ: «من خَـلَله».
حدثنا أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, قال: أخبرنـي عُمارة بن أبـي حفصة, عن رجل, عن ابن عبـاس, أنه قرأها: «مِنْ خَـلَلِهِ» بفتـح الـخاء, من غير ألف.
قال هارون: فذكرت ذلك لأبـي عمرو, فقال: إنها لـحسنة, ولكن خِلاله أعمّ.
وأما قرّاء الأمصار, فإنهم علـى القراءة الأخرى: مِنْ خِلاَلِهِ وهي التـي نـختار, لإجماع الـحجة من القراء علـيها.
19832ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: فَتَرى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ قال: الودّق: القطر, والـخِلال: السحاب.
وقوله: وَيُنَزّلُ مِنَ السّماءِ مِنْ جِبـالٍ فِـيها مِنْ بَرَدٍ: قـيـل فـي ذلك قولان: أحدهما: أن معناه: وأن الله ينزل من السماء من جبـال فـي السماء من بَرَد, مخـلوقة هنالك خـلقه. كأن الـجبـال علـى هذا القول, هي من بَرَد, كما يقال: جبـال من طين. والقول الآخر: أن الله ينزل من السماء قَدْر جبـال وأمثال جبـال من بَرَد إلـى الأرض, كما يقال: عندي بَـيْتان تبنا. والـمعنى: قدر بـيتـين من التبن, والبـيتان لـيسا من التبن.
وقوله: فَـيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمّنْ يَشاءُ يقول: فـيعذّب بذلك الذي ينزل من السماء من جبـال فـيها من بَرَد من يشاء فـيهلكه, أو يهلك به زروعه وماله. وَيَصْرِفُهُ عَمّنْ يَشاءُ من خـلقه, يعنـي عن زروعهم وأموالهم.
وقوله: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بـالأبْصَارِ يقول: يكاد شدّة ضوء برق هذا السحاب يذهب بأبصار من لاقـى بصره. والسنا: مقصور, وهو ضوء البرق.) كما:
19833ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء الـخُراسانـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ قال: ضوء برقه.
19834ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قَتادة, فـي قوله: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يقول: لَـمَعان البرق يذهب بـالأبصار.
19835ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بـالأبْصَارِ قال: سناه: ضوء يذهب بـالأبصار.
وقرأت قرّاء الأمصار: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بفتـح الـياء من «يَذْهب», سوى أبـي جعفر القارىء فإنه قرأه بضم الـياء: «يُذْهِبُ بـالأبْصَارِ».
والقراءة التـي لا أختار غيرها هي فتـحها, لإجماع الـحجة من القَرّاء علـيها, وأن العرب إذا أدخـلت البـاء فـي مفعول «ذهبت», لـم يقولوا: إلا ذهب به, دون أذهبت به. وإذا أدخـلوا الألف فـي «أذهبت», لـم يكادوا أن يدخـلوا البـاء فـي مفعوله, فـيقولون: أذهبته, وذهبت به.

وقوله: يُقَلّبُ اللّهُ اللّـيْـلَ والنّهارَ يقول: يُعْقِب الله بـين اللـيـل والنهارِ ويصرفهما, إذا أذهب هذا جاء هذا, وإذا أذهب هذا جاء هذا. إنّ فِـي ذلكَ لَعِبْرَةً لاِولـي الأبْصَارِ يقول: إنّ فـي إنشاء الله السحاب وإنزاله منه الوَدّقَ ومن السماء البردَ وفـي تقلـيبه اللـيـل والنهار, لعبرةً لـمن اعتبر به وعظةً لـمن اتعظ به مـمن له فهم وعقل لأن ذلك ينبىء ويدلّ علـى أنه له مدبّرا ومصرّفـا ومقلّبـا, لا يشبهه شيء.

الآية : 45

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَاللّهُ خَلَقَ كُلّ دَآبّةٍ مّن مّآءٍ فَمِنْهُمْ مّن يَمْشِي عَلَىَ بَطْنِهِ وَمِنهُمْ مّن يَمْشِي عَلَىَ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مّن يَمْشِي عَلَىَ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللّهُ مَا يَشَآءُ إِنّ اللّهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.

اختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: وَاللّهُ خَـلَق كُلّ دابّةٍ مِنْ ماءٍ فقرأته عامة قرّاء الكوفة غير عاصم: «وَاللّهْ خالِقُ كُلّ دَابّةٍ». وقرأته عامة قرّاء الـمدينة والبصرة وعاصم: وَاللّهُ خَـلَقَ كُلّ دابّةٍ بنصب «كلّ», و«خَـلَقَ» علـى مثال «فَعَل». وهما قراءتان مشهورتان متقاربتا الـمعنى, وذلك أن الإضافة فـي قراءة من قرأ ذلك «خالق» تدلّ علـى أن معنى ذلك الـمضيّ, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وقوله: خَـلَقَ كُلّ دَابّةٍ مِنْ ماءٍ يعنـي: من نطفة. فَمِنْهُمْ مَنْ يَـمْشِي عَلـى بَطْنِهِ كالـحياة وما أشبهها. وقـيـل إنـما قـيـل: فَمِنْهُمْ مَنْ يَـمْشِي عَلـى بَطْنِهِ والـمشي لا يكون علـى البطن لأن الـمشي إنـما يكون لـما له قوائم, علـى التشبـيه, وأنه لـما خالط ما له قوائمُ ما لا قوائمَ له, جاز, كما قال: وَمِنْهُمْ مَنْ يَـمْشِي عَلـى رِجْلَـيْنِ كالطير, وَمِنْهُمْ مَنْ يَـمْشِي عَلـى أرْبَعٍ كالبهائم.

فإن قال قائل: فكيف قـيـل: فمنهم من يـمشي, و«مَن» للناس, وكلّ هذه الأجناس أو أكثرها لغيرهم؟ قـيـل: لأنه تفريق ما هو داخـل فـي قوله: وَاللّهُ خَـلَقَ كُلّ دَابّةٍ وكان داخلاً فـي ذلك الناس وغيرهم, ثم قال: فمنهم لاجتـماع الناس والبهائم وغيرهم فـي ذلك واختلاطهم, فكنى عن جميعهم كنايته عن بنـي آدم, ثم فسرهم ب«مَن», إذ كان قد كنى عنهم كناية بنـي آدم خاصة. يَخْـلُقُ اللّهُ ما يَشاءُ يقول: يحدث الله ما يشاء من الـخـلق. إنّ اللّهَ عَلـى كُلّ شَيْءٍ قَديرٌ يقول: إن الله علـى إحداث ذلك وخـلقه وخـلق ما يشاء من الأشياء غيره, ذو قدرة لا يتعذّر علـيه شيء أراد.

الآية : 46

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {لّقَدْ أَنزَلْنَآ آيَاتٍ مّبَيّنَاتٍ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ }.

يقول تعالـى ذكره: لقدً أنزلنا أيّها الناس علامات واضحات, دالاّت علـى طريق الـحقّ, وسبـيـل الرشاد. وَاللّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إلـى صِراطٍ مُسْتَقِـيـمٍ يقول: والله يرشد من يشاء من خـلقه بتوفـيقه, فـيهديه إلـى دين الإسلام, وهو الصراط الـمستقـيـم والطريق القاصد الذي لا اعوجاج فـيه.

الآية : 47-48

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَيَقُولُونَ آمَنّا بِاللّهِ وَبِالرّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمّ يَتَوَلّىَ فَرِيقٌ مّنْهُمْ مّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَآ أُوْلَـئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوَاْ إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مّنْهُمْ مّعْرِضُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ويقول المنافقون: صدّقنا بالله وبالرسول وأطعنا الله وأطعنا الرسول. ثُمّ يَتَوَلّى فريق مِنْهُمْ يقول: ثم تُدْبِر كلّ طائفة منهم من بعد ما قالوا هذا القول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وتدعو إلى المحاكمة إلى غيره خصمَها. وَما أُولَئِكَ بالمُؤْمِنِينَ يقول: وليس قائلو هذه المقالة, يعني قوله: آمَنّا باللّهِ وَبالرّسُولِ وأطَعْنا بالمؤمنين, لتركهم الاحتكام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعراضهم عنه إذا دُعُوا إليه. وقوله: وَإذَا دُعُوا إلى اللّهِ وَرَسُولِهِ يقول: وإذا دُعِي هؤلاء المنافقون إلى كتاب الله وإلى رسوله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فيما اختصموا فيه بحكم الله, إذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ عن قبول الحقّ والرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الآية : 49-50

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن يَكُنْ لّهُمُ الْحَقّ يَأْتُواْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مّرَضٌ أَمِ ارْتَابُواْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَـَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وإن يكن الحقّ لهؤلاء الذين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم, فيأبَون ويُعْرِضون عن الإجابة إلى ذلك, قِبَلَ الذين يدعونهم إلى الله ورسوله, يأتوا إلى رسول الله مذعنين, يقول مُذْعِنِينَ منقادين لحكمه, مقرّين به طائعين غير مكرهين يقال منه: قد أذعن فلان بحقه: إذا أقرّ به طائعا غير مستكْرَه وانقاد له وسلّم. وكان مجاهد فيما ذكر عنه يقول في ذلك, ما:

19836ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: يَأتُوا إلَيهِ مُذْعِنِينَ قال: سِراعا.

وقوله: أفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يقول تعالى ذكره: أفي قلوب هؤلاء الذين يُعْرِضون إذا دُعُوا إلَى الله ورسوله ليحكم بينهم, شكّ في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لله رسول فهم يمتنعون من الإجابة إلى حكمه والرضا به. أمْ يَخافُونَ أن يَحِيفَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ إذا احتكموا إلى حكم كتاب الله وحكم رسوله. وقوله: أن يَحيفَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ والمعنى: أن يحيف رسولُ الله عليهم, فبدأ بالله تعالى ذكره تعظيما لله, كما يقال: ما شاء الله ثم شئت, بمعنى: ما شئت. ومما يدلّ على أن معنى ذلك كذلك قوله: وَإذَا دُعُوا إلى اللّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فأفرد الرسول بالحكم, ولم يقُل: ليحكما. وقوله: بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ يقول: ما خاف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله, إذ أعرضوا عن الإجابة إلى ذلك, مما دُعوا إليه, أن يحيف عليهم رسول الله, فيجورَ في حكمه عليهم ولكنهم قوم أهل ظلم لأنفسهم بخلافهم أمر ربهم ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أحبوا وكرهوا, والتسليم له.)

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوَاْ إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَـَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دُعُوا إلى حكم الله وإلى حكم رسوله, لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ وبين خصومهم, أنْ يَقُولُوا سَمِعْنا ما قيل لنا, وأطَعْنا من دعانا إلى ذلك. ولم يُعْنَ بكان في هذا

الـموضع الـخبر عن أمر قد مضى فـيقضى, ولكنه تأنـيب من الله الذي أنزلت هذه الآية بسببهم وتأديب منه آخرين غيرهم. وقوله: وأُولَئِكَ هُمُ الـمُفْلِـحُونَ يقول تعالـى ذكره: والذين إذا دُعوا إلـى الله ورسوله لـيحكم بـينهم وبـين خصومهم, أن يقولوا: سمعنا وأطعنا. الـمفلـحون: يقول: هم الـمنـجِحون الـمدّركون طَلِبـاتهم, بفعلهم ذلك, الـمخـلدون فـي جنات الله.

الآية : 52

القول فِي تأويـل قوله تعالـى: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللّهَ وَيَتّقْهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَآئِزُون }.

يقول تعالـى ذكره: ومن يطع الله ورسوله فـيـما أمره ونهاه, ويسلّـمْ لـحكمهما له وعلـيه, ويَخَفْ عاقِبة معصية الله ويحذره, ويتق عذاب الله بطاعته إياه فـي أمره ونهيه فَأُولَئِكَ يقول: فـالذين يفعلون ذلك هم الفـائزون برضا الله عنهم يوم القـيامة وأمنهم من عذابه.) القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنّ قُل لاّ تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مّعْرُوفَةٌ إِنّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: وحلف هؤلاء الـمعرِضون عن حكم الله وحكم رسوله إذ دعوا إلـيه بـاللّهِ جَهْدَ أيـمَانِهِمْ يقول: أغلظ أيـمانهم وأشدّها: لَئِنْ أمَرْتَهُمْ يا مـحمد بـالـخروج إلـى جهاد عدوّك وعدوّ الـمؤمنـين لَـيَخْرُجُنّ قُلْ لا تُقْسمُوا لا تـحلفوا, فإن هذه طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ منكم, فـيها التكذيب. كما:

19837ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, قوله: قُلْ لا تُقْسِمُوا طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ قال: قد عُرفت طاعتكم إلـيّ أنكم تكذبون. إنّ اللّهَ خَبـيرٌ بِـمَا تَعْمَلُونَ يقول: إن الله ذو خبرة بـما تعملون من طاعتكم الله ورسوله, أو خلافكم أمرهما أو غير ذلك من أموركم, لا يخفـي علـيه من ذلك شيء, وهو مـجازيكم بكل ذلك.

الآية : 53

القول فِي تأويـل قوله تعالـى: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللّهَ وَيَتّقْهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَآئِزُون }.

يقول تعالـى ذكره: ومن يطع الله ورسوله فـيـما أمره ونهاه, ويسلّـمْ لـحكمهما له وعلـيه, ويَخَفْ عاقِبة معصية الله ويحذره, ويتق عذاب الله بطاعته إياه فـي أمره ونهيه فَأُولَئِكَ يقول: فـالذين يفعلون ذلك هم الفـائزون برضا الله عنهم يوم القـيامة وأمنهم من عذابه.) القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنّ قُل لاّ تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مّعْرُوفَةٌ إِنّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: وحلف هؤلاء الـمعرِضون عن حكم الله وحكم رسوله إذ دعوا إلـيه بـاللّهِ جَهْدَ أيـمَانِهِمْ يقول: أغلظ أيـمانهم وأشدّها: لَئِنْ أمَرْتَهُمْ يا مـحمد بـالـخروج إلـى جهاد عدوّك وعدوّ الـمؤمنـين لَـيَخْرُجُنّ قُلْ لا تُقْسمُوا لا تـحلفوا, فإن هذه طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ منكم, فـيها التكذيب. كما:

19837ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, قوله: قُلْ لا تُقْسِمُوا طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ قال: قد عُرفت طاعتكم إلـيّ أنكم تكذبون. إنّ اللّهَ خَبـيرٌ بِـمَا تَعْمَلُونَ يقول: إن الله ذو خبرة بـما تعملون من طاعتكم الله ورسوله, أو خلافكم أمرهما أو غير ذلك من أموركم, لا يخفـي علـيه من ذلك شيء, وهو مـجازيكم بكل ذلك.

الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرّسُولَ فَإِن تَوَلّوْاْ فَإِنّمَا عَلَيْهِ مَا حُمّلَ وَعَلَيْكُمْ مّا حُمّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى الرّسُولِ إِلاّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ }.

يقول تعالى ذكره: قُلْ يا محمد لهؤلاء المقسمين بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليُخرجُنّ وغيرهم من أمتك: أطِيعُوا اللّهَ أيها القوم فيما أمركم به ونهاكم عنه. وأطِيعُوا الرّسُولَ فإن طاعته لله طاعة. فإن تَوَلّوْا يقول: فإن تُعْرِضوا وتُدْبِروا عما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نهاكم عنه, وتأبَوا أن تُذْعنوا لحكمه لكم وعليكم. فإنّمَا عَلَيْهِ ما حُمّلَ يقول: فإنما عليه فعل ما أمِر بفعله من تبليغ رسالة الله إليكم, على ما كلّفه من التبليغ. وَعَلَيْكُمْ ما حُمّلْتُمْ يقول: وعليكم أيها الناس أن تفعلوا ما ألزمكم وأوجب عليكم من اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء إلى طاعته فيما أمركم ونهاكم.

وقلنا: إن قوله: فإنْ تَوَلّوْا بمعنى: فإن تتولوا, فإنه في موضع جزم لأنه خطاب للذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم: أطِيعُوا اللّهَ وأطِيعُوا الرّسُولَ يدلّ على أن ذلك كذلك قوله: وَعَلَيْكُمْ ما حُمّلْتمْ, ولو كان قوله: تَوَلّوْا فعلاً ماضيا على وجه الخبر عن غيب, لكان في موضع قوله: وَعَلَيْكُمْ ما حُمّلْتُمْ وَعَلَيْهِمْ ما حُمّلُوا.

وقوله: وَإنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا يقول تعالى ذكره: وإن تطيعوا أيها الناس رسول الله فيما يأمركم وينهاكم, تَرْشُدوا وتصيبوا الحقّ في أموركم. وَما عَلى الرّسُولِ إلاّ البَلاغُ المُبِينُ يقول: وغير واجب على من أرسله الله إلى قوم برسالة إلا أن يبلّغهم رسالته بلاغا يبين لهم ذلك البلاغ عما أراد الله به, يقول: فليس على محمد أيها الناس إلا أداء رسالة الله إليكم وعليكم الطاعة وإن أطعتموه لحظوظ أنفسكم تصيبون, وإن عصيتموه بأنفْسكم فتوبقون.

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: {وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنّهُمْ فِي الأرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكّنّ لَهُمْ دِينَهُمُ الّذِي ارْتَضَىَ لَهُمْ وَلَيُبَدّلَنّهُمْ مّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَعَدَ اللّهُ الّذِين آمَنُوا بالله ورسوله مِنْكُمْ أيها الناس, وَعمِلُوا الصّالِحاتِ يقول: وأطاعوا الله ورسوله فيما أمراه ونهياه لَيَسْتَخْلِفَنّهُمْ فِي الأرْضِ يقول: لَيُورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم, فيجعلهم ملوكها وساستها. كمَا اسْتَخْلَفَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يقول: كما فعل من قبلهم ذلك ببني إسرائيل, إذ أهلك الجبابرة بالشأم وجعلهم ملوكها وسكانها. وَلَيُمَكّنّ لَهُمْ دِينَهُمُ الّذِي ارْتَضَى لَهُمْ يقول: وليوطئنّ لهم دينهم, يعني ملتهم التي ارتضاها لهم فأمرهم بها. وقيل: وعد الله الذين آمنوا, ثم تلقى ذلك بجواب اليمين بقوله: لَيَسْتَخْلفنّهُمْ لأن الوعد قول يصلح فيه «أن», وجواب اليمين كقوله: وعدتك أن أكرمك, ووعدتك لأكرمنك.

واختلف القرّاء في قراءة قوله: كمَا اسْتَخْلَفَ فقرأته عامة القرّاء: كمَا اسْتَخْلَفَ بفتح التاء واللام, بمعنى: كما استخلف الله الذين من قبلهم

من الأمـم. وقرأ ذلك عاصم: «كمَا اسْتُـخْـلِفَ» بضم التاء وكسر اللام, علـى مذهب ما لـم يْسَمّ فـاعله.
واختلفوا أيضا فـي قراءة قوله: وَلَـيُبَدّلَنّهُمْ فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار سوى عاصم: وَلَـيُبْدّلنّهُمْ بتشديد الدال, بـمعنى: ولـيغّيرَنّ حالهم عما هي علـيه من الـخوف إلـى الأمن, والعرب تقول: قد بُدّل فلان: إذا غيرت حاله ولـم يأت مكان غيره, وكذلك كلّ مغير عن حاله فهو عندهم مبدّل بـالتشديد. وربـما قـيـل بـالتـخفـيف, ولـيس بـالفصيح. فأما إذا جعل مكان الشيء الـمبدل غيره, فذلك بـالتـخفـيف: أبْدلته فهو مُبْدَل. وذلك كقولهم: أبدل هذا الثوب: أي جُعِل مكانه آخر غيره, وقد يقال بـالتشديد غير أن الفصيح من الكلام ما وصفت. وكان عاصم يقرؤه: «وَلَـيُبْدِلَنّهُمْ» بتـخفـيف الدال.
والصواب من القراءة فـي ذلك: التشديد, علـى الـمعنى الذي وصفت قبلُ, لإجماع الـحجة من قرّاء الأمصار علـيه, وأن ذاك تغيـير حال الـخوف إلـى الأمن. وأرى عاصما ذهب إلـى أن الأمن لـما كان خلاف الـخوف وجّه الـمعنى إلـى أنه ذهب بحال الـخوف وجاء بحال الأمن, فخفّف ذلك.
ومن الدلـيـل علـى ما قلنا من أن التـخفـيف إنـما هو ما كان فـي إبدال شيء مكان آخر, قول أبـي النـجم:
عَزْلُ الأمِيرِ للأَمَيرِ الـمُبْدَلِ
وقوله: يَعْبُدُونَنـي يقول: يخضعون لـي بـالطاعة ويتذللون لأمري ونهيـي. لا يُشْرِكُونَ بِـي شَيْئا يقول: لا يشركون فـي عبـادتهم إياي الأوثان والأصنام ولا شيئا غيرها, بل يخـلصون لـي العبـادة فـيفردونها إلـيّ دون كلّ ما عُبد من شيء غيري. وذُكر أن هذه الآية نزلت علـى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل شكاية بعض أصحابه إلـيه فـي بعض الأوقات التـي كانوا فـيها من العدوّ فـي خوف شديد مـما هُمْ فـيه من الرّعب والـخوف وما يَـلْقَون بسبب ذلك من الأذى والـمكروه. ذكر الرواية بذلك:
19838ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي جعفر, عن الربـيع, عن أبـي العالـية, قوله: وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِـحات... الآية, قال: مكث النبـيّ صلى الله عليه وسلم عَشْر سنـين خائفـا يدعو إلـى الله سرّا وعلانـية, قال: ثم أمر بـالهجرة إلـى الـمدينة. قال: فمكث بها هو وأصحابه خائفون, يُصبحون فـي السلاح ويُـمسون فـيه, فقال رجل: ما يأتـي علـينا يوم نأمن فـيه ونضع عنا السلاح فقال النبـي صلى الله عليه وسلم: «لا تَغْبُرُونَ إلاّ يَسِيرا حتـى يَجْلِسَ الرّجُلُ مِنْكُمْ فِـي الـمَلإِ العَظيـمِ مُـحْتَبِـيا فِـيهِ لَـيْسَ فِـيهِ حَدِيدَةٌ». فأنزل الله هذه الآية: وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ... إلـى قوله: فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلكَ» قال: يقول: من كفر بهذه النعمة فَأُولَئِكَ هُمُ الفـاسقُونَ ولـيس يعنـي الكفر بـالله. قال: فأظهره الله علـى جزيرة العرب, فآمنوا, ثم تـجَبّروا, فغَيّر الله ما بهم. وكفروا بهذه النعمة, فأدخـل الله علـيهم الـخوف الذي كان رفعه عنهم قال القاسم: قال أبو علـيّ: بقتلهم عثمان بن عفـان رضي الله عنه.
واختلف أهل التأويـل فـي معنى الكفر الذي ذكره الله فـي قوله: فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلكَ فقال أبو العالـية ما ذكرنا عنه من أنه كفر بـالنعمة لا كفر بـالله.
ورُوى عن حُذيفة فـي ذلك ما:

19839ـ حدثنا به ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن حبـيب بن أبـي الشعثاء, قال: كنت جالسا مع حُذيفة وعبد الله بن مسعود, فقال حُذيفة: ذهب النفـاق, وإنـما كان النفـاق علـى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم, وإنـما هو الكفر بعد الإيـمان قال: فضحك عبد الله, فقال: لـم تقول ذلك؟ قال: علـمت ذلك, قال: وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِـحاتِ لَـيَسْتَـخْـلِفَنّهُمْ فِـي الأرْضِ... حتـى بلغ آخرها.

19840ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا ابن أبـي عديّ, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي الشّعْثاء, قال: قعدت إلـى ابن مسعود وحُذيفة, فقال حذيفة: ذهب النّفـاق فلا نفـاق, وإنـما هو الكفر بعد الإيـمان فقال عبد الله: تعلـم ما تقول؟ قال: فتلا هذه الآية: إنّـمَا كانَ قَوْلَ الـمُؤْمِنِـينَ... حتـى بلغ: فَأُولَئِكَ هُمُ الفـاسقُونَ قال: فضحك عبد الله. قال: فلقـيت أبـا الشعثاء بعد ذلك بأيام, فقلت: من أيّ شيء ضحك عبد الله؟ قال: لا فلقـيت أبـا الشعثاء بعد ذلك بأيام, فقلت: من أيّ شيء ضحك عبد الله؟ قال: لا أدري, إن الرجل ربـما ضحك من الشيء الذي يُعْجبه وربـما ضحك من الشيء الذي لا يعجبه, فمن أيّ شيء ضحك؟ لا أدري.

والذي قاله أبو العالـية من التأويـل أشبه بتأويـل الآية, وذلك أن الله وعد الإنعام علـى هذه الأمة بـما أخبر فـي هذه الآية أنه منعم به علـيهم ثم قال عقـيب ذلك: فمن كفر هذه النعمة بعد ذلك فَأُولَئِكَ هُمُ الفـاسِقُونَ.

19841ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, قول الله: يَعْبُدونَنِـي لا يُشْرِكُونَ بِـي شَيْئا قال: تلك أمة مـحمد صلى الله عليه وسلم.

19842ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن لـيث, عن مـجاهد: أمنا يَعْبُدونَنِـي لا يُشْرِكُونَ بِـي شَيْئا قال: لا يخافون غيري.

الآية : 56-57

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَأَقِيمُواْ الصّـلاَةَ وَآتُواْ الزّكَـاةَ وَأَطِيعُواْ الرّسُولَ لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ * لاَ تَحْسَبَنّ الّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ }.

يقول تعالـى ذكره: وأقـيـمُوا أيها الناس الصّلاةَ بحدودها فلا تضيعوها. وآتُوا الزّكاةَ التـي فرضها الله علـيكم أهلها, وأطيعوا رسول ربكم فـيـما أمركم ونهاكم. لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ يقول: كي يرحمكم ربكم فـينـجيكم من عذابه, وقوله: لا تَـحْسَبنّ الّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِـي الأرْضِ يقول تعالـى ذكره: لا تـحسبنّ يا مـحمد الذين كفروا بـالله معجزيه فـي الأرض إذا أراد إهلاكهم. ومأْوَاهُم بعد هلاكهم النّارُ وَلَبِئْسَ الـمَصِيرُ الذي يصيرون إلـيه ذلك الـمأوى. وقد كان بعضهم يقول: «لا يحسبنّ الذين كفروا» بـالـياء. وهو مذهب ضعيف عند أهل العربـية وذلك أن «تـحسب» مـحتاج إلـى منصوبـين. وإذا قرىء «يَحْسَبنّ» لـم يكن واقعا إلاّ علـى منصوب واحد, غير أنـي أحسب أن قائله بـالـياء ظنّ أنه قد عمل فـي «معجزين», وأن منصوبه الثانـي فـي «الأرض», وذلك لا معنى له إن كان ذلك قصد.

الآية : 58

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لِيَسْتَأْذِنكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاَثَ مَرّاتٍ مّن قَبْلِ صَـلاَةِ الْفَجْرِ

وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مّنَ الظّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاَةِ الْعِشَآءِ ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنّ طَوّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىَ بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمُ الاَيَاتِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: لِيَسْتأْذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ فقال بعضهم: عُني بذلك الرجال دون النساء, ونهوا عن أن يدخلوا عليهم في هذه الأوقات الثلاثة هؤلاء الذين سُمّوا في هذه الآية إلاّ بإذن. ذكر من قال ذلك:

19843ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عَنبسة, عن ليث, عن نافع, عن ابن عمر, قوله: لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ قال: هي على الذكور دون الإناث.

وقال آخرون: بل عُنِي به الرجال والنساء. ذكر من قال ذلك:

19844ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي حصين, عن أبي عبد الرحمن, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتأْذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ قال: هي في الرجال والنساء, يستأذنون على كلّ حال, بالليل والنهار.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُني به الذكور والإناث لأن الله عمّ بقوله: الّذِينَ مَلَكَتْ أيمانُكُمْ جميع أملاك أيماننا, ولم يخصص منهم ذكرا ولا أنثى فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل.

فتأويل الكلام: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله, ليستأذنكم في الدخول عليكم عبيدُكم وإماؤكم, فلا يدخلوا عليكم إلاّ بإذن منكم لهم.

وَالّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ يقول: والذين لم يحتلموا من أحراركم ثلاث مرّات, يعني ثلاث مرات في ثلاثة أوقات من ساعات ليلكم ونهاركم. كما:

19845ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتأْذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ قال: عبيدكم المملوكون. وَالّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ قال: لم يحتلموا من أحراركم.

قال ابن جُرَيج: قال لي عطاء بن أبي رباح: فذلك على كل صغير وصغيرة أن يستأذن, كما قال: ثَلاَثَ مرّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ قالوا: هي العَتَمة. قلت: فإذا وضعوا ثيابهم بعد العتمة استأذنوا عليهم حتى يصبحوا؟ قال نعم.

قلت لعطاء: هل استئذانهم إلاّ عند وضع الناس ثيابهم؟ قال: لا.

19846ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن صالح بن كيسان ويعقوب بت عُتبة وإسماعيل بن محمد, قالوا: لا استئذان على خدم الرجل عليه إلاّ في العورات الثلاث.

19847ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: لِيَسْتأْذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ يقول: إذا خلا الرجل بأهله بعد صلاة العشاء, فلا يدخل عليه خادم ولا صبيّ إلاّ بإذن حتى يصلّي الغداة, فإذا خلا بأهله عند صلاة الظهر فمثل ذلك.

19848ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني قرة بن عبد الرحمن, عن ابن شهاب, عن ثعلبة, عن أبي مالك القرظي: أنه سأل عبد الله بن سُوَيد الحارثيّ, وكان من أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم, عن الإذن فـي العورات الثلاث, فقال: إذا وضعت ثـيابـي من الظهيرة, لـم يـلـج علـيّ أحد من الـخدم الذي بلغ الـحلـم ولا أحد مـمن لـم يبلغ الـحلـم من الأحرار, إلاّ بإذن.

19849ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَـية, عن ابن جُرَيج, قال: سمعت عطاء يقول: قال ابن عبـاس: ثلاث آيات جَحَدَهنّ الناس: الإذن كله, وقال: إنّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أتْقاكُمْ وقال الناس: أكرمكم أعظمكم بـيتا, ونسيت الثالثة.

19850ـ حدثنا ابن أبـي الشوارب, قال: حدثنا يزيد بن زرِيع, قال: حدثنا يونس, عن الـحسن, فـي هذه الآية: لِـيَسْتأذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيـمانُكُمْ قال: كان الـحسن يقول: إذا أبـات الرجل خادمه معه فهو إذنه, وإن لـم يبته معه استأذن فـي هذه الساعات.

19851ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا سفـيان, قال: ثنـي موسى بن أبـي عائشة, عن الشعبـيّ فـي قوله: لِـيَسْتأذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيـمَانُكُمْ قال: لـم تُنسخ. قلت: إن الناس لا يعملون به قال: الله الـمستعان.

قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن موسى بن أبـي عائشة, عن الشعبـيّ, وسألته عن هذه الآية: لِـيَسْتأذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيـمَانُكُمْ قلت: منسوخة هي؟ قال: لا والله ما نُسخت, قلت: إن الناس لا يعملون بها قال: الله الـمستعان.

19852ـ قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا أبو عَوانة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جُبـير, قال: إن ناسا يقولون نسخت, ولكنها مـما يتهاون الناس به.

19853ـ قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جُبـير فـي هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لِـيَسْتأذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيـمَانُكُمْ... إلـى آخر الآية, قال: لا يعمل بها الـيوم.

19854ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: حدثنا حنظلة, أنه سمع القاسم بن مـحمد يُسْأل عن الإذن, فقال: يستأذن عند كلّ عورة, ثم هو طوّاف يعنـي الرجل علـى أمه.

19855ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا عثمان بن عمر, قال: أخبرنا عبد العزيز بن أبـي رَوّاد, قال: أخبرنـي رجل من أهل الطائف, عن غَيلان بن شُرَحبـيـل, عن عبد الرحمن بن عوف, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَغْلِبَنّكُمُ الأعْرَابُ عَلـى اسْمِ صَلاَتِكُمْ, قالَ اللّهُ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ وإنّـمَا العَتَـمَةُ عَتَـمَةُ الإبِلِ».

وقوله: ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ اختلفت القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الـمدينة والبصرة: ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ برفع «الثلاث», بـمعنى الـخبر عن هذه الأوقات التـي ذكرت. كأنه عندهم قـيـل: هذه الأوقات الثلاثة التـي أمرناكم بأن لا يدخـل علـيكم فـيها من ذكرنا إلاّ بإذن, ثلاثُ عورات لكم لأنكم تضعون فـيها ثـيابكم وتـخـلّون بأهلـيكم. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «ثَلاثَ عَوْرَاتٍ» بنصب «الثلاث» علـى الردّ علـى «الثلاث» الأولـى. وكأن معنى الكلام عندهم: لـيستأذنكم الذين ملكت أيـمانكم والذين لـم يبلغوا الـحلـم منكم ثلاثَ مرّات, ثلاثُ عورات لكم.

والصواب من القول فـي ذلك أنهما قراءتان متقاربتا الـمعنى, وقد قرأ بكل واحدة منهما علـماء من القرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.
وقوله: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ وَلا عَلَـيْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنّ, طَوّافُونَ عَلَـيْكُمْ يقول تعالـى ذكره: لـيس علـيكم معشر أربـاب البـيوت والـمساكن, ولا عَلَـيْهِمْ يعنـي: ولا علـى الذين ملكت أيـمانكم من الرجال والنساء والذين لـم يبلغوا الـحلـم من أولادكم الصغار حرج ولا إثم بعدهنّ, يعنـي بعد العورات الثلاث. والهاء والنون فـي قوله: بَعْدَهُنّ عائدتان علـى «الثلاث» من قوله: ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ. وإنـما يعنـي بذلك أنه لا حرج ولا جُناح علـى الناس أن يدخـل علـيهم مـمالـيكهم البـالغون وصبـيانهم الصغار بغير إذن بعد هذه الأوقات الثلاث اللاتـي ذكرهنّ فـي قوله: مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِـيابَكُمْ مِنَ الظّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ.)
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
19856ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قال: ثم رخص لهم فـي الدخول فـيـما بـين ذلك بغير إذن, يعنـي فـيـما بـين صلاة الغداة إلـى الظهر, وبعد الظهر إلـى صلاة العشاء أنه رخص لـخادم الرجل والصبـيّ أن يدخـل علـيه منزله بغير إذن. قال: وهو قوله: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ وَلا عَلَـيْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنّ فأما من بلغ الـحلُـم فإنه لا يدخـل علـى الرجل وأهله إلاّ بإذَن علـى كل حال.
وقوله: طَوّافُونَ عَلَـيْكُمْ رفع «الطوّافون» بـمضمر, وذلك «هم». يقول لهؤلاء الـمـمالـيك والصبـيان الصغار هم طوّافون علـيكم أيها الناس, ويعنـي بـالطوّافـين: أنهم يدخـلون ويخرجون علـى موالـيهم وأقربـائهم فـي منازلهم غدوة وعشية بغير إذن, يطوفون علـيهم بعضكم علـى بعض فـي غير الأوقات الثلاث التـي أمرهم أن لا يدخـلوا علـى ساداتهم وأقربـائهم فـيها إلاّ بإذن. كَذلكَ يُبَـيّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ يقول جلّ ثناؤه: كما بـينت لكم أيها الناس أحكام الاستئذان فـي هذه الآية, كذلك يبـين الله لكم جميع أعلامه وأدلته وشرائع دينه. وَاللّهُ عَلِـيـمٌ حَكِيـمٌ يقول: والله ذو علـم بـما يصلـح عبـاده, حكيـم فـي تدبـيره إياهم وغير ذلك من أموره.

الآية : 59

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِذَا بَلَغَ الأطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُواْ كَمَا اسْتَأْذَنَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.
يقول تعالـى ذكره: إذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربـائكم ويعنـي بقوله: مِنْكُمْ من أحراركم الـحُلُـمَ يعنـي الاحتلام واحتلـموا. فَلْـيَسْتأذِنُوا يقول: فلا يدخـلوا علـيكم فـي وقت من الأوقات إلاّ بإذن, لا فـي أوقات العَورات الثلاث ولا فـي غيرها. وقوله: كمَا اسْتَأذَنَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يقول: كما استأذن الكبـار من ولد الرجل وأقربـائه الأحرار. وخصّ الله تعالـى ذكره فـي هذه الآية الأطفـال بـالذكر وتعريف حكمهم عبـاده فـي الاستئذان دون ذكر ما ملكت أيـماننا, وقد تقدّمت الآية التـي قبلها بتعريفهم حكم الأطفـال الأحرار والـمـمالـيك لأن حكم ما ملكت أيـماننا من ذلك حكم واحد, سواء فـيه حكم كبـارهم وصغارهم فـي أن الإذن علـيهم فـي الساعات الثلاث التـي ذكرها الله فـي الآية التـي قبل.
وبنـحو ما قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19857ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: أما من بلغ الحُلُم, فإنه لا يدخل على الرجل وأهله يعني من الصبيان الأحوار إلا بإذن على كل حال وهو قوله: وَإذَا بَلَغَ الأطْفالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتأذِنُوا كمَا اسْتأذَنَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.
19858ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال عطاء: وَإذَا بَلَغَ الأطْفالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ فَلْيَستأذِنُوا قال: واجب على الناس أن يستأذنوا إذا احتلموا, على مَنْ كان مِنَ الناس.
19859ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس, عن ابن شهاب, عن ابن المسيب, قال: يستأذن الرجل على أمه. قال: إنما نزلت: وَإذَا بَلَغَ الأطْفالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ في ذلك. كَذلكَ يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ يقول: هكذا يبين الله لكم آياته, أحكامه وشرائع دينه, كما بين لكم أمر هؤلاء الأطفال في الاستئذان بعد البلوغ. وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ يقول: والله عليم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأشياء, حكيم في تدبيره خلقه.

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النّسَآءِ اللّاَتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنّ غَيْرَ مُتَبَرّجَاتِ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لّهُنّ وَاللّهُ سَمِيعٌ عِلِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: واللواتي قد قعدن عن الولد من الكبر من النساء, فلا يحضن ولا يلدن واحدتهنّ قاعد. اللاّتي لا يَرْجُونَ نِكاحا يقول: اللاتي قد يئسن من البعولة, فلا يطمعن في الأزواج. فَلَيْسَ عَلَيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنّ يقول: فليس عليهنّ حرج ولا إثم أن يضعن ثيابهنّ, يعني جلابيبهنّ, وهي القناع الذي يكون فوق الخمار والرداء الذي يكون فوق الثياب, لا حرج عليهنّ أن يضعن ذلك عند المحارم من الرجال وغير المحارم من الغرباء غير متبرّجات بزينة.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
19860ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: والقَوَاعِدُ مِنَ النّساءِ اللاّتي لا يَرْجُونَ نِكاحاوهي المرأة, لا جناح عليها أن تجلس في بيتها بدِرع وخِمار وتضع عنها الجلباب ما لم تتبرّج لما يكره الله, وهو قوله: فَلَيْسَ عَلَيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنّ غَيْرَ مُتَبرّجاتٍ بِزِينَةٍ ثم قال: وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنّ.
19861ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَضَعْنَ ثِيابَهُنّ يعني: الجلباب, وهو القِناع وهذا للكبيرة التي قد قعدت عن الولد, فلا يضرّها أن لا تجلبب فوق الخمار. وأما كلّ امرأة مسلمة حرّة, فعليها إذا بلغت المحيض أن تدنَى الجلباب على الخمار. وقال الله في سورة الأحزاب: يُدْنِينَ عَلَيْهِنّ مِنْ جَلابِيبِهِنّ ذلكَ أدْنَى أنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وكان بالمدينة رجال من المنافقين إذا مرّت بهم امرأة سيئة الهيئة والزيّ, حَسِب المنافقون أنها مزنية وأنها من بغيتهم, فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث, ولا يعلمون الحرّة من الأمة فأنزل الله في ذلك: يا أيّها النّبِيّ قُلْ لأزْوَاجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنّ مِنْ جَلابِيبِهِنّ ذلكَ أدْنَى أنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ يقول: إذا كان زِيهنّ حسنا لم يطمع فيهنّ المنافقون.

19862ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جُرَيج, فـي قوله: وَالقَوَاعِدُ مِنَ النّساءِ التـي قعدت من الوَلد وكِبرت. قال ابن جُرَيج: قال مـجاهد: اللاتـي لا يَرْجُونَ نِكاحا قال: لا يردنه. فَلَـيْسَ عَلَـيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِـيابَهُنّ قال: جلابـيبهنّ.

19863ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: والقَوَاعِدُ مِنَ النّساءِ اللاّتـي لا يَرْجُونَ نِكاحا فَلَـيْسَ عَلَـيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِـيابَهُنّ غيرَ مُتَبَرّجاتٍ بِزِينَةٍ قال: وضع الـخمار, قال: التـي لا ترجو نكاحا, التـي قد بلغت أن لا يكون لها فـي الرجال حاجة ولا للرجال فـيها حاجة فإذا بلغن ذلك وضعن الـخمار غير متبرّجات بزينة. ثم قال: وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنّ كان أبـي يقول هذا كله.

19864ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن, قالا: حدثنا سفـيان, عن علقمة بن مَرْثَد, عن ذرّ, عن أبـي وائل, عن عبد الله, فـي قوله: فَلَـيْسَ عَلَـيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِـيابَهُنّ قال: الـجلبـاب أو الرداء. شكّ سفـيان.

19865ـ قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن الأعمش, عن مالك بن الـحارث, عن عبد الرحمن بن يزيد, عن عبد الله: لَـيْسَ عَلَـيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِـيابَهُنّ قال: الرداء.

19866ـ حدثنـي يحيى بن إبراهيـم الـمسعودي, قال: حدثنا أبـي, عن أبـيه, عن جدّه, عن الأعمش, عن مالك بن الـحارث, عن عبد الرحمن بن يزيد, قال: قال عبد الله فـي هذه الآية: فَلَـيْسَ عَلَـيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِـيابَهُنّ قال: هي الـمِلْـحَفة.

19867ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الـحكم, قال: سمعت أبـا وائل قال: سمعت عبد الله يقول فـي هذه الآية: فَلَـيْسَ عَلَـيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِـيابَهُنّ قال: الـجلبـاب.

حدثنا يحيى بن سعيد, عن شعبة, قال: أخبرنـي الـحَكَم, عن أبـي وائل, عن عبد الله, مثله.

حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن الثّوري, عن الأعمش, عن مالك بن الـحارث, عن عبد الرحمن بن يزيد, عن ابن مسعود, فـي قوله: أنْ يَضَعْنَ ثِـيابَهُنّ غيرَ مُتَبرّجاتٍ بِزِينَةٍ قال: هو الرداء.

19868ـ قال الـحسن, قال: عبد الرزاق, قال الثوريّ: وأخبرنـي أبو حصين وسالـم الأفطس, عن سعيد بن جُبـير, قال: هو الرداء.

19869ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن الشعبـيّ: أنْ يَضَعْنَ ثِـيابَهُنّ غيرَ مُتَبرّجاتٍ بِزِينَةٍ قال: تضع الـجلبـاب الـمرأة التـي قد عجزت ولـم تزوّج. قال الشعبـيّ: فإن أُبـيّ بن كعب يقرأ: «أنْ يَضَعْنَ مِنْ ثِـيابِهِنّ».

19870ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا ابن عُلَـية, قال: قلت لابن أبـي نـجيح, قوله: فَلَـيْسَ عَلَـيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِـيابَهُنّ غيرَ مُتَبرّجاتٍ بِزِينَةٍ قال: الـجلبـاب. قال يعقوب, قال أبو يونس: قلت له: عن مـجاهد؟ قَالَ: نعم, فـي الدار والـحجرة.

19871ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا,

عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: فَلَـيْسَ عَلَـيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِـيابَهُنّ قال: جلابـيبهنّ.

وقوله: غيرَ مُتَبرّجاتٍ بِزِينَةٍ يقول: لـيس علـيهنّ جناح فـي وضع أرديتهنّ إذا لـم يُرِدن بوضع ذلك عنهنّ أن يبدين ما علـيهنّ من الزينة للرجال.

والتبرّج: هو أن تظهر الـمرأة من مـحاسنها ما ينبغي لها أن تستره.

وقوله: وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنّ يقول: وإن تعففن عن وضع جلابـيبهنّ وأرديتهنّ, فـيـلبسنها, خير لهنّ من أن يضعنها.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19872ـ حدثنا مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: أنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنّ قال: أن يـلبسن جلابـيبنّ.

19873ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مُغِيرة, عن الشعبـيّ: وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيرٌ لَهُنّ قال: ترك ذلك, يعنـي ترك وضع الثـياب.

19874ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنّ والاستعفـاف: لبس الـخِمار علـى رأسها, كان أبـي يقول هذا كله.

وَاللّهُ سَمِيعٌ ما تنطقون بألسنتكم. عَلِـيـمٌ بـما تضمره صدوركم, فـاتقوه أن تنطقوا بألسنتكم ما قد نهاكم عن أن تنطقوا بها, أو تضمروا فـي صدوركم ما قد كرهه لكم, فتستوجبوا بذلك منه عقوبة.

الآية : 61

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {لّيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَىَ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلّمُواْ عَلَىَ أَنفُسِكُمْ تَحِيّةً مّنْ عِندِ اللّهِ مُبَارَكَةً طَيّبَةً كَذَلِكَ يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمُ الاَيَاتِ لَعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ }.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويـل فـي هذه الآية فـي الـمعنى الذي أنزلت فـيه, فقال بعضهم: أنزلت هذه الآية ترخيصا للـمسلـمين فـي الأكل مع العُمْيان والعُرْجان والـمرضى وأهل الزّمانة من طعامهم, من أجل أنهم كانوا قد امتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم, خشية أن يكونوا قد أتَوْا بأكلهم معهم من طعامهم شيئا مـما نهاهم الله عنه بقوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أمْوَالَكُمْ بَـيْنَكُمْ بـالبـاطِلِ إلاّ أنْ تَكُونَ تِـجارَةٌ عَنْ تَرَاضٍ مِنكمْ. ذكر من قال ذلك:

19875ـ حدثنـي علـيّ, قال: ثنـي عبدالله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَأكُلُوا مِنْ بُـيُوتِكُمْ... إلـى قوله: أوْ أشْتاتا وذلك لَـمّا أنزل الله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أمْوَالَكُمْ بَـيْنَكُمْ بـالبـاطلِ فقال الـمسلـمون: إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بـيننا بـالبـاطل, والطعام من أفضل الأموال, فلا يحلّ لأحد منا أن يأكل عند أحد. فكفّ الناس عن ذلك, فأنزل الله بعد ذلك: لَـيْسَ عَلـى الأعْمَى حَرَجٌ... إلـى قوله: أوْ ما مَلَكْتُـمْ مَفـاتِـحَهُ.

19876ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ... الآية, كان أهل المدينة قبل أن يُبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض, فقال بعضهم: إنما كان بهم التقذّر والتقزّز. وقال بعضهم: المريض لا يستوفي الطعام كما يستوفي الصحيح, والأعرج المنحبس لا يستطيع المزاحمة على الطعام, والأعمى لا يبصر طيب الطعام. فأنزل الله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ في مؤالكة المريض والأعمى والأعرج.

فمعنى الكلام على تأويل هؤلاء: ليس عليكم أيها الناس في الأعمى حرج أن تأكلوا منه ومعه, ولا في الأعرج حرج, ولا في المريض حرج, ولا في أنفسكم, أن تأكلوا من بيوتكم. فوجّهوا معنى «على» في هذا الموضع إلى معنى «في».

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية ترخيصا لأهل الزمانة في الأكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية لأن قوما كانوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يكن عندهم في بيوتهم ما يطعمونهم, ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض من سمّى الله في هذه الآية, فكان أهل الزمانة يتخوّفون من أن يطعموا ذلك الطعام لأنه أطعمهم غير ملكه. ذكر من قال ذلك:

19874حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لا جُناحَ عَلَيْكُمْ أنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أوْ بُيُوتِ آبائِكُمْ قال: كان رجال زَمْنَى قال ابن عمرو في حديثه: عُمْيان وعُرْجان. وقال الحارث: عُمْيٌ عُرْج أولوا حاجة, يستتبعهم رجال إلى بيوتهم, فإن لم يجدوا طعاما ذهبوا بهم إلى بوت آبائهم ومن عدد منهم من البيوت, فكره ذلك المستتبعون, فأنزل الله في ذلك: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ, وأحلّ لهم الطعام حيث وجدوه.

19877ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: كان الرجل يذهب بالأعمى والمريض والأعرج إلى بيت أبيه, أو إلى بيت أخيه, أو عمه, أو خاله, أو خالته, فكان الزّمني يتحرّجون من ذلك, يقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم, فنزلت هذه الآية رُخْصة لهم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, نحو حديث ابن عمرو, عن أبي عاصم.

وقال آخرون: بل نزلت ترخيصا لأهل الزمانة الذين وصفهم الله في هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من خَلّفهم في بيوته من الغزاة. ذكر من قال ذلك:

19878ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, قال: قلت للزهريّ, في قوله: لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ ما بال الأعمى ذكر ها هنا والأعرج والمريض؟ فقال: أخبرني عُبيد الله بن عبد الله أن المسلمين كانوا إذا غَزَوا خَلّفوا زَمْناهم, وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم, يقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا وكانوا يتحرّجون من ذلك, يقولون: لا ندخلها وهي غُيّب. فأنزلت هذه الآية رخصة لهم.

وقال آخرون: بل عُني بقوله: لَـيْسَ عَلـى الأعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلـى الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلـى الـمَرِيضِ حَرَجٌ فـي التخـلف عن الـجهاد فـي سبـيـل الله. قالوا: وقوله: وَلا عَلَـى أنْفُسِكُمْ أنْ تَأْكُلوا مِنْ بُـيُوتِكُمْ كلام منقطع عما قبله. ذكر من قال ذلك:

19879ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: لَـيْسَ عَلـى الأعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلـى الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلـى الـمَرِيضِ حَرَجٌ قال: هذا فـي الـجهاد فـي سبل الله. وفـي قوله: وَلا عَلـى أنْفُسِكُمْ أنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُـيُوتِكُمْ... إلـى قوله: أوْ صَدِيقِكُمْ قال: هذا شيء قد انقطع, إنـما كان هذا فـي الأوّل, لـم يكن لهم أبواب وكانت الستور مُرْخاة, فربـما دخـل الرجل البـيت ولـيس فـيه أحد, فربـما وجد الطعام وهو جائع, فسوّغه الله أن يأكله. قال: وقد ذهب ذلك الـيوم البـيوت الـيوم فـيـما أهلها, وإذا أخرجوا أغلقوها فقد ذهب ذلك.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية ترخيصا للـمسلـمين الذين كانوا يتقون مؤاكلة أهل الزمانة فـي مؤاكلتهم إذا شاءوا ذلك. ذكر من قال ذلك:

19880ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن قـيس بن مسلـم, عن مِقْسم, فـي قوله: لَـيْسَ عَلـى الأعْمَى حَرَجٌ قال: كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج, فنزلت: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أوْ أشْتاتا.

واختلفوا أيضا فـي معنى قوله: أوْ ما مَلَكْتُـمْ مَفـاتِـحَهُ فقال بعضهم: عُنـي بذلك وكيـلُ الرجل وَقـيّـمُه, أنه لا بأس علـيه أن يأكل من ثمر ضيعته, ونـحو ذلك. ذكر من قال ذلك:

19881ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: حدثنا معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, فـي قوله: أوْ ما مَلَكْتُـمْ مَفـاتِـحَهُ وهو الرجل يوكّل الرجل بضيعته, فرخص الله له أن يأكل من ذلك الطعام والتـمر ويشربَ اللبن.

وقال آخرون: بل عُنِـي بذلك: منزل الرجل نفسه أنه لا بأس علـيه أن يأكل. ذكر من قال ذلك:

19882ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ, يقول: قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: أوْ ما مَلَكْتُـمْ مَفـاتِـحَهُ يعنـي: بـيت أحدهم, فإنه يـملكه, والعبـيد منهم مـما ملكوا.

19883ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قَتادة, فـي قوله: أوْ ما مَلَكْتُـمْ مَفـاتِـحَهُ مـما تـحبون يا ابن آدم.

19884ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, قال: أوْ ما مَلَكْتُـمْ مَفـاتِـحَهُ قال: خزائن لأنفسهم, لـيست لغيرهم.

وأشبه الأقوال التـي ذكرنا فـي تأويـل قوله: لَـيْسَ عَلـى الأعْمَى حَرَجٌ... إلـى قوله: أوْ صَدِيقكُمْ القول الذي ذكرنا عن الزهريّ عن عبـيد الله بن عبد الله, وذلك أن أظهر معانـي قوله: لَـيْسَ عَلـى الأعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلـى الأعْرَجِ حَرَجٌ: أنه لا حرج علـى هؤلاء الذين سُمّوا فـي هذه الآية أن يأكلوا من بـيوت من ذكره الله فـيها, علـى ما أبـاح لهم من الأكل منها. فإذ كان ذلك أظهر معانـيه, فتوجيه معناه إلـى الأغلب الأعرف من معانـيه أولـى من توجيهه إلـى الأنكر منها. فإذ كان ذلك كذلك, كان ما خالف من التأويـل قول من

قال: معناه: لـيس فـي الأعمى والأعرج حرج, أولـى بـالصواب. وكذلك أيضا الأغلب من تأويـل قوله: وَلا عَلـى أنْفُسِكُمْ أنْ تَأكُلُوا مِنْ بُـيُوتكُمْ أنه بـمعنى: ولا علـيكم أيها الناس. ثم جمع هؤلاء والزّمْنَى الذين ذكرهم قبل فـي الـخطاب, فقال: أن تأكلوا من بـيوت أنفسكم. وكذلك تفعل العرب إذا جمعت بـين خبر الغائب والـمخاطب, غلّبت الـمخاطب فقالت: أنت وأخوك قمتـما, وأنت وزيد جلستـما, ولا تقول: أنت وأخوك جلسا, وكذلك قوله: وَلا عَلـى أنْفُسِكُمْ والـخبر عن الأعمى والأعرج والـمريض, غلّب الـمخاطب, فقال: أن تأكلوا, ولـم يقل: أن يأكلوا.

فإن قال قائل: فهذا الأكل من بـيوتهم قد علـمناه كان لهم حلالاً إذ كان ملكا لهم, أوَ كانَ أيضا حلالاً لهم الأكل من مال غيرهم؟ قـيـل له: لـيس الأمر فـي ذلك علـى ما توهمّتَ ولكنه كما ذكرناه عن عبـيد الله بن عبد الله, أنهم كانوا إذا غابوا فـي مغازيهم وتـخـلف أهل الزمانة منهم, دفع الغازي مفتاح مسكنه إلـى الـمتـخـلف منهم, فأطلق له فـي الأكل مـما يخـلف فـي منزله من الطعام, فكان الـمتـخـلفون يتـخوّفون الأكل من ذلك وربه غائب, فأعلـمه الله أنه لا حرج علـيه فـي الأكل منه وأذِن لهم فـي أكله. فإذ كان ذلك كذلك تبـين أن لا معنى لقول من قال: إنـما أنزلت هذه الآية من أجل كراهة الـمستتبع أكل طعام غير الـمستتبع لأن ذلك لو كان كما قال من قال ذلك: لقـيـل: لـيس علـيكم حرج أن تأكلوا من طعام غير من أضافكم, أو من طعام آبـاء من دعاكم, ولـم يقل: أن تأكلوا من بـيوتكم أو بـيوت آبـائكم. وكذلك لا وجه لقول من قال: معنى ذلك: لـيس علـى الأعمى حرج فـي التـخـلف عن الـجهاد فـي سبـيـل الله, لأن قوله: أنْ تأكُلوا خبر «لـيس», و«أنْ» فـي موضع نصب علـى أنها خبر لها, فهي متعلقة بـ«لـيس», فمعلوم بذلك أن معنى الكلام: لـيس علـى الأعمى حرج أن يأكل من بـيته, ولا ما قاله الذين ذكرنا من أنه لا حرج علـيه فـي التـخـلف عن الـجهاد. فإذ كان الأمر فـي ذلك علـى ما وصفنا, تبـين أن معنى الكلام: لا ضِيقَ علـى الأعمى, ولا علـى الأعرج, ولا علـى الـمريض, ولا علـيكم أيها الناس, أن تأكلوا من بـيوت أنفسكم أو من بـيوت آبـائكم أو من بـيوت أمهاتكم أو من بـيوت إخوانكم أو من بـيوت أخواتكم أو من بـيوت أعمامكم أو من بـيوت عماتكم أو من بـيوت أخوالكم أو من بـيوت خالاتكم أو من البـيوت التـي ملكتـم مَفـاتـحها أو من بـيوت صديقكم, إذا أذنوا لكم فـي ذلك, عند مغيبهم ومشهدهم. والـمفـاتـح: الـخزائن, واحدها: «مَفْتـح» إذا أريد به الـمصدر, وإذا كان من الـمفـاتـيح التـي يفتـح بها, فهي مِفْتـح ومفـاتـح وهي ها هنا علـى التأويـل الذي اخترناه جمع مِفْتـح الذي يفتـح به. وكان قَتادة يتأوّل فـي قوله: أوْ صَدِيقِكُمْ, ما:

19885ـ حدثنا به الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر, عن قَتادة: أوْ صَدِيقِكُمْ فلو أكلْت من بـيت صديقك من غير أمره, لـم يكن بذلك بأس. قال معمر: قلت لقتادة: أوَلاَ أشربُ من هذا الـحُبّ؟ قال: أنت لـي صديق.

وأما قوله: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أوْ أشْتاتا فإن أهل التأويـل اختلفوا فـي تأويـله, فقال بعضهم: كان الغنـيّ من الناس يتـخوّف أن يأكل مع الفقـير, فرخّصَ لهم فـي الأكل معهم. ذكر من قال ذلك:

19886ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء الـخراسانـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: أنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أوْ أشْتاتا قال: كان الغنـيّ يدخـل علـى الفقـير من ذوي قرابته وصديقه, فـيدعُوَه إلـى طعامه لـيأكل معه, فـيقول: والله إنـي لأجنـح أن آكل معك والـجنـح: الـحرج وأنا غنـيّ وأنت فقـير فأمروا أن يأكلوا جميعا أو أشتاتا.
وقال آخرون: بل عُنـي بذلك حيّ من أحياء العرب, كانوا لا يأكل أحدهم وحده ولا يأكل إلا مع غيره, فأذِن الله لهم أن يأكل من شاء منهم وحده ومن شاء منهم مع غيره. ذكر من قال ذلك:
19887ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قال: كانوا يأنفون ويتـحرّجون أن يأكل الرجل الطعام وحده حتـى يكون معه غيره, فرخص الله لهم, فقال: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أوْ أشْتاتا.
19888ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: كانت بنوِ كنانة يستـحى الرجل منهم أن يأكل وحده, حتـى نزلت هذه الآية.
19889ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول: كانوا لا يأكلون إلا جميعا, ولا يأكلون متفرّقـين, وكان ذلك فـيهم دينا فأنزل الله: لـيس علـيكم حرج فـي مؤاكلة الـمريض والأعمى, ولـيس علـيكم حرج أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا.
19890ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أوْ أشْتاتا قال: كان من العرب من لا يأكل أبدا جميعا ومنهم من لا يأكل إلا جميعا, فقال الله ذلك.
19891ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, حدثنا نزلت: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أوْ أشْتاتا فـي حيّ من فـي العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده, كان يحمله بعض يوم حتـى يجد من يأكله معه. قال: وأحسب أنه ذكر أنهم من كِنانة.
وقال آخرون: بل عُنِـي بذلك قوم كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم, فرخّصَ لهم فـي أن يأكلوا كيف شاءوا. ذكر من قال ذلك:
19892ـ حدثنـي أبو السائب, قال: حدثنا حفص, عن عمران بن سلـيـمان, عن أبـي صالـح وعكرمة, قالا: كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتـى يأكل الضيف معهم, فرُخّص لهم, قال الله: لا جُناحَ عَلَـيْكُمْ أنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أوْ أشْتاتا.
وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب أن يقال: إن الله وضع الـحَرَج عن الـمسلـمين أن يأكلوا جميعا معا إذا شاءوا, أو أشتاتا متفرّقـين إذا أرادوا. وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتـخوّف من الأغنـياء الأكل مع الفقـير, وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يَطْعَمون وُحْدانا, وبسبب غير ذلك ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر, ولا دلالة فـي ظاهر التنزيـل علـى حقـيقة شيء منه. والصواب التسلـيـم لـما دلّ علـيه ظاهر التنزيـل, والتوقـف فـيـما لـم يكن علـى صحته دلـيـل.
وقوله: فإذَا دَخَـلْتُـمْ بُـيُوتا فَسَلّـموا عَلـى أنْفُسِكُمْ تَـحِيّةً مِنْ عِنْدَ اللّهِ اختلف أهل التأويـل فـي ذلك, فقال بعضهم: معناه: فإذا دخـلتـم أيها الناس بـيوت أنفسكم, فسلـموا علـى أهلـيكم وعيالكم. ذكر من قال ذلك:

19893ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ وقتادة فـي قوله: فسَلّـموا عَلـى أنْفُسِكُمْ قالا: بـيتك, إذا دخـلته فقل: سلام علـيكم.
19894ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج: فإذَا دَخَـلْتُـمْ بُـيُوتا فَسَلّـمُوا عَلـى أنْفُسكُمْ قال: سَلّـمْ علـى أهلك قال ابن جُرَيج: وسُئل عن عطاء بن أبـي ربـاح: أحقّ علـى الرجل إذا دخـل علـى أهله أن يسلـم علـيهم؟ قال: نعم. وقالها عمرو بن دينار. وتَلَوا: فإذَا دَخَـلْتُـمْ بُـيُوتا فَسَلّـمُوا عَلـى أنْفِسكُمْ تَـحِيّةً مِنْ عِنْد اللّهِ مُبـارَكَةً طَيّبَةً قال عطاء بن أبـي ربـاح ذلك غير مرّة.
19895ـ قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرنـي أبو الزّبـير, قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: إذا دخـلت علـى أهلك فسلـم علـيهم تَـحيّةً مِنْ عِنْدَ اللّهِ مُبـارَكَةً طَيّبَةً. قال: ما رأيته إلا يوجبه. قال ابن جُرَيج, وأخبرنـي زياد, عن ابن طاوس أنه كان يقول: إذا دخـل أحدكم بـيته فلـيسلـم.
19896ـ قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قلت لعطاء: إذا خرجت أواجب السلام؟ هل أسلـم علـيهم؟ فإنـما قال: إذَا دَخَـلْتُـمْ بُـيُوتا فَسَلّـمُوا؟ قال: ما أعلـمه واجبـا ولا أثِرُ عن أحد وجوبه, ولكن أحبّ إلـيّ, وما أدعه إلا ناسيا. قال ابن جُرَيج, وقال عمرو بن دينار: لا, قال: قلت لعطاء: فإن لـم يكن فـي البـيت أحد؟ قال: سلّـمْ قل: السلام علـى النبـيّ ورحمة الله وبركاته, السلام علـينا وعلـى عبـاد الله الصالـحين, السلام علـى أهل البـيت ورحمة الله. قلت له: قولك هذا إذا دخـلت بـيتا لـيس فـيه أحد عمن تَأثِره؟ قال: سمعته ولـم يؤثر لـي عن أحد. قال ابن جُرَيج, وأخبرنـي عَطَاءٌ الـخُراسانـيّ, عن ابن عبـاس, قال: السلام علـينا من ربنا, وقال عمرو بن دينار: السلام علـينا وعلـى عبـاد الله الصالـحين.
19897ـ حدثنا أحمد بن عبد الرحيـم, قال: حدثنا عمرو بن أبـي سلـمة, قال: حدثنا صدقة, عن زُهَير, عن ابن جُرَيج, عن أبـي الزبـير, عن جابر بن عبد الله, قال: إذا دخـلت علـى أهلك فسلـم علـيهم, تـحية من عند الله مبـاركة طيبة. قال: ما رأيته إلاّ يوجبه.
حدثنا مـحمد بن عبـاد الرازي, قال: حدثنا حجاج بن مـحمد الأعور, قال: قال لـي ابن جُرَيج, أخبرنـي أبو الزبـير: أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: فذكر مثله.
19898ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول, فـي قوله: فإذَا دَخَـلْتُـمْ بُـيُوتا فَسَلّـمُوا عَلـى أنْفُسِكُمْ يقول: سلـموا علـى أهالـيكم إذا دخـلتـم بـيوتكم, وعلـى غير أهالـيكم, فسلـموا إذا دخـلتـم بـيوتهم.
وقال آخرون: بل معناه: فإذا دخـلتـم الـمساجد فسلّـموا علـى أهلها. ذكر من قال ذلك:
19899ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا عبد الله بن الـمبـارك, عن معمر, عن عمرو بن دينار, عن ابن عبـاس: إذَا دَخَـلْتُـمْ بُـيُوتا فَسَلّـمُوا عَلـى أنْفُسِكُمْ قال: هي الـمساجد, يقول: السلام علـينا وعلـى عبـاد الله الصالـحين.

19900ـ قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن الأعمش, عن إبراهيـم, فـي قوله: فَإِذَا دَخَـلْتُـمْ بُـيُوتا فَسَلّـمُوا عَلـى أَنْفُسِكُمْ قال: إذا دخـلت الـمسجد فقل: السلام علـى رسول الله وإذا دخـلت بـيتا لـيس فـيه أحد, فقل: السلام علـينا وعلـى عبـاد الله الصالـحين وإذا دخـلت بـيتك فقل: السلام علـيكم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا دخـلتـم بـيوتا من بـيوت الـمسلـمين فـيها ناس منكم, فلـيسلـم بعضكم علـى بعض. ذكر من قال ذلك:

19901ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الـحسن, فـي قوله: فَسَلّـمُوا عَلـى أَنْفُسِكُمْ أي لـيسلـم بعضكم علـى بعض, كقوله: وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ.

19902ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: فإذَا دَخَـلْتُـمْ بُـيُوتا فَسَلّـمُوا عَلـى أَنْفُسِكُمْ قال: إذا دخـل الـمسلّـم سُلّـم علـيه, كمثل قوله: لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إنـما هو: لا تقتل أخاك الـمسلـم. وقوله: ثُمّ أَنْتُـمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ قال: يقتل بعضكم بعضا, قُريظة والنّضِير.

وقال آخرون: معناه: فإذا دخـلتـم بـيوتا لـيس فـيها أحد, فسلـموا علـى أنفسكم. ذكر من قال ذلك:

19903ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا حصين, عن أبـي مالك, قال: إذا دخـلت بـيتا لـيس فـيه أحد, فقل: السلام علـينا وعلـى عبـاد الله الصالـحين وإذا دخـلت بـيتا فـيه ناس من الـمسلـمين وغير الـمسلـمين, فقل مثل ذلك.

19904ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن أبـي سِنان, عن ماهان, قال: إذا دخـلتـم بـيوتا فسلـموا علـى أنفسكم, قال: تقولوا: السلام علـينا من ربنا.

19905ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: أخبرنا شعبة عن منصور, قال شعبة: وسألته عن هذه الآية: فإذَا دَخَـلْتُـمْ بُـيُوتا فَسَلّـمُوا عَلـى أَنْفُسِكُمْ تَـحِيّةً مِنْ عِنْدِ اللّهِ قال: قال إبراهيـم: إذا دخـلت بـيتا لـيس فـيه أحد, فقل: السلام علـينا وعلـى عبـاد الله الصالـحين.

19906ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنـي عمرو بن الـحارث, عن بكير بن الأشجّ, عن نافع: أن عبد الله كان إذا دخـل بـيتا لـيس فـيه أحد, قال: السلام علـينا وعلـى عبـاد الله الصالـحين.

19907ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, قال: حدثنا منصور, عن إبراهيـم: فإذَا دَخَـلْتُـمْ بُـيُوتا فَسَلّـمُوا عَلـى أَنْفُسكُمْ قال: إذا دخـلت بـيتا فـيه يهود فقل: السلام علـيكم وإن لـم يكن فـيه أحد فقل: السلام علـينا وعلـى عبـاد الله الصالـحين.

وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب قول من قال معناه: فإذا دخـلتـم بـيوتا من بـيوت الـمسلـمين, فلـيسلـم بعضكم علـى بعض.

وإنـما قلنا ذلك أولـى بـالصواب لأن الله جلّ ثناؤه قال: فإذَا دَخَـلْتُـمْ بُـيُوتا ولـم يخصُصْ من ذلك بـيتا دون بـيت, وقال: فَسَلّـمُوا عَلـى أَنْفُسِكُمْ يعنـي: بعضكم علـى بعض. فكان معلوما إذ لـم يخصص ذلك علـى بعض البـيوت دون بعض, أنه معنىّ به جميعها, مساجدها وغير مساجدها. ومعنى قوله: فَسَلّـموا عَلـى أَنْفُسِكُمْ نظير قوله: وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ. وقوله: تَـحِيّةً مِنْ

عِنْدِ اللّهِ ونصب تـحية, بـمعنى: تُـحيّون أنفسكم تـحية من عند الله السلام تـحية, فكأنه قال: فلـيحيّ بعضكم بعضا تـحية من عند الله. وقد كان بعض أهل العربـية يقول: إنـما نصبت بـمعنى: أَمَرَكم بها تفعلونها تَـحيّة منه, ووصف جلّ ثناؤه هذه التـحية الـمبـاركة الطيبة لـما فـيها من الأجر الـجزيـل والثواب العظيـم.

وقوله: كَذلكَ يُبَـيّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ يقول تعالـى ذكره: هكذا يفصل الله لكم معالـم دينكم فـيبـينها لكم, كما فصل لكم فـي هذه الآية ما أحلّ لكم فـيها, وعرّفكم سبـيـل الدخول علـى من تدخـلون علـيه. لَعَلّكُم تَعْقِلَونَ يقول: لكي تفقَهوا عن الله أمره ونهيه وأدبه.

الآية : 62

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِنّمَا الْمُؤْمِنُونَ الّذِينَ آمَنُـواْ بِـاللّهِ وَرَسُـولِهِ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُ عَلَىَ أَمْرٍ جَامِعٍ لّمْ يَذْهَبُواْ حَتّيَ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنّ الّذِينَ يَسْـتَأْذِنُونَكَ أُوْلَـئِكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَاذَنُوكَ لِبَعْضِ شَـأْنِهِمْ فَـأْذَن لّمَـن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللّهَ إِنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ}

يقـول تعالـى ذكـره: مـا الـمؤمنون حـقّ الإيـمان, إلا الـذين صـدّقوا اللـه ورسوله. وَإِذَا كانُوا مَعَهُ يقول: وإذا كـانوا مـع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم, عَـلـى أمرٍ جامِعٍ يقول: علـى أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت, أو صلاة اجتـمع لها, أو تشاور فـي أمر نزل لَـمْ يَذْهَبُوا يقول: لـم ينصرفوا عمـا اجتـمعوا له من الأمر, حَتّـى يَسْتَأْذِنُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19908ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: إنّـمَا الـمُؤْمِنُونَ الّذِينَ آمَنُوا بـاللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كانُوا مَعَهُ عَلـى أمْرٍ جامِعٍ لَـمْ يَذْهَبُوا حتـى يَسْتأذِنُوهُ يقول: إذا كان أمر طاعة لله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عبـاس, قوله: وَإِذَا كانُوا مَعَهُ عَلـى أمْرٍ جامِعٍ قال: أمر من طاعة الله عامّ.

19909ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا مـحمد بن بكر, قال: أخبرنا ابن جُرَيج, قال: سأل مكحولاً الشاميّ إنسانٌ وأنا أسمع, ومكحول جالس مع عطاء, عن قول الله فـي هذه الآية: وَإذا كانُوا مَعَهُ عَلـى أمْرٍ جامِعٍ لَـمْ يَذْهَبُوا حتّـى يَسْتأذِنُوهُ فقال مكحول: فـي يوم الـجمعة, وفـي زَحْف, وفـي كلّ أمر جامع, قد أمر أن لا يذهب أحد فـي يوم جمعة حتـى يستأذن الإمام, وكذلك فـي كل جامع, ألا ترى أنه يقول: وَإذَا كانُوا مَعَهُ عَلـى أمْرٍ جامِعٍ.

19910ـ حدثنـي يعقوب, قال: ثنـي ابن عُلَـية, قال: أخبرنا هشام بن حسان, عن الـحسن, قال: كان الرجل إذا كانت له حاجة والإمام يخطب, قام فأمسك بأنفه, فأشار إلـيه الإمام أن يخرُج. قال: فكان رجل قد أراد الرجوع إلـى أهله, فقام إلـى هَرِم بن حِيان وهو يخطب, فأخذ بأنفه, فأشار إلـيه هرم أن يذهب. فخرج إلـى أهله فأقام فـيهم, ثم قدم قال له هرم: أين كنت؟ قال: فـي أهلـي؟ قال: أبإذن ذهبت؟ قال: نعم, قمت إلـيك وأنت تـخطب, فأخذت بأنفـي, فأشرت إلـيّ أن اذْهَب فذهبت. فقال: أفـاتـخذت هذا دَغَلاً؟ أو كلـمة نـحوها. ثم قال: اللهمّ أحّر رجال السوء إلـى زمان السوء.

19911ـ حدثني الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ, في قوله: وَإذَا كانُوا مَعَهُ عَلى أمْرٍ جامِعٍ قال: هو الجمعة إذا كانوا معه, لم يذهبوا حتى يستأذنوه.
19912ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّمَا المُؤْمِنُونَ الّذِينَ آمَنُوا باللّهِ وَرَسُولِهِ وَإذَا كانُوا مَعَهُ عَلى أمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حتى يَسْتَأذِنُوهُ قال: الأمر الجامع حين يكونون معه في جماعة الحرب أو جمعة. قال: والجمعة من الأمر الجامع, لا ينبغي لأحد أن يخرج إذا قعد الإمام على المنبر يوم الجمعة إلا بإذن سلطان إذا كان حيث يراه أو يقدر عليه, ولا يخرج إلا بإذن. وإذا كان حيث لا يراه ولا يقدر عليه ولا يصل إليه, فالله أولى بالعذر.
وقوله: إنّ الّذِينَ يَسْتأذِنُوكَ أُولَئِكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ باللّهِ وَرَسُولِهِ يقول تعالى ذكره: إن الذين لا ينصرفون يا محمد إذا كانوا معك في أمر جامع, عنك إلا بإذنك لهم, طاعة منهم لله ولك وتصديقا بما أتيتهم به من عندي أولئك الذين يصدقون الله ورسوله حقّا, لا من خالف أمر الله وأمر رسوله فينصرف عنك بغير إذن منك له بعد تقدّمك إليه أن لا ينصرف عنك إلاّ بإذنك. وقوله: فإذَا اسْتَأذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأنِهِمْ فَأذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ يقول تعالى ذكره: فإذا استأذنك يا محمد الذين لا يذهبون عنك إلا بإذنك في هذه المواطن لبعض شأنهم يعني لبعض حاجاتهم التي تعرض لهم فأذن لمن شئت منهم في الانصراف عنك لقضائها. وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ يقول: وادع الله لهم بأن يتفضل عليهم بالعفو عن تبعات ما بينه وبينهم. إنّ اللّهَ غَفُورٌ لذنوب عباده التائبين, رَحِيمٌ بهم أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها.)

الآية :63

القول في تأويل قوله تعالى: {لاّ تَجْعَلُواْ دُعَآءَ الرّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الّذِينَ يَتَسَلّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره لأصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تَجْعَلُوا أيها المؤمنون دُعاءَ الرّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضا.
واختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: نَهَى الله بهذه الآية المؤمنين أن يتعرّضوا لدعاء الرسول عليهم, وقال لهم: اتقوا دعاءه عليكم, بأن تفعلوا ما يسخطه فيدعو لذلك عليكم فتهلكوا, فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس, فإن دعاءه موجبة. ذكر من قال ذلك:
19913ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضا دعوة الرسول عليكم موجبة, فاحذروها.
وقال آخرون: بل ذلك نهيٌ من الله أن يَدْعُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلَظ وجفَاء, وأمر لهم أن يَدْعوه بلين وتواضع. ذكر من قال ذلك:
19914ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نَجيح, عن مجاهد: كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضا قال: أمرهم أن يَدْعوا يا رسول الله, في لين وتواضع, ولا يقولوا يا محمد, في تجهّم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضا قال: أمرهم أن يَدْعوه: يا رسول الله, في لين وتواضع.

19915ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا مَعْمر, عن قَتادة, في قوله: لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاء بَعْضِكُمْ بَعْضا قال: أمرهم أن يفخّموه ويشرّفوه.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي التأويل الذي قاله ابن عباس, وذلك أن الذي قَبْل قوله: لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضا نهيٌ من الله المؤمنين أن يأتوا من الانصراف عنه في الأمر الذي يجمع جميعهم ما يكرهه, والذي بعده وعيد للمُنْصرفين بغير إذنه عنه, فالذي بينهما بأن يكون تحذيرا لهم سُخْطة أن يضطّره إلى الدعاء عليهم أشبه من أن يكون أمرا لهم بما لم يجر له ذكر من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء.

وقوله: قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الّذِينَ يَتَسَلّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذا يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه, تسترا وخِفية منه, وإن خفي أمر من يفعل ذلك منكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم, فإن الله يعلم ذلك ولا يَخفي عليه, فليتّق من يفعل ذلك منكم الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بإذنه, أن تصيبهم فتنة من الله أو يصيبهم عذاب أليم, فيطبع على قلوبهم, فيكفروا بالله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19916ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: حدثنا عمرو بن قيس, عن جُويبر, عن الضحاك, في قول الله: قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الّذِينَ يَتَسَلّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذا قال: كانوا يستتر بعضهم ببعض, فيقومون, فقال: فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة, قال: يطبع على قلبه, فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه فتُضرب عُنُقه.

19917ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الّذِينَ يَتَسَلّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذا قال: خلافا.

19918ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الّذِينَ يَتَسَلّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذا قال: هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: اللّواذ: يلوذ عنه ويروغ ويذهب بغير إذن النبيّ صلى الله عليه وسلم.

فَلْيَحْذَرِ الّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أمْرِهِ الذين يصنعون هذا, أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم. الفتنة ها هنا. الكفر, واللّواذ: مصدر لاوذت بفلان مُلاوذة ولِواذا, ولذلك ظهرت الواو, ولو كان مصدرا للُذت لقيل: لِياذا, كما يقال: قُمت قياما, وإذا قيل: قاومتك, قيل: قواما طويلاً. واللّواذ: هو أن يلوذ القوم بعضُهم ببعض, يستتر هذا بهذا وهذا بهذا, كما قال الضحاك.

وقوله: أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول: أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع, على صنيعهم ذلك وخلافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: فَلْيَحْذَرِ الّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أمْرِهِ وأدخلت «عن» لأن معنى الكلام: فليحذر الذين يلوذون عن أمره ويُدبِرون عنه معرضين.)

الآية : 64

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلآ إِنّ للّهِ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ وَاللّهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: ألاَ إنّ لله مُلْكُ جميع السّمَوَاتِ والأَرْضِ يقول: فلا ينبغي لـمـملوك أن يخالف أمر مالكه فـيعصيَه, فـيستوجب بذَلك عقوبته. يقول: فكذلك أنتـم أيها الناس, لا يصلـح لكم خلاف ربكم الذي هو مالككم, فأطيعوه وأتَـمروا لأمره ولا تنصرفوا عن رسوله إذا كنتـم معه علـى أمر جامع إلا بإذنه.

وقوله: قَدْ يَعْلَـمُ ما أنْتُـمْ عَلَـيْهِ من طاعتكم إياه فـيـما أمركم ونهاكم من ذلك, كما:

19919ـ حدثنـي أيضا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: قَدْ يَعْلَـمُ ما أنْتُـمْ عَلَـيْهِ صنـيعكم هذا أيضا.

وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إلَـيْهِ يقول: ويوم يَرْجع إلـى الله الذين يخالفون عن أمره. فـيُنَبّئُهُم يقول: فـيخبرهم حينئذٍ, بِـمَا عَمِلُوا فـي الدنـيا, ثم يجازيهم علـى ما أسلفوا فـيها, من خلافهم علـى ربهم. وَاللّهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِـيـمٌ يقول: والله ذو علـم بكل شيء عملتـموه أنتـم وهم وغيركم وغيرك ذلك من الأمور, لا يخفـي علـيه شيء, بل هو مـحيط بذلك كله, وهو مُوَفـ كلّ عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون إلـيه.

سورة الفرقان

سورة الفرقان مكية
وآياتها سبع وسبعون
بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1

القول في تأويـل قـوله تعالـى: {تَبَـارَكَ الّـذِي نَـزّلَ الْفُرْقَـانَ عَلَـىَ عَبْـدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً }.

قال أبو جعفر: تبـارك: تَفـاعَلَ من البركة, كما:

19920ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا بشر بن عمارة, قال: حدثنا أبو رَوق, عن الضحاك, عن عبد اللـه بـن عبـاس, قـال: تبـارك: تَفَـاعَلَ من البركة.

وهو كقول القائل: تقدّس ربنا, فقوله: تَبـارَكَ الّذِي نَـزّلَ الفُرْقـانَ يقـول: تبـارك الذي نزّل الفصل بـين الـحقّ والبـاطل, فصلاً بعد فصل وسـورة بعـد سُورة, علـى عبده مـحمد صلى اللـه عليـه وسـلم, لـيكون مـحمد لـجميع الـجنّ والإنس الذين بعثه الله إلـيهم داعيا إلـيه, نذيرا: يعنـي منـذِرا يُنـذرهم عِقابه ويخوّفهم عذابه, إن لـم يوحدوه ولـم يخـلصوا له العبـادة ويخـلعوا كلّ ما دونه من الآلهة والأوثان.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19921ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: تَبـارَكَ الّذِي نَزّلَ الفُرْقانَ عَلـى عَبْـدِهِ لـيَكُونَ للْعالَـمِينَ نَـذِيرا قـال:

النبـيّ النذير. وقرأ: وَإنْ مِنْ أُمّةٍ إلاّ خَلا فِـيها نَذِيرٌ وقرأ: وَما أهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إلاّ لَهَا مُنْذِرُونَ قـال: رسـل. قـال: الـمنذرون: الرسـل. قـال: وكـان نـذيرا واحدا بلّغ ما بـين الـمشرق والـمغرب, ذو القرنـين, ثم بلـغ السـدّين, وكـان نذيرا, ولـم أسمع أحدا يُحِقّ أنه كان نبـيّا. وأُوحِيَ إلـيّ هـذَا القُـرآنُ لأُنْـذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ قال: من بلغه القرآن من الـخـلق, فرسول الله نذيره. وقـرأ: يـا أيّها النّاسُ إنّـي رَسُولُ اللّهِ إلَـيْكُمْ جَمِيعا وقال: لـم يرسل الله رسـولاً إلـى النـاس عامـة إلاّ نوحـا, بـدأ بـه الـخــلق, فكـان رسـولَ أهـل الأرض كلهـم, ومـحمد صلى الله عليه وسلم خَتَـم به.

الآية : 2

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {الّذِي لَهُ مُلْكُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَلَمْ يَتّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَخَلَقَ كُلّ شَيْءٍ فَقَدّرَهُ تَقْدِيراً }.

يقول تعالـى ذكره: تَبَـارَكَ الّذِي نَزّلَ الفُرْقانَ... الّذِي لَهُ مُلْكُ السّمَوَاتِ والأرْضِ ف «الذي» من نعت «الذي» الأولـى, وهما جميعا فـي موضع رفع, الأولـى بقوله «تبـارك», والثانـية نعـت لهـا. ويعنـي بقـوله: الّـذِي لَـهُ مُلْـكُ السّمَوَاتِ والأرْضِ الـذي لـه سـلطان السـموات والأرض يُنْفِـذ فــي جميعهـا أمره وقضاءه, ويُـمْضِي فـي كلها أحكامه. يقول: فحقّ علـى من كان كـذلك أن يطيعه أهل مــملكته ومَـنْ فــي سـلطانه ولا يعصُـوه, يقـول: فلا تعصُـوا نذيري إلـيكم أيها الناس, واتبعوه, واعملوا بـما جاءكم به مـن الــحقّ. ولَــمْ يَتّـخِذْ وَلَدا يقول تكذيبـا لـمن أضاف إلـيه الولد وقال الـملائكة بنات الله: مـا اتـخذ الذي نزّل الفرقان علـى عبده ولدا. فمن أضاف إلـيه ولـدا فقـد كـذب وافترى علـى ربه. ولَـمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فـي الـمُلْكِ يقول تكذيبــا لــمن كـان يضيف الأُلوهة إلـى الأصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب ويقول فـي تلبـيته «لَبّـيك لا شريك لك, إلاّ شريكا هو لك, تـملكه وما ملك»: كــذب قائلوا هذا القول, ما كان لله شريك فـي مُلكـه وسـلطانه فـيصلـح أن يُعْبـد من دونه يقول تعالـى ذكره: فأفرِدوا أيها الناس لربكـم الـذي نـزّل الفرقـان علـى عبده مـحمد نبـيه صلى الله عليه وسلم الأُلوهة, وأخـلِصوا له العبـادة, دون كلّ ما تعبدونه من دونه من الآلهة والأصنام والـملائكة والـجنّ والإنــس, فإن كلّ ذلك خـلقه وفـي ملكه, فلا تصلــح العبــادة إلا للـه الـذي هـو مالـك جمعي ذلك. وقوله: وَخَـلَقَ كُلّ شَيْءٍ يقول تعالـى ذكره: وخـلق الذي نــزل علــى مــحمد الفرقـان كـل شـيء, فــالأشياء كلهـا خــلقه ومِلْكـه, وعلــى الـمـمالـيك طاعة مالكهم وخدمة سـيدهم دون غيـره. يقـول: وأنـا خـالقكم ومالككم, فأخـلصوا لـي العبـادة دون غيري. وقـوله: فَقَـدّرَهُ تَقْـدِيرا يقـول: فسوّى كلّ ما خـلق وهيأه لـما يصلـح له, فلا خَـلَل فـيه ولا تفـاوت.

الآية : 3

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَاتّخَذُواْ مِـن دُونِـهِ آلِهَـةً لاّ يَخْلُقُـونَ شَـيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَمْلِكُونَ لأنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلاَ حَيَــاةً وَلاَ نُشُوراً }.

يقول تعالـى ذكره: مُقَرّعا مشركي العرب بعبـادتهما ما دونه من الآلهة, ومعجّبـا أولـي النّهَى منهم, ومُنَبّههُم علـى موضع خطأ فِعْلهـم وذهـابهم عـن منهج الـحقّ وركوبهم من سُبُل الضـلالة مـا لا يركبـه إلاّ كـل مـدخول الـرأي مسلوب العقل: واتــخذ هـؤلاء الــمشركون بــالله مـن دون الـذي لـه مُلـك السموات والأرض وحده, من غير شريك, الذي خـلق كلّ شيء فقدّره, آلهةً

يعنـي أصـناما بأيـديهم يعبـدونها, لا تـخـلـق شـيئا وهـي تُـخْـلـق, ولا تـملك لأنفسها نفعا تـجرّه إلـيها ولا ضرّا تدفعه عنها مـمن أرادهـا بضـرّ, ولا تـملك إماتة حيّ ولا إحياء ميت ولا نشره من بعد مـماته, وتركوا عبـادة خـالق كـلّ شـيء وخـالق آلهتهـم ومالـك الضـرّ والنفـع والـذي بـيده الـموت والـحياة والنشور. والنشور: مصدر نُشِـر الـميت نشـورا, وهـو أن يُبعـث ويحيـا بعـد الـموت.

الآية : 4

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقَالَ الّذِينَ كَفَرُوَاْ إِنْ هَـَذَا إِلاّ إِفْكٌ افْتَـرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَآءُوا ظُلْماً وَزُوراً }.

يقول تعالـى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بـالله الذين اتـخذوا من دونه آلهة: ما هذا القرآن الذي جاءنا به مـحمد إلاّ إفْـكٌ يعنـي: إلاّ كـذب وبُهتـان, افْتَرَاهُ اختلقه وتـخرّصه بقوله, وأعـانَهُ عَلَـيْهِ قَـوْمٌ آخَـرُونَ ذكـر أنهـم كـانوا يقولون: إنـما يُعَلّـم مـحمدا هذا الذي يجيئنا به الـيهود, فـذلك قـوله: وأعـانَهُ عَلَـيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ يقول: وأعان مـحمدا علـى هذا الإفك الـذي افـتراه يهـود. ذكر من قال ذلك:

19922ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله: وأعـانَهُ عَلَـيْهِ قَـوْمٌ آخَـرُونَ قال: يهود.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.

وقوله: فَقَدْ جاءُوا ظُلْـما وَزُورا يقول تعالـى ذكره: فقـد أتـى قـائلو هـذه الـمقالة, يعنـي الذين قالوا: إنْ هَذَا إلاّ إفْكٌ افْتَرَاهُ وأعانَهُ عَلَـيْهِ قَوْمٌ آخَـرُونَ ظلـما, يعنـي بـالظلـم نسبتهم كلام الله وتنزيـله إلـى أنه إفك افتراه مـحمد صلى الله عليه وسلم. وقد بـيّنا فـيـما مضى أن معنى الظلـم: وضع الشـيء فـي غير موضـعه فكـأنّ ظلـم قائلـي هـذه الـمقالة القـرآن بقـيـلهم هـذا وصفُهم إياه بغير صفته. والـزور: أصـله تـحسين البـاطل. فتأويـل الكلام: فقد أتـى هؤلاء القوم فـي قـيـلهم إنْ هَذَا إلاّ إفْكٌ افْتَرَاهُ وأعـانَهُ عَلَـيْهِ قَـوْمٌ آخَرُونَ كذبـا مَـحْضا.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19923ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد وحدثنـي القاسـم, قـال: حـدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد: فَقَدْ جاءُوا ظُلْـما وَزُورا قـال: كذبـا.

الآية : 5 - 6

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقَالُوَاْ أَسَاطِيرُ الأوّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهـيَ تُمْلَـىَ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * قُلْ أَنزَلَهُ الّذِي يَعْلَمُ السّرّ فِـي السّـمَاوَاتِ وَالأرْضِ إِنّـهُ كَانَ غَفُوراً رّحِيماً }.

ذكر أن هذه الآية نزلت فـي النّضْر بن الـحارث, وأنـه الـمعنـيّ بقـوله: وَقالُوا أساطيرُ الأوّلِـينَ. ذكر من قال ذلك:

19924ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يونس بن بكير, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, قال: حدثنا شيخ من أهل مصر, قدم منذ بضع وأربعين سنة, عن عكرِمة, عن ابن عباس, قال: كان النّضْر بن الحارث بن كَلَدَة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصيّ من شياطين قريش, وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة, وكان قد قَدِم الحِيرة, تعلّم بها أحاديث ملوك فارس وأحاديث رُسْتَم وأسفنديار, فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلسا فذكّر بالله وحدّث قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله, خلَفه في مجلسه إذا قام, ثم يقول: أنا والله يا معشر قُريش أحسن حديثا منه, فهلموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدّثهم عن ملوك فارس ورسْتَم وأسفنديار, ثم يقول: ما محمد أحسن حديثا مني قال: فأنزل الله تبارك وتعالى في النضر ثمانيَ آيات من القرآن, قوله: وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أساطيرُ الأوّلينَ وكلّ ما ذُكِر فيه الأساطير في القرآن.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني محمد بن أبي محمد, عن سعيد أو عكرمة, عن ابن عباس نحوه, إلاّ أنه جعل قوله: «فأنزل الله في النضْر ثماني آيات», عن ابن إسحاق, عن الكلْبيّ, عن أبي صالح, عن ابن عباس.

19925ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: أساطِيرُ الأوّلينَ أشعارهم وكَهانتهم وقالها النضر بن الحارث.

فتأويل الكلام: وقال هؤلاء المشركون بالله الذين قالوا لهذا القرآن إن هذا إلاّ إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم: هذا الذي جاءنا به محمد أساطير الأوّلين, يَعنُون أحاديثهم التي كانوا يُسَطّرونها في كتبهم, اكتتبها محمد صلى الله عليه وسلم من يهود. فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ يعنون بقوله: فَهي تُمْلَى عَلَيْهِ فهذه الأساطير تُقرأ عليه, من قولهم: أمليت عليك الكتاب وأملَلْت. بُكْرَةً وأصِيلاً يقول: وتملَى عليه غُدْوة وعشيّا.

وقوله: قُلْ أنْزَلَهُ الّذِي يَعْلَمُ السّرّ فِي السّمَوَاتِ والأرْض يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المكذّبين بآيات الله من مشركي قومك: ما الأمر كما تقولون من أن هذا القرآن أساطير الأوّلين وأن محمد صلى الله عليه وسلم افتراه وأعانه عليه قوم آخرون, بل هو الحقّ, أنزله الربّ الذي يعلم سرّ من في السموات ومن في الأرض, ولا يخفى عليه شيء, ومُحْصِي ذلك على خلقه, ومُجازيهم بما عزمت عليه قلوبهم وأضمروه في نفوسهم. إنّهُ كانَ غَفُورا رَحِيما يقول: إنه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم, فيتفضلُ عليهم بعفوه, يقول: فلأن ذلك من عادته في خلقه, يُمْهلكم أيها القائلون ما قلتم من الإفك والفاعلون ما فعلتم من الكفر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19926ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: قُلْ أنْزَلَهُ الّذِي يَعْلَمُ السّرّ فِي السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: ما يسر أهل الأرض وأهل المساء.

الآية : 7 - 8

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُواْ مَا لِهَـَذَا الرّسُولِ يَأْكُلُ الطّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً * أَوْ يُلْقَىَ إِلَيْهِ

كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظّالِمُونَ إِن تَتّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مّسْحُوراً }.

ذُكر أن هاتين الآيتين نزلتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان مشركو قومه قالوا له ليلة اجتماع أشرافهم بظهر الكعبة, وعرضوا عليه أشياء, وسألوه الآيات.

فكان فيما كلّموه به حينئذٍ, فيما:

19927ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني محمد بن أبي محمد, مولى زيد بن ثابت, عن سعيد بن جُبير, أو عكرِمة مولى ابن عباس, عن ابن عباس: أن قالوا له: فإن لم تفعل لنا هذا يعني ما سألوه من تسيير جبالهم عنهم, وإحياء آبائهم, والمجيء بالله والملائكة قبيلاً, وما ذكره الله في سورة بني إسرائيل فخذ لنفسك, سلْ ربك يبعثْ معك ملَكا يصدّقك بما تقول ويراجعنا عنك, وسَلْه فيجعل لك قصورا وجنانا وكنوزا من ذهب وفضة, تغنيك عما نراك تبتغي, فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه, حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أنا بِفاعِلٍ» فأنزل الله في قولهم: أنْ خُذْ لنفسك ما سألوه أن يأخذ لها: أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا, أو يبعث معه ملَكا يصدّقه بما يقول ويردّ عنه من خاصمه. وقالُوا ما لِهَذَا الرّسُولِ يأْكُلُ الطّعامَ ويَمْشِي فِي الأسْوَاقِ لَوْلا أُنْزِلَ إلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرا أَوْ يُلْقَى إلَيْهِ كَنْزٌ أوْ تَكُونُ لَهُ جَنّةٌ يَأكُلُ مِنْهَا وَقالَ الظّالِمُونَ إنْ تَتّبِعُونَ إلاّ رَجُلاً مَسْحُورا.

فتأويل الكلام: وقال المشركون ما لِهَذا الرّسُولِ: يَعْنون محمدا صلى الله عليه وسلم, الذي يزعم أن الله بعثه إلينا, يَأكُلُ الطعَامَ كما نأكل, ويَمْشِي في أسواقنا كما نمشي.لَوْلاَ أُنْزِلَ إلَيهِ يقول: هلا أنزل إليه ملَك إن كان صادقا من السماء, فَيَكُونَ مَعَه منذرا للناس, مصدّقا له على ما يقول, أو يلقى إليه كنز من فضة أو ذهب فلا يحتاج معه إلى التصرّف في طلب المعاش, أوْ تكون له جنة يقول: أو يكون له بستان يَأكُلُ مِنْها.

واختلف القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: يَأْكُلُ بالياء, بمعنى: يأكل منها الرسول. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: «نَأكُلُ مِنْها» بالنون, بمعنى: نأكل من الجنة.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالياء وذلك للخبر الذي ذكرنا قبل بأن مسألة من سأل من المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه هذه الخلال لنفسه لا لهم فإذ كانت مسألتهم إياه ذلك كذلك, فغير جائز أن يقولوا له: سلْ لنفسك ذلك لنأكل نحن.

وبعدُ, فإن في قوله تعالى ذكره: تَبَارَكَ الّذِي إنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرا مِنْ ذَلِكَ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ, دليلاً بيّنا على أنهم إنما قالوا له: اطلب ذلك لنفسك, لتأكل أنت منه, لا نحن.

وقوله: وَقال الظّالِمُونَ يقول: وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله: إنْ تَتّبِعُونَ أيّها القوم, باتباعكم محمدا إلاّ رَجُلاً به سحر.

الآية : 9 - 10

القول في تأويل قوله تعالى: {انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأمْثَالَ فَضَلّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً * تَبَارَكَ الّذِيَ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مّن ذَلِكَ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ وَيَجْعَل لّكَ قُصُوراً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: انظر يا محمد إلى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك: هو مسحور, فضلّوا بذلك عن قصد السبيل وأخطئوا طريق الهُدَى والرشاد فلا يَسْتَطِيعُونَ يقول: فلا يجدون سَبِيلاً إلى الحقّ, إلاّ فيما بعثتك به, ومن الوجه الذي ضلوا عنه.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19928ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني محمد بن أبي محمد, عن سعيد بن جُبير, أو عكرمة, عن ابن عباس: انْظُرْ كَيْف ضَرَبُوا لَكَ الأمْثَالَ فَضَلّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً أي التمسوا الهدى في غير ما بعثتك به إليهم فضلوا, فلن يستطيعوا أن يصيبوا الهُدَى في غيره. وقال آخرون في ذلك ما:

19929ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً قال: مَخْرجا يخرجهم من الأمثال التي ضربوا لك.

وقوله: تَبارَكَ الّذِي إنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرا مِنْ ذلكَ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتَها الأنهَارُ يقول تعالى ذكره: تقدس الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك.

واختلف أهل التأويل في المعنىّ ب«ذلك» التي في قوله: جَعَلَ لَكَ خَيْرا مِنْ ذَلكَ فقال بعضهم: معنى ذلك: خيرا مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد, هلا أوتيته وأنت لله رسول ثم بين تعالى ذكره عن الذي لو شاء جعل له من خير مما قالوا, فقال: جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهَارُ. ذكر من قال ذلك:

19930ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: تَبارَكَ الّذِي إنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرا مِنْ ذلكَ خيرا مما قالوا.

19931ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: تَبارَكَ الّذِي إن شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرا مِنْ ذلكَ قال: مما قالوا وتمنّوا لك, فيجعل لك مكان ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار.

وقال آخرون: عُنِي بذلك المشي في الأسواق والتماس المعاش. ذكر من قال ذلك:

19932ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن محمد بن أبي محمد, فيما يرى الطبريّ, عن سعيد بن جُبر, أو عكرِمة, عن ابن عباس, قال: ثم قال: تَبَارَك الّذِي إنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرا مِنْ ذَلِكَ من أن تمشيَ في الأسواق وتلتمس المعاش كما يلتمسه الناس, جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ وَيجْعَلْ لَكَ قُصُورا.

قال أبو جعفر: والقول الذي ذكرناه عن مجاهد في ذلك أشبه بتأويل الآية, لأن المشركين إنما استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها وأن لا

يُـلْقـى إلــيه كنـز, واسـتنكروا أن يــمشي فــي الأسـواق وهـو للـه رسـول. فـالذي هو أولـى بوعد الله إيـاه أن يكـون وعـدا بــما هـو خيـر مـا كـان عنـد الـمشركين عظيـما, لا مـما كان منكرا عندهم. وعُنِي بقوله: جَنّـاتٍ تَــجْرِي مِنْ تَـحْتِها الأنهَارُ بساتـين تـجري فـي أصول أشجارها الأنهار. كما:

19933ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: جَنّاتٍ تَـجْرِي مِنْ تَـحْتِها الأنهَارُ قال: حوائط.

وقوله: وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورا يعنـي بـالقصور: البـيوت الـمبنـية.

وبنـحو ما قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19934ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: قـال: أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نــجيح, عـن مــجاهد: وَيَجْعَـلْ لَـكَ قُصُـورا قـال: بــيوتا مبنــية مشيدة, كان ذلك فـي الدنـيا. قال: كانت قريش ترى البــيت مـن الــحجارة قصرا كائنا ما كان.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد: ويَجْعَلْ لَكَ قُصُورا مشيدة فـي الدنـيا, كل هذا قالته قريش. وكانت قريش ترى البـيت من حجارة ما كان صغيرا قَصْرا.

19935ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفــيان, عن حبـيب قال: قـيـل للنبـيّ صلى الله عليه وسلم: إن شئت أن نعطيك من خزائن الأرض ومفـاتـيحها ما لـم يُعْـطَ نبــيّ قبلـك ولا يعطـى مـن بعـدك ولا ينقص ذلك مـما لك عند الله تعالـى؟ فقـال: «اجْمَعُوهـا لــي فــي الآخِـرَةِ» فأنزل الله فـي ذلك: تَبـارَكَ الّذِي إنْ شـاءَ جَعَـلَ لَـكَ خَيْـرا مِـنْ ذلـكَ جَنّـاتٍ تَـجْرِي مِنْ تَـحْتِها الأنهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورا.

الآية : 11 - 12

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {بَـلْ كَـذّبُواْ بِالسّـاعَةِ وَأَعْتَـدْنَا لِمَـن كَـذّبَ بِالسّاعَةِ سَعِيراً * إِذَا رَأَتْهُمْ مّن مّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيّظاً وَزَفِيراً }.

يقول تعالـى ذكره: ما كذّب هؤلاء الـمشركون بـالله وأنكروا ما جئتهم به يا مـحمد من الـحقّ, من أجـل أنـك تأكـل الطعـام وتــمشي فــي الأسـواق, ولكن مـن أجـل أنهـم لا يوقنـون بـالــمعاد ولا يصـدّقون بــالثواب والعقـاب, تكذيبـا منهم بـالقـيامة وبعث الله الأمـوات أحيـاء لــحشر القــيامة. وأعْتَـدْنا يقـول: وأعـددنا لــمن كـذّب ببعـث اللـه الأمـوات أحيـاء بعـد فنـائهم لقــيام الساعة, نارا تسّعر علـيهم وتتقد. إذا رَأَتْهُمْ مِـنْ مَكَـانٍ بَعِيـدٍ يقـول: إذا رأت هـذه النـار التــي أعتـدناها لهـؤلاء الـمكذّبــين أشخاصَـهم مـن مكـان بعيـد, تغيظت علـيهم وذلك أن تغلـى وتفور. يقال: فلان تغيظ علـى فلان, وذلك إذ غضب علـيه فَغَلَـى صدره من الغضب علـيه وتبـين فـي كلامه. وزفـيرا, وهو صوتها.

فإن قال قائل: وكيف قـيـل: سَمِعُوا لَهَا تَغَيّظا والتغيظ: لا يسمع؟ قـيــل: معنى ذلك: سمعوا لها صوت التغيظ, من التلهب والتوقد.

19936ـ حدثنــي مــحمود بـن خـداش, قـال: حـدثنا مــحمد بـن يزيـد الواسطيّ, قال: حدثنا أصبغ بن زيد الورّاق, عن خالد بن كثـير, عـن فُـدَيك, عن رجل من أصحاب مـحمد صلى الله عليه وسلم, قـال: قـال رسـول اللـه

صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَقُولُ عَلـيّ مـا لَـمْ أقُـلْ فَلْـيَتَبَوّأْ بـينَ عَيْنَـيْ جَهَنّـمَ مَقْعَدا» قالوا: يا رسول الله, وهل لها من عين؟ قال: «ألَـمْ تَسْـمَعُوا إلـى قَوْلِ اللّهِ: إذَا رأتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ؟»... الآية.

19937ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر في قوله: سَمِعُوا لَهَا تَغَيّظا وَزَفِيرا قال: أخبرني المنصور بن المعتمر, عن مجاهد, عن عبيد بن عمير, قال: إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبيّ إلا خرّ ترعد فرائصه حتى إن إبراهيم ليجثو على ركبتيه, فيقول: يا ربّ لا أسألك اليوم إلا نفسي.

19938ـ حدثنا أحمد بن إبراهيم الدّورقي, قال: حدثنا عُبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: «إن الرجل ليُجَرّ إلى النار, فتنزوي وينقبض بعضها إلى بعض, فيقول لها الرحمن ما لك؟ فتقول: إنه ليستجير مني فيقول: أرسلُوا عبدي وإن الرجل ليُجَرّ إلى النار, فيقول: يا ربّ ما كان هذا الظنّ بك فيقول: فما كان ظنك؟ فيقول: أن تسعَني رحمتك قال: فيقول أرسلوا عبدي وإن الرجل ليجَرّ إلى النار فتشهق إليه النار شُهوق البغلة إلى الشعير وتَزِفْر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف».

الآية : 13 - 14

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَاناً ضَيّقاً مّقَرّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً * لاّ تَدْعُواْ الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُواْ ثُبُوراً كَثِيراً }.

يقول تعالى ذكره: وإذا أُلقي هؤلاء المكذّبون بالساعة من النار مكانا ضيقا, قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال دَعَوْا هُنالكَ ثُبُورا.

واختلف أهل التأويل في معنى الثّبور, فقال بعضهم: هو الوَيْل. ذكر من قال ذلك:

19939ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: وَادْعُوا ثُبُورا كَثِيرا يقول: وَيْلاً.

19940ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: لا تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُورا وَاحِدَا يقول: لا تدعوا اليوم ويلاً واحدا, وادعوا ويلاً كثيرا.

وقال آخرون: الثبور الهلاك. ذكر من قال ذلك:

19941ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: لا تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُورا واحِدا الثبور: الهلاك.

قال أبو جعفر: والثبور في كلام العرب أصله انصراف الرجل عن الشيء, يقال منه: ما ثَبَرك عن هذا الأمر؟ أي ما صرفك عنه. وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا والإيمان بما جاءهم به نبيّ الله صلى الله عليه وسلم حتى استوجبوا العقوبة منه, كما يقول القائل: واندامتاه, واحسرتاه على ما فرّطت في جنب الله. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول في قوله: دَعَوْا هُنالكَ ثُبُورا أي هَلَكة, ويقول: هو مصدر من ثُبِرَ الرجل: أي أهلك, ويستشهد لقيله في ذلك ببيت ابن الزّبَعْرَي:

إذْ أُجارِي الشّيْطانَ فِي سَنَنِ الغَيّ وَمَنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ

وقوله: لا تَدْعُوا اليَوْمَ أيها المشركون ندما واحدا: أي مرّة واحدة, ولكن ادعوا ذلك كثيرا. وإنما قيل: لا تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُورا وَاحِدا لأن الثبور مصدر, والمصادر لا تجمع, وإنما توصف بامتداد وقتها وكثرتها, كما يقال: قعد قعودا طويلاً, وأكل أكلاً كثيرا.

19942ـ حدثنا محمد بن مرزوق, قال: حدثنا حجاج, قال: حدثنا حماد, قال: حدثنا عليّ بن زيد, عن أنس بن مالك, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أوّلُ مَنْ يُكْسَى حُلّةً مِنَ النّارِ إبْلِيسُ, فَيَضَعُها عَلى حاجِبَيْهِ, وَيَسْحَبُها مِنْ خَلْفِهِ, وَذُرّيّتُهُ مِنْ خَلْفِهِ, وَهُوَ يَقُولُ: يا ثُبُورَاه وَهُمْ يُنادُونَ: يا ثُبُورَهُمْ حتى يَقِفُوا عَلى النّارِ, وَهُوَ يَقُولُ: يا ثُبُورَاهُ وَهُمْ يُنادُونَ: يا ثُبُورَهُمْ فَيُقالُ: لا تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُورا وَاحدا وَادْعُوا ثُبُورا كَثِيرا».

الآية : 15 - 16

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنّةُ الْخُلْدِ الّتِي وَعِدَ الْمُتّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيراً * لّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىَ رَبّكَ وَعْداً مّسْئُولاً }.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المكذّبين بالساعة: أهذه النار التي وصف لكم ربّكم صفتها وصفة أهلها خير, أم بستان الخلد الذي يدوم نعيمه ولا يبيد, الذي وَعَد من اتقاه في الدنيا بطاعته فيما أمره ونهاه؟ وقوله: كانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرا يقول: كانت جنة الخلد للمتقين جزاء أعمالهم لله في الدنيا بطاعته وثواب تقواهم إياه ومصيرا لهم, يقول: ومصيرا للمتقين يصيرون إليها في الآخرة. وقوله: لَهُمْ فِيها ما يَشاءُونَ يقول: لهؤلاء المتقين في جنة الخلد التي وَعَدَهموها الله, ما يشاءون مما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين. خالدِينَ فيها, يقول: لابثين فيها ماكثين أبدا, لا يزولون عنها ولا يزول عنهم نعيمها. وقوله: كانَ عَلى رَبّكَ وَعْدا مَسْئُولاً وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا: آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ يقول الله تبارك وتعالى: كان إعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التي وصف صفتها في الآخرة, وعْدا وعدهُمُ الله على طاعتهم إياه في الدنيا ومسئلتهم إياه ذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19943ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء الخراسانيّ, عن ابن عباس: كانَ عَلى رَبّكَ وَعْدا مَسْئُولاً قال: فسألوا الذي وعدَهُم وتنجزوه.

19944ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: كانَ عَلى رَبّكَ وَعْدا مَسْئُولاً قال: سألوه إياه في الدنيا, طلبوا ذلك فأعطاهم وعدهم, إذ سألوه أن يعطيهم فأعطاهم, فكان ذلك وعدا مسئولاً, كما وقّت أرزاق العباد في الأرض قبل أن يخلقهم فجعلها أقواتا للسائلين, وقّت ذلك على مسئلتهم. وقرأ: وَقَدّرَ فِيها أقْوَاتَها فِي أرْبَعَةِ أيّامٍ سَوَاءً للسّائِلِينَ.

وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله: وَعْدا مَسْئُولاً إلى أنه معنيّ به وعدا واجبا, وذلك أن المسئول واجب, وإن لم يُسْأل كالدين, ويقول: ذلك نظير قول العرب: لأعطينك ألفا وعدا مسئولاً, بمعنى واجب لك فتسأله.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاَءِ أَمْ هُمْ ضَلّوا السّبِيلَ }.

يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء المكذّبين بالساعة العابدين الأوثان وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجنّ. كما:

19945ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فيقول: أأنْتُمْ أضْلَلْتُمْ عِبادي هَؤُلاءِ قال: عيسى وعُزيرٌ والملائكة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, نحوه.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه أبو جعفر القارىء وعبد الله بن كثير: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فَيَقُولُ بالياء جميعا, بمعنى: ويوم يحشرهم ربك, ويحشر ما يعبدون من دون فيقول. وقرأته عامة قرّاء الكوفيين: «نَحْشُرُهُمْ» بالنون, «فنقول». وكذلك قرأه نافع.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: فَيَقُولُ أأنْتُمْ أضْلَلْتُمْ عبادِي هَؤُلاءِ يقول: فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله: أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء؟ يقول: أنتم أزَلْتموهم عن طريق الهدى ودعوتموهم إلى الغيّ والضلالة حتى تاهوا وهلكوا, أم هم ضلوا السبيل؟ يقول: أم عبادي هم الذين ضلوا سبيل الرشد والحقّ وسلكوا العَطَب.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَآءَهُمْ حَتَّىَ نَسُواْ الذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْماً بُوراً }.

يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى: تنزيها لك يا ربنا وتبرئه مما أضاف إليك هؤلاء المشركون, ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نواليهم, أنت ولينا من دونهم, ولكن متعتهم بالمال يا ربنا في الدنيا والصحة حتى نَسُوا الذكر وكانوا قوما هَلْكي قد غلب عليهم الشقاء والخِذْلان.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19946ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَكِنّ مَتّعْتَهُمْ وآباءَهُمْ حتى نَسُوا الذّكْرَ وكانُوا قَوْما بُورا يقول: قوم قد ذهبت أعمالهم وهم في الدنيا, ولم تكن لهم أعمال صالحة.

19947ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وكانُوا قَوْما بُورا يقول: هلكى.

19948ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وكانُوا قَوْما بُورا يقول: هَلْكَى.
19949ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر عن الحسن: وكانُوا قَوْما بُورا قال: هم الذين لا خير فيهم.
19950ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وكانُوا قَوْما بُورا قال: يقول: ليس من الخير في شيء. البور: الذي ليس فيه من الخير شيء.
واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ما كانَ يَنْبَغِي لَنا أنْ نَتّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أوْلِياءٍ فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار: نَتّخِذَ بفتح النون سوى الحسن ويزيد بن القَعقاع, فإنهما قرآه: «أنْ نُتّخَذَ» بضمّ النون. فذهب الذين فتحوها إلى المعنى الذي بيّنّاه في تأويله, من أن الملائكة وعيسى ومن عُبد من دون الله من المؤمنين هم الذين تبرّءوا أن يكون كان لهم وليّ غير الله تعالى ذكره. وأما الذين قرءوا ذلك بضمّ النون, فإنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن المعبودين في الدنيا إنما تبرّءوا إلى الله أن يكون كان لهم أن يُعْبدوا من دون الله جلّ ثناؤه, كما أخبر الله عن عيسى أنه قال إذا قيل أأنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذُونِي وأُمّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لي أنْ أقُولَ ما لَيْسَ لي بِحَقَ ما قُلْتُ لَهُمْ إلاّ ما أمَرْتَنِي بِهِ أنِ اعْبُدُوا اللّهَ رَبّي وَرَبّكُمْ.
قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بفتح النون, لعلل ثلاث: إحداهنّ إجماع من القرّاء عليها. والثانية: أن الله جلّ ثناؤه ذكر نظير هذه القصة في سورة سَبَأ, فقال: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعا ثم يقولُ للملائكة أهؤلاءِ إياكُم كانُوا يَعْبُدون قالوا سُبْحَانك أنتَ وَلِيّنا من دُونِهِمْ, فأخبر عن الملائكة أنهم إذا سُئلوا عن عبادة من عبدهم تبرّءُوا إلى اللَه من ولايتهم, فقالوا لربهم: أنت وليّنا من دونهم, فذلك يوضّح عن صحة قراءة من قرأ ذلك: ما كانَ يَنْبَغِي لَنا أنْ نَتّخِذ مِنْ دُونِكَ مِنْ أوْلِياء بمعنى: ما كان ينبغي لنا أن نتخذهم من دونك أولياء. والثالثة: أن العرب لا تدخل «مِنْ» هذه التي تدخل في الجحد إلاّ في الأسماء, ولا تدخلها في الأخبار, لا يقولون: ما رأيت أخاك من رجل, وإنما يقولون: ما رأيت من أحد, وما عندي من رجل وقد دخلت هاهنا في الأولياء وهي في موضع الخبر, ولو لم تكن فيها «مِنْ», كان وجها حسنا. وأما البُور: فمصدر واحد, وجمع للبائر, يقال: أصبحت منازلهم بُورا: أي خالية لا شيء فيها, ومنه قولهم: بارت السّوق وبار الطعام: إذا خلا من الطّلاب والمشتري فلم يكن له طالب, فصار كالشيء الهالك ومنه قول ابن الزّبَعْرَى:
يا رَسُولَ المَلِيك إنّ لسانِيرَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ
وقد قيل: إن بور: مصدر, كالعدل والزور والقطع, لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث. وإنما أريد بالبور في هذا الموضع أن أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة لأنها لم تكن لله, كما ذكرنا عن ابن عباس.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {فَقَدْ كَذّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلاَ نَصْراً وَمَن يَظْلِم مّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عما هو قائل للمشركين عند تبرّي من كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله منهم: قد كذّبوكم أيها الكافرون من زعمتم أنهم أضلوكم ودعوكم إلى عبادتهم بما تَقُولُونَ يعني بقولكم, يقول: كذّبوكم بكذبكم.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19951ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَقَدْ كَذّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ يقول الله للذين كانوا يعبدون عيسى وعُزيزا والملائكة, يكذّبون المشركين.

19952ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: فَقَدْ كَذّبوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ قال: عيسى وعُزير والملائكة, يكذّبون المشركين بقولهم.

وكان ابن زيد يقول في تأويل ذلك, ما:

19953ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: فَقَدْ كَذّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعونَ صَرْفا وَلا نَصْرا قال: كذّبوكم بما تقولون بما جاء من عند الله جاءت به الأنبياء والمؤمنون آمنوا به وكذب هؤلاء.

فوجه ابن زيد تأويل قوله: فَقَدْ كَذّبُوكُمْ إلى: فقد كذّبوكم أيها المؤمنون المكذّبون بما جاءهم به محمد من عند الله بما تقولون من الحقّ, وهو أن يكون خبرا عن الذين كذّبوا الكافرين في زعمهم أنهم دعَوْهم إلى الضلالة وأمروهم بها, على ما قاله مجاهد من القول الذي ذكرنا عنه, أشبه وأولى لأنه في سياق الخبر عنهم. والقراءة في ذلك عندنا: فَقَدْ كَذّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ بالتّاء, على التأويل الذي ذكرناه, لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه. وقد حُكي عن بعضهم أنه قرأه: «فَقَدْ كَذّبُوكُمْ بِمَا يَقُولُونَ» بالياء, بمعنى: فقد كذّبوكم بقولهم.

وقوله جلّ ثناؤه: فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفا وَلا نَصْرا يقول: فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم, ولا نَصْرَها من الله حين عذّبها وعاقبها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19954ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفا وَلا نَصْرا قال: المشركون لا يستطيعونه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: فَمَا تَسْتَطيعُونَ صَرفا وَلا نَصْرا قال: المشركون.

قال ابن جُرَيج: لا يستطيعون صرف العذاب عنهم, ولا نصر أنفسهم.

19955ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفا وَلا نَصْرا قال: لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذي نزل بهم حين كُذّبوا, ولا أن ينتصروا. قال: وينادي منادٍ يوم القيامة حين يجتمع الخلائق: ما لكم لا تناصرون؟ قال: من عبد من دون الله لا ينصر اليوم من عبده, وقال العابدون من دون الله لا ينصره اليوم

إلهه الذي يعبد من دون الله, فقال الله تبارك وتعالى: بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ. وقرأ قول الله جلّ ثناؤه: فإنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ.

ورُوي عن ابن مسعود في ذلك ما:

19956ـ حدثنا به أحمد بن يونس, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, قال: هي في حرف عبد الله بن مسعود: «فَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَكَ صَرْفا».

فإن تكن هذه الرواية عنه صحيحة, صحّ التأويل الذي تأوّله ابن زيد في قوله: فَقَدْ كَذّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ, ويصير قوله: فَقَدْ كَذّبُوكُمْ خبرا عن المشركين أنهم كذّبوا المؤمنين, ويكون تأويل قوله حينئذٍ: فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفا وَلا نَصْرا فما يستطيع يا محمد هؤلاء الكفار لك صرفا عن الحقّ الذي هداك الله له, ولا نصر أنفسهم, مما بهم من البلاء الذي همّ فيه, بتكذيبهم إياك.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: وَمَنْ يَظْلِمْ منْكُمْ أيها المؤمنون يعني بقوله: وَمَنْ يَظْلِمْ ومن يشرك بالله فيظلم نفسه فذلك نذقه عذابا كبيرا, كالذي ذكرنا أن نذيقه الذين كذّبوا بالساعة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19957ـ حدثنا القاسم, قال: ثني الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, في قوله: وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ قال: يُشْرك نُذِقْهُ عَذَابا كَبِيرا.

19958ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, في قوله: وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ قال: هو الشرك.

الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاّ إِنّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبّكَ بَصِيراً }.

وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركي قومه الذين قالوا: ما لِهَذَا الرّسُولِ يَأْكُلُ الطّعامَ ويَمْشِي فِي الأسْوَاقِ وجواب لهم عنه, يقول لهم جلّ ثناؤه: وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق, من أكلك الطعام ومشيك في الأسواق, وأنت لله رسول فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلاّ إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق كالذي تأكل أنت وتمشي, فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة.

فإن قال قائل: فإن «مَنْ» ليست في التلاوة, فكيف قلت معنى الكلام: إلاّ مَنْ إنهم ليأكلون الطعام؟ قيل: قلنا في ذلك معناه: أن الهاء والميم في قوله: «إنهم», كناية أسماء لم تُذكر, ولا بدّ لها من أن تعود على من كُنِي عنه بها, وإنما ترك ذكر «مَنْ» وإظهاره في الكلام اكتفاء بدلالة قوله: مِنَ المُرْسَلِينَ عليه, كما اكتفي في قوله: وَما مِنّا إلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ من إظهار «مَنْ», ولا شكّ أن معنى ذلك: وما منا إلاّ من له مقام معلوم, كما قيل: وَإنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُها ومعناه: وإن منكم إلاّ من هو واردها فقوله: إنّهُمْ لَيَأكُلُونَ الطّعامَ صلة ل «مَنِ» المتروك, كما يقال في الكلام: ما أرسلت إليك من الناس إلاّ مَنْ إنه ليبلغك الرسالة, فإنه «ليبلغك الرسالة» صلة لـ «مَنْ».

وقوله: وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً يقول تعالى ذكره: وامتحنا أيها الناس بعضكم ببعض, جعلنا هذا نبيّا وخصصناه بـ الرسالة, وهذا ملِكا وخصصناه بالدنيا, وهذا فقيرا وحرمناه الدنيا, لنختبر الفقير بصبره على ما حُرِم مما أعطيه الغنيّ, والملك بصبره على ما أعطيه الرسول من الكرامة, وكيف رضي كل إنسان منهم بما أعطى وقُسِم له, وطاعته ربه مع ما حرِم مما أعطى غيره. يقول: فمن أجل ذلك لم أعط محمدا الدنيا, وجعلته يطلب المعاش في الأسواق, ولأبتليكم أيها الناس, وأختبر طاعتكم ربكم وإجابتكم رسوله إلى ما دعاكم إليه, بغير عَرَض من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم إياه لأني لو أعطيته الدنيا, لسارع كثير منكم إلى اتباعه طمعا في دنياه أن ينال منها.

وبنحو الذي قلنا تأويل في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19959ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, قال: ثني عبد القدوس, عن الحسن, في قوله: وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً... الآية, يقول هذا الأعمى: لو شاء الله لجعلني بصيرا مثل فلان, ويقول هذا الفقير: لو شاء الله لجعلني غنيّا مثل فلان, ويقول هذا السقيم: لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان.

19960ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, في قوله: وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ قال: يُمْسك عن هذا ويُوَسّع على هذا, فيقول: لم يعطني مثل ما أعطى فلانا, ويُبْتَلَى بالوجع كذلك, فيقول: لم يجعلني ربي صحيحا مثل فلان في أشباه ذلك من البلاء, ليعلم من يصبر ممن يجزع.

19961ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني ابن إسحاق, قال: ثني محمد بن أبي محمد, فيما يروي الطبري, عن عكرِمة, أو عن سعيد, عن ابن عباس, قال: وأنزل عليه في ذلك من قولهم: ما لِهَذَا الرّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ... الآية: وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إلاّ إنّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطّعامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ أي جعلت بعضكم لبعض بلاء, لتصبروا على ما تسمعون منهم, وترون من خلافهم, وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيهم عليه الدنيا ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون لفعلت, ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بكم وأبتليكم بهم.

وقوله: وكانَ رَبّكَ بَصِيرا يقول: وربك يا محمد بصير بمن يجزع ومن يصبر على ما امتُحِن به من المحن. كما:

19962ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: وكانَ رَبّكَ بَصِيرا إن ربك لبصير بمن يجزع ومن يصبر.